



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام
قسم الدعوة والاحتساب

الدعوة إلى الله في سورة الحج

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الدعوة والاحتساب

إعداد الطالبة

لولوه بنت سليمان بن محمد الغنام

إشراف فضيلة الدكتور

عبدالله بن محمد الرشيد

الأستاذ المشارك في قسم الدعوة والاحتساب

العام الجامعي

١٤٢٤/١٤٢٥ هـ



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ^(١) ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ ^(٢) ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٥﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ^(٣) ، ^(٤) أما بعد :

فإن الدعوة إلى الله من أفضل الطاعات ، وأجل القربات ، وأحسن ما دعا إليها

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٠٢).

(٢) سورة النساء ، الآية (١).

(٣) سورة الأحزاب ، الآيتان (٧٠ ، ٧١).

(٤) خطبة الحاجة "التي كان رسول الله ﷺ - يعلمها أصحابه" ، أخرجها الإمام ابن ماجة بهذا اللفظ في كتاب النكاح ، باب خطبة النكاح ، ح (١٨٩٢) ، انظر: سنن ابن ماجة/ (ص ٣٢٩) ، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجة ، حكم على أحاديثها وآثارها وعلق عليها المحدث الشيخ: محمد ناصر الدين الألباني ، واعتنى بها : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، وبنحو هذا اللفظ أخرجها الإمام أبو داود في كتاب النكاح ، باب في خطبة النكاح ، ح (٢١١٨) ، انظر: سنن أبي داود/ (ص ٣٢١) ، لأبي داود سليمان ابن الأشعث السجستاني ، حكم على أحاديثها وآثارها وعلق عليها المحدث الشيخ: محمد ناصر الدين الألباني ، واعتنى بها : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، والإمام الترمذي في كتاب النكاح ، باب ما جاء في خطبة النكاح ، ح (١١٠٥) ، انظر: سنن الترمذي (الجامع الصحيح) / (ص ٢٦١) ، للإمام الحافظ محمد ابن عيسى بسنن سورة الترمذي ، حكم على أحاديثها وآثارها وعلق عليها المحدث الشيخ: محمد ناصر الدين الألباني ، واعتنى بها : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، والإمام النسائي في كتاب الجمعة ، باب كيفية الخطبة ، ح (١٤٠٤) ، انظر: سنن النسائي/ (ص ٢٣٠) ، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الشهير بالنسائي ، حكم على أحاديثها وآثارها وعلق عليها المحدث الشيخ: محمد بن ناصر الدين الألباني ، واعتنى بها : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، وقد جمع أحاديث خطبة الحاجة وتتبع طرقها وأثبت صحتها المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله - في رسالته: خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ - يعلمها أصحابه/ (ص ١٥ - ٤٣) ، كما ذكر الحكم بصحتها في نفس الصفحات التي ذكرت فيها الخطبة في السنن السابقة.

الدعاة ، عرف سلف هذه الأمة منزلتها ، فقاموا بها مقتفين بذلك أثر الرسل - عليهم الصلاة والسلام - ، ومستمدين منهجهم في الدعوة إلى الله من كتاب الله - تعالى - وسنة نبيه - ﷺ - ، فهما زاد الداعي إلى الله ، وعليهما يقوم منهج دعوة السلف ، وبهما يستطيع الداعي إلى الله أن يدعو إليه على بصيرة ، قال - تعالى - : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ ۞ ﴾^(١).

ومن ثم اخترت سورة من سور القرآن الكريم - الذي جاء معجزاً شاملاً لأدق ما تحتاجه البشرية في جميع أحوالها - وهي سورة الحج كأطروحة علمية لنيل درجة الماجستير في قسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام ، ذلك لأن آيات هذه السورة تطرح قضايا مهمة في طياتها معان عظيمة ، يهم الدعاة معرفتها والوقوف على فوائدها ، حتى يسيروا في دعوتهم على طريق سليم لإخراج الناس من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الهدى والإيمان .

أولاً : التعريف بمصطلحات عنوان الدراسة :

١ - الدعوة :

أ- تعريف الدعوة في اللغة :

للدعوة في اللغة عدة معانٍ تدور كلها حول : الاستمالة ، والتمني ، والتجمع ، والدعاء ، والسؤال ، والنداء ، والدعوة إلى الطعام ، والأذان ، والطلب ، والحث ، والاستعانة .

فالفعل " دعو " : « الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد ، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك »^(٢).

« وجمع داع : دعاة وداعون ، مثل قاضٍ وقضاة وقاضون .

(١) سورة يوسف ، الآية (١٠٨) .

(٢) معجم مقاييس اللغة / (٢ / ٢٧٩) ، أبو حسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السلام بن محمد هارون .

والنبي داعي الخلق إلى التوحيد .
 وادعيت الشيء : تمنيته ^(١) .
 وتداعوا عليه : تجمعوا .
 والدعوة بالكسر : الادعاء في النسب ^(٢) .
 وبعض العرب يؤنث الدعوة بالألف المقصورة فيقول الدعوى .
 وتأني بمعنى الدعاء ، قال - تعالى - : ﴿ دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۖ وَآخِرُ دَعْوَانَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٣) . ^(٤)
 « ودعوت الله أدعوه دعاءً : ابتهلت إليه بالسؤال ، ورغبت فيما عنده من الخير .
 ودعوت زيداً : ناديته وطلبت إقباله » ^(٥) .
 والدعوة : الحلف ، والدعاء إلى الطعام .
 والنبي - ﷺ - داعي الله ، ويطلق على المؤذن كذلك داع ^(٦) .
 « ودعا بالشيء : طلب إحضاره ، وإلى الشيء : حثه على قصده ، ويقال : دعا فلاناً : استعان به » ^(٧) .

ب- تعريف الدعوة في الاصطلاح :

تطلق كلمة الدعوة في الاصطلاح ويراد بها معنيان :
 الدعوة بمعنى النشر والبلاغ ، والدعوة بمعنى الإسلام والرسالة ^(٨) .

- (١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي / (٢ / ٢٦٤ ، ٢٦٥) ، للعلامة أحمد بن محمد المقرئ الفيومي .
- (٢) انظر : تاج العروس من جواهر القاموس / (١٠ / ١٢٧) ، محمد بن مرتضى الزبيدي .
- (٣) سورة يونس ، الآية (١٠) .
- (٤) انظر : تاج العروس من جواهر القاموس / (١٠ / ١٢٦) .
- (٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي / (٢ / ٢٦٤) .
- (٦) انظر : القاموس المحيط / (١٢٨٣) ، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة .
- (٧) المعجم الوسيط / (ص ٢٨٦) ، إبراهيم مصطفى ، وآخرون .
- (٨) انظر : الدعوة الإسلامية (أصولها ووسائلها) / (ص ١٠) ، تأليف : د. أحمد أحمد غلوش ، فقه الدعوة والإعلام / (ص ١٩) ، تأليف : د. عمارة نجيب .

الأول : الدعوة بمعنى النشر والبلاغ :

مما عُرِّفَتْ به على هذا المعنى ما يلي :

- ١- « تبليغ الإسلام للناس ، وتعليمه إياهم ، وتطبيقه في واقع الحياة ».^(١)
- ٢- « قيام من عنده أهلية النصح الرشيد ، والتوجيه السديد من المسلمين ، في كل زمان ومكان بترغيب الناس في الإسلام اعتقاداً ومنهجاً ، وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصة ».^(٢)

وهذا هو المعنى المراد في هذه الدراسة.

الثاني : الدعوة بمعنى الإسلام والرسالة :

مما عُرِّفَتْ به على هذا المعنى ما يلي :

- ١- « الدين الذي ارتضاه الله للعالمين ، وأنزل تعاليمه وحياً على رسول الله ﷺ ، وحفظها القرآن الكريم ، وبينها في السنة النبوية ».^(٣)
- ٢- « دين الله الذي بعث به الأنبياء جميعاً ، تجدد على يد محمد ﷺ - خاتم النبيين ، كاملاً وافياً لصالح الدنيا والآخرة ».^(٤)

٢ - سُورَةُ :

أ- تعريف السُورَةِ في اللغة :

- « السين والواو والراء أصل واحد يدل على علو وارتفاع .
والسُورُ : جمع سُورَةٍ ، وهي كل منزلة من البناء ».^(٥)
« والسُورَةُ من القرآن جمعها سُورٌ مثل غُرْفَةٍ وغُرُفٌ ».^(٦)

(١) المدخل إلى علم الدعوة / (ص ٤٠) ، تأليف: د. محمد أبو الفتوح البيانوني .

(٢) الدعوة إلى الله ، خصائصها ، ومقوماتها ، ومناهجها/ (ص ١٨) ، تأليف: د. أبو المجد السيد نوفل.

(٣) الدعوة الإسلامية (أصولها ووسائلها)/ (ص ١٢ ، ١٣).

(٤) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية / (ص ٣٩) ، تأليف الشيخ: محمد الراوي .

(٥) معجم مقاييس اللغة / (٣/ ١١٥).

(٦) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي/ (٣/ ٤٠٠).

والسُورَة : المنزلة ، وسميت السُورَة من القرآن بذلك لأنها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى .^(١)

والسُورَة -أيضاً- الرُّفْعَة ، وبها سميت السُورَة من القرآن ، أي رفعة وخير .^(٢)

ب- تعريف السُورَة في الاصطلاح :

للسُورَة في الاصطلاح عدة تعاريف ، تتقارب في المعنى ، ومنها ما يلي :

١ - « طائفة مستقلة من آيات القرآن ذات مطلع ومقطع » .^(٣)

٢ - قرآن يشتمل على أي ذي فاتحة وخاتمة ، وأقلها ثلاث آيات .

٣ - هي الطائفة المترجمة توقيفاً ، أي المسماة باسم خاص بتوقيف من النبي

-صلى الله عليه وسلم- .^(٤)

٣ - الحج :

أ- تعريف الحج في اللغة :

الحجُّ : القصد .

يقال : حجَّ إلينا فلان أي : قدم ، وحجَّه يحجُّه حجاً : قصده .

والحجُّ : الزيارة والإتيان ، وإنما سمي حاجاً لزيارة بيت الله .^(٥)

« وحجَّ -من باب قتل- : قصد فهو حاج ، هذا أصله ، ثم قُصِرَ استعماله في

الشرع على قصد الكعبة للحج أو العمرة ، والجمع حجج » .^(٦)

ومنه الحاجة ، يقال حاججت فلاناً فحججته أي غلبته بالحجة ، فيقصد إظهار الحق

المطلوب .^(٧)

(١) انظر : القاموس المحيط / (ص ٤١١) .

(٢) انظر : لسان العرب / (٤ / ٣٨٧) ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور .

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن / (١ / ٣٥٠) ، للشيخ : محمد بن عبد العظيم الزرقاني ، ترتيب وتخريج : أحمد شمس الدين .

(٤) انظر : الإتيان في علوم القرآن / (١ / ٥٢) ، للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي .

(٥) انظر : لسان العرب / (٢ / ٢٢٦ ، ٢٢٧) .

(٦) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي / (٢ / ١٦٦) .

(٧) انظر : معجم مقاييس اللغة / (٢ / ٣٠) .

ب- تعريف الحج في الاصطلاح:

للحج في الاصطلاح عدة تعريفات ، منها:

- ١- « قصد مكة لعمل مخصوص في زمن مخصوص ».^(١)
 - ٢- « قصد مكة للنسك ».^(٢)
 - ٣- « وقوف بعرفة ، ليلة عاشر ذي الحجة ، وطواف بالبيت سبعا ، وسعي بين الصفا والمروة كذلك ، على وجه مخصوص ».^(٣)
 - ٤- « التعبد لله - عز وجل - بأداء المناسك على ما جاء في سنة رسول الله - ﷺ - ».^(٤)
- وهذا التعريف تعريف جامع لجميع مناسك الحج ، مانع لدخول ما ليس فيها بتقييدها بما جاء عن رسول الله - ﷺ - ، مبين الهدف من القيام بها بعبادة الله - عز وجل - .
- ويمكن مما سبق تعريف سورة الحج اصطلاحاً بأنها : الطائفة المستقلة من آيات القرآن ، ذات فاتحة وخاتمة ، المسماة بسورة الحج توقيفاً من النبي - ﷺ - .
- وتعريف الدعوة إلى الله في سورة الحج بأنها : دراسة سورة الحج من الجانب الدعوي الذي يركز على القضايا الدعوية في أركان الدعوة ، للاستفادة منها في الدعوة إلى الله .

ثانياً : أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

إن أصدق الحديث كلام الله ، وأعظم ما اشتغل به الدارسون العناية بكتاب الله - تعالى - ، فقد جاء مشتملاً إجمالاً وتفصيلاً على تشريعات إلهية لا غنى للبشرية عنها ، فمن أخذ بها فاز وأفلح ومن أعرض عنها خاب وخسر ، وقد أحكم الله بيانه ، وأتم إعجازه ، وتكفل بحفظه إلى قيام الساعة ، قال - تعالى - : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا

(١) الروض المربع شرح زاد المستقنع / (١/ ٤٥٣) ، للشيخ منصور بن يونس بن إدريس البهوتي .

(٢) الفروع / (٣/ ٢٠٣) ، لأبي عبد الله محمد بن مفلح .

(٣) القاموس الفقهي / (ص ٧٦ ، ٧٧) ، تأليف: سعدي أبو حبيب .

(٤) الشرح الممتع على زاد المستقنع / (٧/ ٧ ، ٨) ، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، اعتنى به :

د. سليمان بن عبد الله بن حمود أبا الخيل ، د. خالد بن علي بن محمد المشيقح .

لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١﴾.

والبشرية في كل زمان ومكان بحاجة ماسة للتشريع الإلهي الحكيم ؛ لتسير أمورها ، وتنظم معيشتها ، ويرتقي تفكيرها ، فإذا انحرفت أرسل الله - ﷻ - بكمال عدله ورحمته رسلاً يبشرون بعظيم الثواب وجزيل العطاء لمن تاب وأناب وسلك طريق الرشاد ، وينذرون من اتبع هواه وسلك سبيل الضلال بأن الله شديد العقاب ، وأنه عزيز ذو انتقام ، قال - تعالى - : ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (٢).

وبَيَّنَ كتاب الله - سبحانه وتعالى - والدعوة إلى الله تلازم لا ينفك ولا تنفصم عراه ، فكله دعوة لله ، يهدف إلى إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، قال - سبحانه وتعالى - : ﴿الرَّكَابُ أَتَيْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (٣).

فقد صرَّفَ الله فيه الآيات ، ونوَّعَ الأساليب ، وضرب الأمثال ، وذكر حال الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - مع أقوامهم ، وبَيَّنَ الأساليب والمناهج القويمة التي اتبعوها ، كما حكى عن الداعي الأول لهذه الأمة نبينا محمد - ﷺ - ، وما لقيه في سبيل الدعوة ، وجهوده التي بذلها في تبليغ الدين الإسلامي.

فكان نبي هذه الأمة خاتم الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام - ، وقد قام بمهمة الرسل خير قيام ، فبلغ الرسالة ، وأدَّى الأمانة ، وأقام الحجة ، وأعدَّ الأمة من بعده للاضطلاع بمهام النبوة ، فكان أول من اضطلع بالدعوة إلى الله وقام بها واعتنى بشأنها هم أفضل الخلق وأكملهم ، وهم الأنبياء والمرسلون ، ثم جاء من بعدهم من اقتفى أثرهم ، وورث ميراثهم ، ونهج نهجهم من الدعاة إلى الله .

(١) سورة الحجر ، الآية (٩).

(٢) سورة النساء ، الآية (١٦٥).

(٣) سورة إبراهيم ، الآية (١).

ولهذا كانت الدعوة إلى الله من أجل الأعمال التي تهدف إلى تحقيق أسمى الغايات وأفضلها بدعوة الناس إلى الله .

والواقع اليوم يحتاج إلى دعاة يعرفون كتاب الله ، ويتدبرون آياته ، ويفهمون معانيه ، ويستخرجون لآله ودرره ، و يدعون إلى سبيل الله بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، ويجادلون بالتي هي أحسن .

ومن أبرز السور التي ضمت مفردات رئيسة في الدعوة إلى الله سورة الحج ، فقد دعت إلى وحدة العقيدة بتوحيد الله والإيمان باليوم الآخر والإيمان بالبعث والنشور ، ودعت للقيام بالأعمال الصالحة كالجهاد وأداء فريضة الحج والقيام بواجبات التمكين ، وإلى التحلي بالأخلاق الفاضلة .

كما بينت مهمة الداعي إلى الله والتي تقوم على توجيه الناس وإرشادهم إلى طريق الحق والصواب ، وأنها وظيفة الرسل -عليهم الصلاة والسلام- ، وألقت الضوء على صفات عظيمة للدعاة إلى الله ، وبينت حال المدعوين إلى الله وأصنافهم ، بل وبينت بعضاً من أساليب الدعوة ووسائل تبليغها ، وميادينها التي تمارس فيها .

وبالإضافة إلى ما سبق من أهمية الموضوع ، فإنني أبين أسباب اختياره :

١- الرغبة في بحث ودراسة سورة من كتاب الله من خلال البحث الأكاديمي الخاضع للتوجيه والتقويم .

٢- مجيء سورة الحج مشتملة على مفردات رئيسة في الدعوة إلى الله ، وأنها تلقي الضوء على معانٍ عظيمة يهم الدعوة معرفتها ، وموافقة ذلك لتخصصي العلمي في الدعوة والاحتساب .

٣- حاجة الدعاة اليوم إلى معرفة مرتكزات سليمة مستمدة من كتاب الله في الدعوة إليه - سبحانه وتعالى - .

ثالثاً : أهداف الدراسة :

١- تقديم دراسة تأصيلية في علم الدعوة من كتاب الله -تعالى- ، وذلك بدراسة

- سورة من سوره الكريمة ، وبيان ما فيها من جوانب الدعوة إلى الله .
- ٢- تأصيل مبدأ الرجوع إلى كتاب الله وسنة نبيه -ﷺ- عند كل قضية ، ولا سيما قضايا الدعوة التي كثر الخلاف حولها في وقتنا الحاضر .
- ٣- إبراز الفوائد الدعوية العظيمة التي جاءت بها سورة الحج .
- ٤- تزويد المكتبة الإسلامية بمؤلف علمي خاضع للتدقيق من علماء أفاضل ، يبين للدعاة طريقة القرآن في معالجة بعض القضايا الدعوية وذلك في سورة من سوره .

رابعاً : الدراسات السابقة :

بحث هذه السورة ودرستها من هذه الوجهة لم يسبقني إليه أحد فيما أعلم ،^(١) فلإني لم أجِد من بحث هذه السورة بدراسة دعوية في رسالة علمية ، وما سأقوم به -بمشيئة الله- في هذا البحث هو دراسة القضايا الدعوية الموجودة فيها ، وتحليلها تحليلاً مناسباً .

وقد وجدت أن ما طرَحَ حول هذا الموضوع جاء على صنفين :

الأول: الكتب العامة :

وهي الكتب التي تناولت بعض جزئيات هذا الموضوع بوجه عام ، وهي على نوعين:

(١) مما قامت به الباحثة من جهد في هذا الصدد ما يلي :

- أ - الرجوع إلى الرسائل والبحوث العلمية المقدمة إلى أقسام الدعوة في كل من : جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية بالرياض والمدينة المنورة ، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، والتأكد من عدم تسجيل الموضوع لرسالة علمية في هذه الجامعات .
- ب- الرجوع إلى المراكز والمكتبات المعنية بالبحث العلمي للبحث عن الرسائل العلمية والأبحاث والكتب ذات الصلة بموضوع البحث أو القرية من بعض جزئياته ، حيث تم تتبع ذلك لدى : مكتبة الملك فهد الوطنية ، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ومكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ومكتبة جامعة الملك سعود ، فلم أجِد من بحث هذه السورة من الوجهة التي أريد بحثها - بإذن الله - .

● كتب تفسير القرآن الكريم - وهي كثيرة ومعلومة- ، وهذه الكتب تناولت هذه السورة الكريمة بالتفسير والبيان ، وهي في هذا تختلف عن ما أود بحثه في هذا الموضوع ، فلست أريد تفسير السورة ، فللتفسير علماءه ، ولكني أريد - بمشيئة الله - طرح ومناقشة القضايا الدعوية التي تزخر بها هذه السورة الكريمة .

● مؤلفات وكتب عن فريضة الحج ، وهي إما كتب وعظية تتحدث عن مكانة الحج وفضله ، أو كتب فقهية في مناسك الحج ومسائله ، والكتب من هذا النوع كثيرة لكنها تختلف عن موضوعي اختلافاً كلياً - كما هو مبين في خطة البحث- ، فلن أتحدث عن فريضة الحج إلا باعتبارها إحدى القضايا الدعوية الكثيرة الواردة في هذه السورة الكريمة ، وذلك في جزئية تبين أنها موضوع من موضوعات الدعوة إلى الله ، وميدان من ميادينها .

الثاني: الكتب الخاصة :

وهي الكتب التي تناولت سورة الحج بالبحث والعناية بوجه خاص ، وقد جاءت على نوعين:

● الدراسات الجامعية^(١):

١- دراسة أصول العقيدة في ضوء سورة الحج/ للدكتورة : زهرة بنت محمد ابن أسامة فادان.

وهذه الدراسة قدمت لكلية الآداب للبنات بالرياض ، قسم الدراسات الإسلامية، للحصول على درجة الدكتوراه في العقيدة والمذاهب المعاصرة.

(١) من الدراسات الجامعية التي لم أقف عليها ولم أستطع الوصول إليها - بعد بذل الجهد في البحث عنها في المراكز والمؤسسات المعنية بالبحث العلمي في الرياض وغيرها- ، ما يلي:

- تفسير سورة الحج والأهداف التي ترمي إليها / للدكتور: كمال محمد الهدي السيد النجار ، جامعة الأزهر، مصر ، رسالة دكتوراه.

- سورة الحج دراسة نحوية وصرفية / للباحث : إبراهيم عبدالسلام أدبيلو ، جامعة أم القرى في مكة المكرمة، رسالة ماجستير.

وقد اشتملت هذه الدراسة على مقدمة وتمهيد وأربعة أبواب وخاتمة.
واشتمل التمهيد على موضوعين أحدهما : العقيدة وأهميتها للإنسان المعاصر.
وثانيهما : التعريف بالسورة الكريمة ومقاصدها.
أما الباب الأول فتناول الأصل الأول من أصول الإيمان وهو الإيمان بالله .
والباب الثاني اشتمل على الحديث عن الإيمان بالرسول - عليهم الصلاة والسلام - .
وجاء الباب الثالث في الحديث عن الإيمان باليوم الآخر .
أما الباب الرابع والأخير فقد كان للكلام عن آثار الإيمان والإنكار ، بيان أثر
الإيمان وثواب المؤمنين ، وأثر الإنكار وثواب المنكرين .
ومما سبق نلاحظ أن هذه الدراسة اقتصرنا على دراسة أصول العقيدة في سورة
الحج ، وهي في هذا تختلف عن دراستي لهذه السورة الكريمة ، فإني سأقوم - بمشيئة
الله - بدراسة أبرز القضايا الدعوية الواردة فيها .
٢- من بلاغة القرآن الكريم في سورة الحج / للباحثة : حصة بنت عبد الله بن فهد
الريميح .

وهذه الدراسة تقدمت بها الباحثة لكلية التربية للبنات بالرياض ، قسم اللغة
العربية ، للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية .
وقد اشتملت هذه الدراسة على مقدمة وتمهيد وباين وخاتمة .
وقد جاء التمهيد عن التعريف بسورة الحج .
أما الباب الأول فتناول منهج السورة في اختيار ألفاظها ، متضمناً الحديث عن
اختيار اللفظ الدقيق في تعبيره عن المراد في المعاني الجزئية ، واختيار الكلمة لبنائها
ووزنها وتكوينها الصوتي ، والرقعة والجزالة ومواطنها في السورة .
والباب الثاني اشتمل على الحديث عن النظم القرآني في السورة الكريمة ، مبيناً
بلاغة التركيب ، والصورة البيانية ، والصورة الإبداعية .
وبهذا يتضح أن هذه الدراسة اقتصرنا على دراسة الجانب البلاغي في سورة
الحج ، وهي في هذا تختلف عن دراستي لهذه السورة الكريمة .

• الكتب العلمية :

- الطريق إلى الأمة المسلمة في سورة الحج / عبد الحميد محمود طهماز .
وقد جاء الكتاب في أربعة فصول فقط دون ذكر مباحث أو فروع وإنما مجرد عناوين جانبية تربو عن الخمسة وعشرين عنواناً في بعض الفصول .
فجاء الفصل الأول : عن الإيمان بالله واليوم الآخر ، متناولاً الآيات الواردة في هذا الصدد بالتفسير .

والفصل الثاني : عن البيت الحرام وفريضة الحج ، مبيناً فريضة الحج ومناسكها .
أما الفصل الثالث : فعن الجهاد ، وتحدث فيه عن مشروعية الجهاد ، والتدرج في الإذن بالقتال .

والفصل الرابع : عن الاصطفاء والاختبار للأمة المسلمة ، ويتحدث فيه المؤلف عن الآيات الأخيرة من سورة الحج والتي بينت اصطفاء الله - سبحانه وتعالى - للأمة المسلمة ، والتبعات التي أنيطت بها .

وقد لاحظت أنه يختلف عن مخططي فيما يلي :

١- لم يقيم المؤلف بدراسة السورة دراسة علمية دعوية ، وإنما جاء الكتاب سوانح فكر وخواطر قلب كما ذكر المؤلف .

٢- جاء الكتاب في أربعة فصول فقط تحدث فيها المؤلف عن بعض القضايا الواردة في السورة بشكل عام دون دراستها دعوياً ، وقد أغفل الحديث عن القضايا الأخرى ، و ما سأقوم به هو دراسة جميع القضايا الدعوية الواردة في السورة كما هو مبين في تقسيم الدراسة .

٣- يغلب على الكتاب الصبغة التفسيرية ، والصياغة الوعظية الإرشادية .

خامساً: تساؤلات الدراسة :

تهدف الدراسة - بإذن الله - إلى الإجابة عن الأسئلة التالية :

١- ما موضوع الدعوة إلى الله في سورة الحج ؟

- ٢- ما مهمة الداعي إلى الله ؟
- ٣- كيف يتم إعداد الداعي إلى الله في سورة الحج ؟
- ٤- ما صفات الداعي إلى الله في سورة الحج ؟
- ٥- ما أصناف المدعوين التي وردت في سورة الحج ؟
- ٦- ما الأحوال التي يكون عليها المدعو في سورة الحج ؟
- ٧- ما وسائل الدعوة إلى الله في سورة الحج ؟
- ٨- ما أساليب الدعوة إلى الله في سورة الحج ؟
- ٩- ما ميادين الدعوة إلى الله في سورة الحج ؟

سادساً: المناهج المستخدمة في هذه الدراسة :

تعتمد هذه الدراسة على المناهج التالية :

١- المنهج الاستدلالي الاستنباطي :

« وهو المنهج الذي يبدأ الباحث السير فيه من قضايا ثابتة ومُسلّم بها ، إلى قضايا أخرى تتضمنها ، وتنتج عنها بالضرورة دون الالتجاء إلى التجربة ، ويتم هذا بواسطة القول أو بواسطة الحساب »^(١).

٢- المنهج التحليلي :

« وهو المنهج الذي يعتمد على جمع المعلومات التي تتعلق بأي نشاط كان ، ثم تحليل تلك المعلومات المجموعة لاستخلاص ما يمكن استخلاصه منها »^(٢).

٣- المنهج الاستقرائي :

« وهو ما يقوم على حصر جميع الجزئيات للمسألة التي هي موضوع البحث ، والتتبع لما يعرض لها مع الاستعانة بالملاحظة في جميع جزئيات المسألة »^(٣).

(١) مناهج البحث/ (ص ٨١) ، تأليف: غازي بن حسين عناية ، وانظر: مناهج البحث العلمي/ (ص ١٨) ، تأليف: عبدالرحمن بدوي .

(٢) مناهج البحث وكتابتها/ (ص ٨٩) ، تأليف: يوسف بن مصطفى القاضي .

(٣) البحث العلمي/ (ص ١٧٩) ، تأليف: أ. د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن الربيع .

وقد راعيتُ بعض الأمور المهمة ، والتي منها :

أ) المادة العلمية :

- ١- حصر الآيات التي فيها دلالات دعوية ، وتفسيرها تفسيراً يوضح ما فيها من الدعوة إلى الله عند الحاجة لذلك.
- ٢- الاستشهاد بالآية أو الآيات في مواضع متعددة من الرسالة ، وذلك للاستدلال بها في كل موضع حسب ما يقتضيه المقام ؛ إما لكونها مشتملة على أمور متعددة ، أو كونها تحتل عدة معان ، مع إحالة المتأخر على المتقدم ما أمكن.
- ٣- الاستدلال بالأحاديث النبوية في المسائل التي تتطلب ذلك .
- ٤- اعتماد أقوال السلف - رحمهم الله - ، وبالذات في القرون المفضلة ، والمشهود لهم بالتقوى والصلاح .
- ٥- الاستفادة من الكتابات المعاصرة ، في موضوعات الرسالة .
- ٦- نقل المادة العلمية عموماً من مصادرها ومراجعتها الأصلية ما أمكن .
- ٧- لضبط المادة العلمية فإن النصوص القرآنية كتبها بالرسم العثماني مُشَكَّلَةً ، وجعلتها بين قوسين مميزين « » ، والأحاديث النبوية جعلتها بين قوسين هلالين () ، وما نقلته بنصه جعلته بين قوسين مزدوجين صغيرين « » .

ب) الهوامش :

- ١- عزو الآيات بذكر رقم الآية واسم السورة ، وإذا احتاج المقام إلى ذكر أول الآية أو آخرها فعلت ذلك .
 - ٢- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها الأصلية .
- وقد جاءت أكثر أحاديث هذه الرسالة من أحاديث صحيح الإمام البخاري ، وأحاديث صحيح الإمام مسلم ، فكنت أخرج الحديث منهما ، وأكتفي بذلك ،

وقد اعتمدت كتاب : موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) ؛ لكون هذه النسخة طبعة مصححة ومرقمة ومرتبة حسب المعجم المفهرس وتحفة الأشراف ومأخوذة من أصح النسخ ، ومذيلة بفهرس لتراجم الأبواب وأطراف الأحاديث والآثار من قبل بعض طلبة العلم ، وبإشراف ومراجعة معالي الشيخ / صالح ابن عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ .

أما بقية الأحاديث الواردة في الرسالة - وليست كثيرة - فقد جاءت من :

أ- سنن أبي داود .

ب- سنن الترمذي (الجامع الصحيح).

ج- سنن النسائي .

د- سنن ابن ماجه .

وقد اعتمدت في هذه السنن الأربع على النسخ التي حكم على أحاديثها وآثارها وعلّق عليها العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله - ، والتي اعتنى بها أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، لكون هذه النسخ طبعة مميزة بضبط نصّها ، ووضع الحكم على الأحاديث والآثار ، وفهرست الأطراف والكتب والأبواب .

٣- تخريج آثار الصحابة - رضوان الله عليهم - والتابعين والسلف - رحمهم الله - من المصنفات والكتب المختصة بها ما أمكن ذلك.

٤- ترجمة الأعلام الواردين في ثنايا الرسالة ، وتركت المشهورين منهم كأمهات المؤمنين ، والعشرة المبشرين بالجنة ، والعبادلة الأربعة -عبدالله بن عمر ، عبدالله بن عباس ، عبدالله بن الزبير ، عبدالله بن عمرو- ، والمكثرين من رواية الحديث ، وغيرهم ممن أرى شهرتهم ، ومن لم أعتز على ترجمته بعد بذل الجهد في البحث عنها أقول : لم أجد له ترجمة.

٥- بيان معاني المفردات الغريبة من كتب اللغة.

- ٦- تعريف الأماكن والبلدان غير المشهورة الواردة في الرسالة.
- ٧- إذا نقلت النص حرفياً فإني أضع علامة التنصيص وأكتب في الهامش المصدر أو المرجع مباشرة ، وإذا تصرفت فيه ولو كان تصرفاً يسيراً فإني أسبقه بكلمة انظر .
- ٨- عند ذكر لي مصدر أو مرجع له أجزاء أذكر رقم الجزء أولاً ، ثم أضع خطأً مائلاً وأذكر رقم الصفحة بعد هذا الخط هكذا (٤٤/١) مثلاً ، بدون ذكر (ج ١/ص ٤٤) ، وإذا كان المصدر أو المرجع ليس له أجزاء فأثبتته هكذا (ص ٤٤) ، واعتمدت هذا في كل هوامش الرسالة .
- ٩- عند الإحالة إلى المصادر والمراجع أكتب اسم الكتاب ثم رقم الجزء - إن وجد - ثم رقم الصفحة ، وإن كان المصدر أو المرجع يذكر لأول مرة أكتب اسم المؤلف ، واسم المحقق - إن وجد - بعدهما ، دون ذكر لبيانات نشر الكتاب ، منعاً للإطالة في هوامش الرسالة ، مكتفية بذكرها في فهرس المصادر والمراجع.

(ج) الفهارس :

- ١- فهرس الآيات القرآنية ، مرتبة حسب السور .
- ٢- فهرس الأحاديث النبوية ، مرتبة حسب الحرف الأول للحديث ترتيباً هجائياً.
- ٣- فهرس الآثار ، مرتبة حسب الحرف الأول للأثر ترتيباً هجائياً .
- ٤- فهرس الأعلام ، مرتبة حسب الحرف الأول لاسم العلم ترتيباً هجائياً .
- ٥- فهرس المواقع والبلدان ، مرتبة حسب الحرف الأول للموقع والبلد ترتيباً هجائياً .
- ٦- فهرس الفرق والطوائف ، مرتبة حسب الحرف الأول للطائفة والفرقة ترتيباً هجائياً .
- ٧- فهرس المصادر والمراجع ، مرتبة ترتيباً هجائياً حسب الحرف الأول لاسم

الكتاب ، وتدوين المصادر كآلاتي :

الكتاب ، اسم المؤلف ، لقبه ، اسم المحقق أو المعلق - إن وجد - ، دار النشر ، مكان الطبع ، عدد الطبعة ، تاريخ الطبع .

وقد استخدمت في فهرس المصادر والمراجع الرموز التالية :

(د : د) وأعني : بدون دار النشر ، (د : م) بدون ذكر مكان النشر ، (د : ط)

بدون تحديد للطبعة ، (د : ت) بدون تاريخ الطبع ، وقد يجتمع رمزان فأكثر، مثل (د :

ط ، ت) وأعني : بدون تحديد للطبعة ، وبدون تحديد لتاريخ الطبع .

٨ - فهرس الموضوعات .

سابعاً : خطة الدراسة :

المقدمة .

تمهيد :

المبحث الأول : التعريف بسورة الحج .

المبحث الثاني : التعريف بأركان الدعوة إلى الله .

الفصل الأول : موضوع الدعوة إلى الله في سورة الحج .

المبحث الأول : الدعوة إلى الله في مجال العقيدة .

المبحث الثاني : الدعوة إلى الله في مجال الشريعة .

المبحث الثالث : الدعوة إلى الله في مجال الأخلاق .

الفصل الثاني : الداعي إلى الله في سورة الحج .

المبحث الأول : مهمة الداعي إلى الله في سورة الحج .

المبحث الثاني : إعداد الداعي إلى الله في سورة الحج .^(١)

المبحث الثالث : صفات الداعي إلى الله في سورة الحج .

(١) في المخطط المعتمد من مجلس عمادة الدراسات العليا كان اسم المبحث: (إعداد الداعية إلى الله في سورة

الحج) ، فقامت الباحثة بتعديل كلمة (الداعية) إلى (الداعي) تناسباً مع بقية المباحث.

الفصل الثالث : المدعو إلى الله في سورة الحج.

المبحث الأول : أصناف المدعوين إلى الله في سورة الحج.

المبحث الثاني : أحوال المدعوين إلى الله في سورة الحج.

الفصل الرابع : وسائل الدعوة إلى الله ، وأساليبها ، وميادينها في سورة الحج.

المبحث الأول : وسائل الدعوة إلى الله في سورة الحج.

المبحث الثاني : أساليب الدعوة إلى الله في سورة الحج.

المبحث الثالث : ميادين الدعوة إلى الله في سورة الحج.

الخاتمة : وتشمل التوصيات ، و النتائج التي توصلت إليها.

الشكر والتقدير :

بعد شكر الله -تعالى- الذي أكرمني بنعم لا تُحصى ولا تُقدَّر ، والذي أحسن إليّ بكرمه وفضله ، ويسر لي إتمام هذا البحث ، فإنني أتقدم بالشكر والعرفان إلى أعز الناس والذي الحبيب الذي رباني على حب العلم وأهله ، وشجعني على إتمام دراستي ، وكان خير عون لي أثناء إعدادي هذا البحث ، ووالدتي الغالية ذات الصدر الحنون ، التي كانت ملاذاً لي -بعد الله- كلما أهمني وشق عليّ أمر ، فلهما كل الشكر والتقدير ، وأسأل المولى أن يرزقني برهما ، والإحسان إليهما ، وأن يطيل عمرهما على البر والتقوى.

كما أشكر جميع إخواني ، وخالي الفاضل : يوسف بن محمد السويل ، على ما بذلوه من عون ودؤوب حتى أنهت هذه الرسالة ، وأسأل الله -تعالى- أن يجزل لهم الأجر والثوبة.

كما أسأله -جلّ شأنه- أن يغفر لأخي العزيز : علي ، الذي رحل عن دنيانا أثناء إعدادي هذا البحث ، والذي كان نعم الأخ المشفق الحريص على تقديم كل عون لي ، فاللهم أحسن إليه كما أحسن إليّ ، واغفر له ، وارحمه ، وتجاوز عنه ، واجمعنا به في دار كرامتك.

وأقدم بالشكر والتقدير لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ولكلية الدعوة والإعلام ، ممثلة في فضيلة عميدها ووكلائها على ما يقدمونه من جهود مباركة في خدمة العلم وطلابه.

وأخص بالشكر الجزيل فضيلة الدكتور / عبدالله بن محمد الرشيد ، الأستاذ المشارك في قسم الدعوة والاحتساب والمشرق على هذه الرسالة ، والذي كان قمة في العطاء والخلق الكريم ، على ما بذل وأعطى من وقته وجهده ونصحه حتى خرج البحث بصورته النهائية ، والشكر كذلك لفضيلة الدكتور / إبراهيم بن عبدالله المطلق ، الأستاذ المساعد في قسم الدعوة والاحتساب والمرشد والموجه لي في إعداد خطة البحث حتى تمت واتضح بناؤها .

فلهما كل الشكر والتقدير ، ودعوة صادقة في ظهر الغيب أن يجزيهما الله عني خير ما جزى أستاذاً عن تلميذه .

كما أشكر فضيلة الأستاذ الدكتور / حسين عبدالمطلب ، الأستاذ في قسم الدعوة والاحتساب ، وفضيلة الدكتور / عبدالله بن إبراهيم اللحيدان ، الأستاذ المشارك في قسم الدعوة والاحتساب ، على تفضلهما بقبول مناقشة الرسالة ، سائلة المولى -جل شأنه- أن يبارك لهما في علمهما وعملهما ، وأن يجزيهما عني خيراً.

والشكر موصول لكل أساتذتي الأجلاء ، ولمن كان له فضل عليّ بعد الله -تعالى- ، ولكل من أسدى إليّ معروفاً .

وأسأل المولى -جل شأنه- أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به ، ويبارك لي فيه ، وأسأله أن يغفر لي ولوالدي والمسلمين أجمعين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

التمهيد :

ويشتمل على بحثين :

المبحث الأول : التعريف بسورة الحج .

المبحث الثاني : التعريف بأركان الدعوة إلى الله .

المبحث الأول: التعريف بسورة الحج .

أولاً: وجه تسميتها بسورة الحج :

تسمى هذه السورة بسورة الحج ، وليس لها اسم غير هذا .
ووجه تسميتها بهذا الاسم : أن الله ذكر فيها كيف أمر إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - بالدعوة إلى حج البيت الحرام ، وذكر ما شرع للناس يومئذ من النسك تنوياً بالحج ، وما فيه من فضائل ومنافع ، وتقريعاً للذين يصدون المؤمنين عن المسجد الحرام ، وإن كان نزولها قبل أن يفرض الحج على المسلمين بالاتفاق ، وإنما فرض الحج بالآيات التي في سورة البقرة وفي سورة آل عمران^(١).

ثانياً: نوعها وعدد آياتها :

اختلف أهل العلم في هذه السورة هل هي مكية أو مدنية ؟ على عدة أقوال :
١ - فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - ، ومجاهد^(٢) ، وعطاء^(٣) - رحمهما الله - :

(١) التحرير والتنوير / (١٦/١٧٩) ، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، والآيات : قال - تعالى - : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ... ﴾ [سورة البقرة ، الآية: ١٩٦] ، وقال - تعالى - : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ... ﴾ [سورة آل عمران ، الآية: ٩٧] .

(٢) مجاهد بن جبر ، الإمام ، شيخ القراء والمفسرين ، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي ، ولد سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر - رضي الله عنه - ، روى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ، وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقه ، كان فقيهاً ، كثير الحديث ، عالماً ورعاً ثقة متقناً ، توفي بمكة سنة اثنتين أو ثلاث ومئة . انظر : سير أعلام النبلاء / (٤/٤٤٩-٤٥٧) ، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تهذيب التهذيب / (٤/٢٥ ، ٢٦) ، للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، عناية: إبراهيم الزبيق ، عادل مرشد .

(٣) عطاء بن أبي رباح ، اسمه أسلم القرشي ، الإمام ، مفتي الحرم ، ولد أثناء خلافة عثمان - رضي الله عنه - في الجند ، وهي بلدة مشهورة في اليمن ، نشأ بمكة ، كان ثقة فقيهاً عالماً ، كثير الحديث ، فصيح الكلام ، انتهت فتوى أهل مكة إليه ، توفي سنة خمس عشرة ومئة . انظر : سير أعلام النبلاء / (٥/٧٨-٨٨) ، تهذيب التهذيب / (٣/١٠١-١٠٣) .

هي مكية إلا ثلاث آيات من قوله - تعالى - ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ ﴾ ، إلى

﴿... وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ٢٢﴾ .^(١)

٢- ذكر ابن عطية^(٢) - رحمه الله - : أن النقاش^(٣) - رحمه الله - عد ما نزل منها بالمدينة عشر آيات .

٣- وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أيضاً ، والضحاك^(٤) ، وقتادة^(٥) - رحمهما الله - أنها مدنية إلا آيات : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ ، إلى قوله - تعالى - : ﴿... أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ٢٢﴾ .^(٦) فهن مكيات .

(١) سورة الحج ، الآيات (١٩-٢٢) .

(٢) عبدالحق بن الحافظ أبي بكر غالب بن عطية الحاربي الغرناطي ، (٤٨٠-٥٤١هـ) ، أبو محمد ، الإمام العلامة ، شيخ المفسرين ، كان إماماً في الفقه والتفسير والعربية ، قوي المشاركة ، ذكياً فطناً مدركاً ، من أوعية العلم . انظر : سير أعلام النبلاء / (١٩/٥٨٧-٥٨٨) ، طبقات المفسرين / (ص ٦٠ ، ٦١) ، للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : علي محمد عمر .

(٣) محمد بن الحسن بن محمد بن زياد الثَّقَافُ ، (٢٦٦-٣٥٠هـ) ، أبو بكر ، العلامة المفسر ، شيخ القراء ، كان واسع الرحلة ، قدم اللقاء ، وهو في القراءات أقوى منه في الروايات ، من كتبه : « شفاء الصدور » في التفسير ، و « المناسك » . انظر : سير أعلام النبلاء / (١٥/٥٧٣-٥٧٦) ، طبقات المفسرين / (ص ٩٤ ، ٩٥) .

(٤) الضحَّاك بن مزاحم الهلالي ، أبو القاسم ، ويقال : أبو محمد الخرساني ، صاحب التفسير ، يعد من أوعية العلم ، وليس بالمجَّود لحديثه ، وهو صدوق في نفسه ، ثقة ، كان معلِّم كتاب ، وله باع كبير في التفسير والقصص ، نقل غير واحد وفاة الضحَّاك في سنة اثنتين ومئة . انظر : سير أعلام النبلاء / (٤/٥٩٨-٦٠٠) ، تهذيب التهذيب / (٢/٢٢٦، ٢٢٧) .

(٥) قَتَادَةُ بن دَعَامَةَ بن قَتَادَةَ بن عزيز ، حافظ العصر ، قدوة المفسرين والمحدثين ، ولد سنة واحد وستين ، وهو من أوعية العلم ، ومن يضرب به المثل في قوة الحفظ ، وهو حجة بالإجماع إذا بين السماع ، وما توقف أحد في صدقه وعدالته وحفظه ، توفي سنة سبع عشرة ومئة ، أو ثمان عشرة ومئة . انظر : سير أعلام النبلاء / (٥/٢٦٩-٢٨٣) ، تهذيب التهذيب / (٣/٤٢٨-٤٣٠) .

(٦) سورة الحج ، الآيات (٥٢ - ٥٥) .

٤ - وقال الجمهور : السورة مختلطة ، منها مكّي ومنها مدني .^(١)
 يقول الشيخ ابن عاشور^(٢) - رحمه الله - : « ليس هذا القول مثل ما يكثّر أن يقولوه في بضع آيات من عدة سور أنه نزلت في غير البلد الذي نزل فيه أكثر السورة المستثنى منها ، بل أرادوا أن كثيراً منها مكّي ، وأن مثله أو يقاربه مدني ، وأنه لا يتعين ما هو مكّي منها ، وما هو مدني ولذلك عبروا بقولهم : هي مختلطة » .^(٣)
 وهذا القول هو الراجح ، قال الإمام القرطبي^(٤) - رحمه الله - : « وهذا هو الأصح ، لأن الآيات تقتضي ذلك لأن ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ﴾ مكّي ، و﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ مدني » .^(٥)
 وعدد آياتها : ثمان وسبعون آية .

(١) انظر : التحرير والتنوير / (١٦/ ١٨٠) ، الجامع لأحكام القرآن / (٣/ ١٢) ، للإمام أبي عبد الله محمد ابن أحمد الأنصاري القرطبي ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير / (٣/ ٦٢١) ، للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، وثق أصوله وعلّق عليه : سعيد محمد اللحام ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع الثاني / (١٧/ ١٤٤) ، للإمام أبي الفضل محمود الألوسي البغدادي ، تحقيق : محمد أحمد الأمّد ، عمر عبدالسلام السّلامي .

(٢) محمد الطاهر بن عاشور ، (١٢٩٦-١٣٩٣هـ) ، رئيس المفتين المالكيين بتونس ، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس ، ولد وتوفي ودرس فيها ، له مصنفات مطبوعة ، من أشهرها : «مقاصد الشريعة الإسلامية» ، و«التحرير والتنوير» . انظر : الأعلام / (٦/ ١٧٤) ، تأليف : خير الدين الزركلي ، معجم المؤلفين / (٣/ ٣٦٣) ، تأليف : عمر رضا كحالة .


(٣) التحرير والتنوير / (١٦ / ١٨٠) .

(٤) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي ، من كبار المفسرين ، صالح متعبد ، من أهل قرطبة ، رحل إلى الشرق ، واستقر بمنية ابن خصيب ، (في شمالي أسبوط ، بمصر) ، وتوفي فيها سنة إحدى وسبعين وست مئة ، من كتبه : «الجامع لأحكام القرآن» ، و«قمع الحرص بالزهد والقناعة» . انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب / (٥/ ٣٣٥) ، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ، طبقات المفسرين / (ص ٩٢) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن / (٣/ ١٢) .

ثالثاً: فضائل السورة :

« سورة الحج من أعاجيب السور ؛ نزلت ليلاً ونهاراً ، سفرراً وحضرراً ، مكياً ومدنيّاً ، سلمياً وحريراً ، ناسخاً ومنسوخاً ، محكماً ومتشابهاً » .^(١)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « سورة الحج فيها مكّي ومدني ، وليلي ونهاري ، وسفري وحضري ، وشتائي وصيفي ، وتضمنت منازل المسير إلى الله ، بحيث لا يكون منزلة ولا قاطع يقطع عنها ، ويوجد فيها ذكر القلوب الأربعة ، الأعمى والمريض والقاسي والمحبت الحي المطمئن إلى الله ، وفيها من التوحيد والحكم والمواعظ على اختصارها ما هو بين لمن تدبره ، وفيها من ذكر الواجبات والمستحبات كلها توحيداً وصلاة وزكاة وحجاً وصياماً ، قد تضمن ذلك كله قوله - تعالى - : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾  ^(٢) فيدخل في قوله : ﴿...وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ...﴾ كل واجب ومستحب ، فخصص في هذه الآية وعمم ، ثم قال : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ ... ^(٣) فهذه الآية وما بعدها لم تترك خيراً إلا جمعته ولا شراً إلا نفته » .^(٤)

رابعاً: موضوعات السورة :

جاءت سورة الحج مشتملة على موضوعات السور المكية في التأكيد على الإيمان بالله ، والتوحيد ، والإنذار ، والتخويف من الساعة ، وإثبات البعث ، وإنكار الشرك ، ومشاهد القيامة وأهوالها ، إلى جانب الموضوعات المدنية كالإذن بالقتال ، وحماية الشعائر ، والوعد بنصر الله لمن يقع عليه البغي وهو يرد العدوان ، والأمر بالجهاد في سبيل الله ، وذلك لمجيء الآيات مختلطة بين ما هو مكّي ومدني .

(١) الجامع لأحكام القرآن / (٣/١٢) .

(٢) سورة الحج ، الآية (٧٧) .

(٣) سورة الحج ، الآية (٧٨) .

(٤) التفسير الكبير / (٢١٩/٥) ، للإمام العلامة تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق : د. عبد الرحمن

عميرة .

فقد ابتدأت السورة الكريمة بخطاب الناس بأن يتقوا الله ويخشوا يوم الجزاء وأهواله ، وخطاب المشركين بأن يقلعوا عن المكابرة في الاعتراف بانفراد الله بالألوهية ، وعن المجادلة في ذلك اتباعاً لوساوس الشياطين .

ثم انتقلت من أهوال الساعة إلى أدلة البعث والنشور ، فعرضت دلائل البعث من أطوار حياة الإنسان وحياة النبات ، وربطت بين تلك الأطوار الثابتة وبين أن الله هو الحق ، وأنه يحيي الموتى ، وأنه على كل شيء قدير .

ثم عرّضت بالمشركين بتكبرهم عن سنة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - ، مذكرة إياهم بما منّ الله به عليهم في مشروعية الحج من المنافع فكفروا نعمته وأشركوا به ، وأنه يوشك أن يحلّ بهم ما حلّ بالأمم من قبلهم الذين تلقوا دعوة الرسل بالإعراض والكفر فحلّ بهم العذاب .

ثم انتقلت السورة الكريمة إلى الإذن بقتال الكفار ؛ لحماية الشعائر والعبادات من العدوان الذي يقع على المؤمنين ، وضمان النصر والتمكين في الأرض لهم ، وذلك لبيان سنة الله في الدعوات ، وتطميناً للمسلمين بالعاقبة التي تنتظر الصابرين .

وفي ختام السورة ضربت مثلاً لعبادة المشركين للأصنام ، وبيّنت عجز آلهتهم وضعفها ، كما ذكّرت الناس بنعم الله - تعالى - عليهم ، ودعت إلى اتباع ملة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - وإلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والاعتصام بالله وحده - سبحانه وتعالى - ، فإن الله هو مولاهم وناصرهم .^(١)

خامساً : ما ورد من الأحاديث في بعض آيات السورة :

١- عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : « قال النبي - ﷺ - : (يقول الله - عز وجل - يوم القيامة : يا آدم ، فيقول : لبيك ربنا وسعديك . فينادي بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار . قال : يا رب ، وما بعث النار؟ ، قال : من كل

(١) انظر : التحرير والتنوير / (١٦ / ١٨٣ - ١٨٥) ، في ظلال القرآن / (٤ / ٢٤٠٦ ، ٢٤٠٧) ، تأليف : سيد قطب .

ألف - أراه قال - تسعمائة وتسعة وتسعين، فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الولد ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾^(١) فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم ، فقال النبي - ﷺ - : (من يأجوج و مأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد ، ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود ، وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة). فكبرنا ، ثم قال : (ثلث أهل الجنة) . فكبرنا ، ثم قال : (شطر أهل الجنة). فكبرنا»^(٢).

وعن عمران بن حصين^(٣) - ﷺ - قال : « كنا مع النبي - ﷺ - في سفر فتفاوت بين أصحابه في السير ، فرفع رسول الله - ﷺ - صوته بهاتين الآيتين : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ ، إلى قوله: ﴿...وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾^(٤) ، فلما سمع ذلك أصحابه حثوا المطي ، وعرفوا أنه عند قول يقوله ، فقال : (هل تدرون أي يوم ذلك ؟) ، قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : (ذلك يوم ينادي الله فيه آدم ، فيناديه ربه فيقول : يا آدم ! ابعث بعث النار، فيقول: أي يا رب! وما بعث النار؟ ، فيقول: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد في الجنة) . فيئس القوم ، حتى ما أبدوا بضحكة ، فلما رأى رسول الله - ﷺ - الذي بأصحابه ، قال : (اعملوا وأبشروا ، فوالذي نفس محمد بيده إنكم لمع

(١) سورة الحج ، الآية (٢).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ﴾ ، ح (٤٧٤١)، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب قوله : (يقول الله لأدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين) ، ح (٣٧٩). انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ٣٩٨ ، ٧١٨) ، إشراف ومراجعة فضيلة الشيخ: صالح بن عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ.

(٣) عمران بن حصين بن عبيد الخزاعي ، أبو نجيد ، أسلم هو وأبو هريرة عام خير ، روى عن النبي - ﷺ - ، وروى عنه ابنه نجيد وآخرون ، استقضاه عبدالله بن عامر على البصرة ثم استعفاه ، وتوفي بها سنة اثنتين وخمسين . انظر : تهذيب التهذيب / (٣/ ٣١٦).

(٤) سورة الحج ، الآيتان (٢، ١).

خليقتين ما كانتا مع شيء إلا كثرتاه ، يأجوج ومأجوج ، ومن مات من بني آدم وبني إبليس) ، قال: فسُرِّي عن القوم بعض الذي يجدون ، فقال: (اعملوا وأبشروا ؛ فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير ، أو كالرُقْمَةِ^(١) في ذراع الدابة)^(٢).

٢- عن خُرَيم بن فاتك الأسدي^(٣) -^(٤) : أن رسول الله -^(ﷺ) - صلى صلاة الصبح فلما انصرف قام قائماً ، فقال: (عُدلت شهادة الزور بالشرك بالله) ثلاث مرات ، ثم تلا هذه الآية : ﴿...وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ۖ﴾^(٥) ، إلى آخر الآية^(٥).

(١) الرُقْمَةُ : « الهَنَةُ الناتئة في ذراع الدابة من داخل ». النهاية في غريب الحديث والأثر / (ص ٣٧٢) ، للإمام محمد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري - ابن الأثير - ، إشراف وتقديم : علي بن حسين ابن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري .

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله -^(ﷺ) - ، باب ومن سورة الحج ، ح (٣١٦٩) ، وقال : «هذا حديث حسن صحيح» ، وصححه العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله - . انظر: سنن الترمذي (الجامع الصحيح) / (ص ٧١٣).

(٣) خُرَيم بن فاتك بن الأخرم ، ويقال : خريم بن الأخرم بن شداد بن عمرو بن فاتك الأزدي ، أبو أيمن ، ويقال : أبو يحيى ، له صحبه ، ذكره البخاري وغير واحد فيمن شهد بداراً ، مات بالرقة في عهد معاوية -^(رضي الله عنه) - . انظر: الإصابة في تمييز الصحابة / (٢/٢٣٦) ، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق : عادل أحمد عبدالموجود ، علي محمد معوض ، تهذيب التهذيب / (١/٥٤١).

(٤) سورة الحج ، الآية (٣٠) .

(٥) أخرجه الإمام أبو داود في كتاب الأفضية ، باب في شهادة الزور ، ح (٣٥٩٩) ، وأخرجه الإمام ابن ماجه في كتاب الأحكام ، باب شهادة الزور ، ح (٢٣٧٢) ، وضعفه العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله - ، انظر: سنن أبي داود / (ص ٥٤٥) ، سنن ابن ماجه / (ص ٤٠٥) ، وذكر هذا الحديث في سنن الترمذي (الجامع الصحيح) في كتاب الشهادات ، باب ماجاء في شهادة الزور ، ح (٢٣٠٠) ، (ص ٥٢٠) ، وقال العلامة الألباني - رحمه الله - : «عزو هذا الحديث للترمذي خطأ ، إذ لم ينسبه له المخرجون قديماً ، فعزاه صاحب " المشكاة " (٣٧٧٩) مثلاً لأبي داود وابن ماجه ، وعزاه صاحب " الدر المنثور " (٤٤/٦) لأحمد وعبد بن حميد وأبي داود وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والبيهقي في " الشعب " ، ولم يذكر الترمذي ، وهو ساقط من النسخ الخطية الجيدة من " جامع الترمذي " ، ولم يعزه له المزني في " التحفة " ، ولا استدركه عليه أحد ، ولم يعلم المزني في رواية =

سادساً: عدد السجدة الواحدة في السورة :

في سورة الحج سجدتان :

الأولى : هي قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ (١).

والثانية : قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٢).
ومما يدل على ذلك :

١ - ما رواه عقبه بن عامر - رضي الله عنه - قال : « قلت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : يا رسول الله ! في سورة الحج سجدتان ؟ ، قال : (نعم) ، ومن لم يسجدتهما فلا يقرأهما » (٣).

= حبيب بن النعمان عن خريم في ترجمة الأخير من " تهذيب الكمال " للترمذي ، كعادته ، فهذه الأمور وغيرها تجعلنا نقطع بعدم وجود هذا الحديث في كتابنا هذا ، وذكرناه هنا تبعاً للطبعات السابقة ، مع هذا التنويه ، والله الموفق للخيرات ، والهادي للصالحات . [سنن الترمذي (الجامع الصحيح) / (ص ٥٢٠)] .
(١) سورة الحج ، الآية (١٨) .

(٢) سورة الحج ، الآية (٧٧) .

(٣) أخرجه الإمام أبو داود في أبواب قراءة القرآن ، وتحزيه وترتيله ، باب تفريع أبواب السجود ، وكم سجدة في القرآن ؟ ح (١٤٠٢) ، وأخرجه الإمام الترمذي في كتاب الجمعة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، باب في السجدة في الحج ، ح (٥٧٨) ، وقال : « هذا حديث ليس إسناده بذاك القوي ، واختلف أهل العلم في هذا ، فروي عن عمر بن الخطاب وابن عمر - رضي الله عنهما - أنهما قالا : فضلت سورة الحج بأن فيها سجدتين ، وبه يقول ابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق ، ورأى بعضهم فيها سجدة ، وهو قول سفيان الثوري ومالك وأهل الكوفة » . وقال العلامة محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله - عن الحديث : « حسن » ، انظر : سنن أبي داود / (ص ٢١٨) ، سنن الترمذي (الجامع الصحيح) / (ص ١٤٨) ، وقال : « والتحقيق أنه صحيح بشواهده دون (ومن لم يسجدتهما ..) » ، سنن الترمذي (الجامع الصحيح) / (ص ١٤٨) .

- ٢- ما رواه عمرو بن العاص -رضي الله عنه- : أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أقرأه خمس عشرة سجدة في القرآن ، منها ثلاث في المفصل ، وفي سورة الحج سجدتان .^(١)

(١) أخرجه الإمام أبو داود في أبواب قراءة القرآن ، وتحزيبه وترتيبه ، باب تفريع أبواب السجود ، وكم سجدة في القرآن ؟ ح (١٤٠١) ، وأخرجه الإمام ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب عدد سجود القرآن ، ح (١٠٥٧) . وضعفه العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله- . انظر: سنن أبي داود/ (ص٢١٨) ، سنن ابن ماجه / (ص١٨٩) .

المبحث الثاني: التعريف بأركان الدعوة إلى الله .

أولاً: تعريف الأركان :

أ- تعريف الأركان لغة :

جمع رُكن ؛ وهو الجانب الأقوى للشيء ، وأركان كل شيء: جوانبه التي يستند إليها ، ويقوم بها. ^(١)

ب- تعريف الأركان اصطلاحاً :

ما يقوم به ذلك الشيء ، إذ قوام الشيء بركنه ، لا من القيام ^(٢).

ثانياً: تعريف أركان الدعوة :

« هي الأجزاء التي تمثل حقيقة الدعوة ، ولا تقوم الدعوة إلا بها ». ^(٣)

وهي أربعة أركان :

١- موضوع الدعوة إلى الله.

٢- الداعي إلى الله.

٣- المدعو إلى الله.

٤- وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها وميادينها.

الركن الأول : موضوع الدعوة إلى الله :

موضوع الدعوة إلى الله هو الإسلام وهو الدين الذي يُدعى إليه الناس.

قال - تعالى - : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ... ﴾ ^(٤).

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله - : « أما الشيء

(١) انظر : لسان العرب / (١٣/ ١٨٥) .

(٢) انظر: التعريفات / (ص ١٢٤) ، للعلامة : علي بن محمد الشريف الحرجاني ، ضبط وفهرسة : محمد بن عبدالحكيم القاضي .

(٣) المدخل إلى علم الدعوة / (ص ١٥٢) .

(٤) سورة آل عمران ، الآية (١٩) .

الذي يُدعى إليه ، ويجب على الدعوة أن يوضحه للناس ، كما أوضحه الرسل عليهم الصلاة والسلام-، فهو الدعوة إلى صراط الله المستقيم ، وهو الإسلام ، وهو دين الله الحق .^(١)

أ- تعريف الإسلام في اللغة :

مشتق من الاستسلام ، وهو الانقياد وإظهار الخضوع ، وسَلَّمَ الشيء لفلان أي خلّصه ، وسَلِمَ له الشيء أي خلّصَ له ، وسمي المسلم مسلماً لإظهاره الخضوع ، وإظهار الشريعة ، والتزام ما أتى به النبي -ﷺ- .^(٢)

ب- تعريف الإسلام في الاصطلاح :

هو ما عرّفه به رسول الله -ﷺ- في الحديث الذي رواه عمر -رضي الله عنه- ، لما سأله جبريل - عليه السلام- عن الإسلام ، فقال : (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً) .^(٣)

ومما عُرّف به الإسلام -أيضاً- أنه : « النظام العام ، والقانون الشامل لأمر الحياة ، ومناهج السلوك للإنسان التي جاء بها محمد -ﷺ- من ربه ، وأمره بتبليغها إلى الناس ، وما يترتب على اتباعها أو مخالفتها من ثواب أو عقاب » .^(٤)

والتعريف المختار هو التعريف الأول ؛ لأنه يشمل أركان الإسلام الخمسة .

(١) الدعوة إلى الله وأخلاق الدعوة / (ص ٣٠) ، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله - .
(٢) انظر : لسان العرب / (٢٩٣/١٢) .

(٣) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله - سبحانه وتعالى- ، وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر ، وإغلاظ القول في حقه ، ح (١) ، وأخرجه الإمام البخاري بنحو هذا اللفظ من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- في كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي -ﷺ- عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة ، ح (٥٠) . انظر : موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ٦٨١ ، ٦) .

(٤) أصول الدعوة / (ص ١٠) ، للدكتور: عبد الكريم زيدان .

الركن الثاني: الداعي إلى الله :

أ- تعريف الداعي في اللغة :

«اسم فاعل من دعا ، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين ، أدخلت الهاء فيه للمبالغة»^(١).

والنبي -ﷺ- داعي الله ، ويطلق كذلك على المؤذن ، والداعية : صريخ الخيل في الحروب ، وداعية اللبن : بقيته التي تدعو سائره^(٢).
والجمع دعاة وداعون كقضاة وقاضون.
والداعية مصدر ؛ كالعاقبة والعافية^(٣).

فكل من حمل فكرة ودعا إليها ونادى بها مطلقاً ، سواء كانت هذه الفكرة شراً أو كانت هذه الفكرة خيراً ، وسواء كانت هذه الفكرة مما يحمد عليها شرعاً ، أو ما يذم عليها شرعاً ، فهو داعية لغة^(٤).

ب- تعريف الداعي إلى الله في الاصطلاح :

مما عُرِّف به الداعي إلى الله في الاصطلاح ، ما يلي:

١- « المبلِّغ للإسلام ، والمعلِّم له ، والساعي إلى تطبيقه »^(٥).

٢- « المسلم المكلف شرعاً بالدعوة إلى الله -تعالى- »^(٦).

والتعريف الثاني يشمل الداعية النبي المؤيد من الله -تعالى- ، والداعية العالم المؤيد بالحجة والبرهان ، والداعية السلطان المؤيد بالقوة ، ويشمل كذلك المسلم العادي

(١) لسان العرب / (٢٥٩/١٤) ، المعجم الوسيط / (٢٨٧/١).

(٢) انظر: القاموس المحيط / (ص ١٢٨٣) .

(٣) انظر : تاج العروس من جواهر القاموس / (١٠٢٧/١٠ ، ١٢٨) ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي / (٢٦٤/٢).

(٤) انظر: مرشد الدعاة / (ص ١٠٥) ، محمد نمر الخطيب .

(٥) المدخل إلى علم الدعوة / (ص ٤٠) .

(٦) مرشد الدعاة / (ص ١٠٦).

الدعوة إلى الله في سورة الحج ————— (التمهيد)

الذي ليس مختصاً بعلم من علوم الشريعة ، فهو مكلف بالدعوة إلى الله ؛ بمقدار ما عنده من علم .^(١)

ولا تضاد بين التعريفين السابقين ؛ فإن التعريف الثاني باعتبار نوع الداعية ، والتعريف الأول باعتبار أداء وظيفته .

الركن الثالث : المدعو إلى الله :

أ- تعريف المدعو في اللغة :

« اسم مفعول من دعاه يدعوه ، فهو : مدعو » .^(٢)

ب- تعريف المدعو إلى الله في الاصطلاح :

من توجه له الدعوة من أهل الإسلام ، أو من غيرهم .

الركن الرابع : وسائل الدعوة إلى الله ، وأساليبها ، ومبادئها :

أولاً : وسائل الدعوة إلى الله :

أ- تعريف الوسيلة في اللغة :

وسل : الواو والسين واللام : كلمة لها معنيان متباينان جداً .

الأولى : الرغبة والطلب ، يقال : وسَلَّ ، إذا رَغِبَ ، والواسل : الراغب إلى الله

-عز وجل- ، والثانية : السرقة ، يقال : أخذ إبله توسلاً .^(٣)

والوسيلة : هي ما يتقرب به المرء إلى غيره .^(٤)

وهي ما يتوصل به إلى الشيء .^(٥)

والوسيلة إلى الله -تعالى- : «مراعاة سبيله بالعلم والعبادة ، وتحري مكارم

(١) انظر : مرشد الدعاة / (ص ١٠٥) وما بعدها .

(٢) المدخل إلى علم الدعوة / (ص ٤١) .

(٣) انظر : معجم مقاييس اللغة / (١١٠/٦) .

(٤) انظر : التعريفات / (ص ٢٦٣) .

(٥) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر / (ص ٩٧٢) .

الشرعية ، وهي كالقربة »^(١).

«وهي درجة النبي -ﷺ- في الجنة ، والجمع وسائلُ ووُسُلٌ»^(٢).

والتوسيل والتوسل بمعنى واحد . يقال : وَسَلَ فلان إلى ربه وَسِيلَةً وتوسل إليه بوسيلة ، أي تقرب إليه بعمل^(٣).

قال -تعالى- : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ...﴾^(٤).

وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- ، أن رسول الله -ﷺ- قال : (من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعته مقاماً محموداً الذي وعدته ؛ حلت له شفاعتي يوم القيامة)^(٥).
قال الحافظ ابن حجر^(٦) - رحمه الله - عند شرح الحديث : « الوسيلة هي ما

(١) مفردات ألفاظ القرآن / (ص ٨٧١) ، للعلامة أبو القاسم الحسين بن محمد ، المعروف بالرأغب الأصفهاني ، تحقيق: صفوان بن عدنان داوودي .

(٢) المعجم الوسيط / (١٠٣٢) .

(٣) انظر: الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) / (١٨٤١/٥) ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق : أحمد ابن عبد الغفور عطار .

(٤) سورة الإسراء ، الآية (٥٧) .

(٥) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأذان ، باب الدعاء عند النداء ، ح (٦١٤) ، وأخرجه الإمام مسلم بنحو هذا اللفظ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص في كتاب الصلاة ، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي -ﷺ- ثم يسأل الله له الوسيلة ، ح (١١) . انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ٥٠ ، ٧٣٨) .

(٦) أحمد بن علي بن محمد الكنائي العسقلاني شهاب الدين ابن حجر ، (٧٧٣-٨٥٢هـ) ، من أئمة العلم والتاريخ ، أصله من عسقلان بفلسطين ، رحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ ، كان فصيح اللسان ، ولّي قضاء مصر عدة مرات ثم اعتزل ، له تصانيف كثيرة ، منها : «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» ، و«الإصابة في تمييز الصحابة» . انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب / (٧/٢٧٠-٢٧٣) ، الأعلام / (١٧٨/١) .

يتقرب به إلى الكبير ، يقال توسلت : أي تقربت ، وتطلق على المنزلة العلية ^(١).

ب- تعريف وسائل الدعوة إلى الله في الاصطلاح :

عرّف بعض الكتاب والدعاة وسائل الدعوة إلى الله بتعريفات متعددة ومتقاربة ، منها :

- ١- « ما يستعين به الداعي على تبليغ الدعوة إلى الله على نحو نافع مثمر » ^(٢).
- ٢- « مجموعة الطرق المحبوبة والمرغوب فيها لدى الدعاة للاتصال بالمدعويين ، والتأثير عليهم ، وتوجيههم » ^(٣).
- ٣- « ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية أو مادية » ^(٤).

٤- « ما يتوصل به إلى دعوة الناس بطريق شرعي صحيح » ^(٥).
وهذا هو التعريف المناسب لوسائل الدعوة إلى الله ، لشموله جميع الوسائل ، وتقييدها بأن تكون وسائل شرعية صحيحة .

ثانياً: أساليب الدعوة إلى الله :

أ- تعريف الأسلوب في اللغة :

كلمة من الفعل الثلاثي سلب .

سلب الشيء سلباً : انتزعه قهراً ، واستلبه : سلبه ^(٦).

فالسُّلب : هو نزع الشيء من غيره على القهر ، قال - تعالى - : ﴿... وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ

(١) فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري / (١١٣/٢) ، للإمام الحافظ أحمد

ابن علي بن حجر العسقلاني ، تقديم وتحقيق وتعليق : عبد القادر بن شيبه الحمد .

(٢) أصول الدعوة / (ص ٤٤٧) .

(٣) أسس في الدعوة ووسائل نشرها / (ص ٨٠) ، د. محمد بن عبد القادر أبو فارس .

(٤) المدخل إلى علم الدعوة / (ص ٤٩) .

(٥) وسائل الدعوة / (ص ١٦) ، د. عبد الرحيم بن محمد المغذوي .

(٦) انظر : المعجم الوسيط / (ص ٤٤٠) .

أَلَذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ... (١). (٢)

«وسلبته ثوبه سلباً من باب قتل : أخذت الثوب منه فهو سلب ومسلوب.
والسَّلْبُ : ما يسلب ، والجمع : أسلاب ، مثل : سبب وأسباب.
والأسلوب بضم الهمزة : الطريق والفن ، وهو على أسلوب من أساليب القوم
أي : على طريق من طرقهم» (٣).

يقال : سلكت أسلوب فلان في كذا : طريقته ومذهبه.
«ويقال : أخذنا في أساليب من القول : فنون متنوعة ، والجمع : أساليب» (٤).
وشجرة سلب : سلبت أوراقها وأغصانها .
والسَّلْبُ : السير الخفيف السريع والأسلوب : عنق الأسد ، والشموخ في الأنف (٥).
ويقال : إن أنفه لفي أسلوب إذا كان متكبراً .

ويقال للسطر من النخيل : أسلوب ، وكل طريق ممتد فهو أسلوب (٦).
ب- الأسلوب في الاصطلاح :

- عُرِّفَ الأسلوب في الاصطلاح بعدة تعريفات ، منها :
- ١- الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه.
 - ٢- المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه.
 - ٣- طابع الكلام أو فنه الذي انفرد به المتكلم كذلك (٧).

(١) سورة الحج ، الآية (٧٣).

(٢) انظر : مفردات ألفاظ القرآن / (ص ٤١٩) .

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي / (٣/ ٣٨٥ ، ٣٨٦).

(٤) المعجم الوسيط / (ص ٤٤٠).

(٥) القاموس المحيط / (ص ٩٨).

(٦) انظر : لسان العرب / (١/ ٤٧٣).

(٧) انظر : مناهل العرفان في علوم القرآن / (٢/ ٣٢٥) . وللاستزادة : الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول

الأساليب الأدبية) / (ص ٤٤) ، أحمد الشايب ، الأسلوب (دراسة لغوية إحصائية) / (ص ٢٣) ، د. سعد مصلوح ،
الأسلوب / (ص ٦٣) ، د. محمد بن كامل بن أحمد جمعة .

أما أساليب الدعوة خاصة فَتَعَرَّفَ بألها :

« مجموعة الطرق العملية المتبعة في عرض الأفكار ، والتي يتعلمها الداعية ويطبقها أثناء تبليغ الدعوة إلى الناس » .^(١)

ثالثاً: ميادين الدعوة إلى الله :

أ- تعريف الميادين في اللغة :

ماد يميد ميذاً وميداناً : تحرك ، وزاغ ، وزكا ، وماد السراب : اضطرب ، وماد الرجل : تبختر.^(٢)

وميدان الطريق : سُنَّه. والميداء : الغاية التي ينتهي إليها جري الخيل . وقيل : مجتمع الطريق.

والميدان مصدر ، والجمع ميادين.

والميدان : فسحة من الأرض متسعة معدة للسباق ، أو للرياضة ونحوهما . يقال : ميدان السباق ، وميدان الكرة ، وميدان الحرب.^(٣)

ب- تعريف ميادين الدعوة إلى الله في الاصطلاح :

هي الأماكن التي يقوم فيها الداعي إلى الله بإيصال الدعوة للمدعو بأساليب ووسائل مخصوصة .

ومن ذلك ميدان البيت ، والمسجد ، والمدرسة ، والسجن ، والمستشفى ، والجيش ... ونحو ذلك .

وفيما يلي أبين أركان الدعوة إلى الله في سورة الحج على وجه التفصيل.

(١) أسس في الدعوة ووسائل نشرها / (ص ٨٠).

(٢) انظر: القاموس المحيط / (ص ٣٢١) .

(٣) انظر: المعجم الوسيط / (ص ٨٩٣) .

الفصل الأول:

موضوع الدعوة إلى الله في سورة الحج

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الدعوة إلى الله في مجال العقيدة .

المبحث الثاني : الدعوة إلى الله في مجال الشريعة .

المبحث الثالث : الدعوة إلى الله في مجال الأخلاق .

المبحث الأول : الدعوة إلى الله في مجال العقيدة .

توطئة :

الدعوة إلى العقيدة هو الأساس والمنطلق في الدعوة إلى الله ؛ فلا يُدعى إلى شيء قبلها من فعل الواجبات وترك المحرمات حتى تقوم هذه العقيدة وتحقق ؛ لأنها هي الأساس المصحح لجميع الأعمال ، وبدونها لا تصح الأعمال ولا تقبل ولا يثاب عليها ، ومن المعلوم بداهة أن أي بناء لا يقوم ولا يستقيم إلا بعد إقامة أساسه .

ولهذا كان الرسل يهتمون بها قبل كل شيء ، وكان النبي -ﷺ- عندما يبعث الدعاة يوصيهم بالبداة بالدعوة إلى تصحيح العقيدة ، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله -ﷺ- لما بعث معاذاً -ﷺ- إلى اليمن ؛ قال له : (إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم ، فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) .^(١)

فمن هذا الحديث الشريف ، ومن تتبع دعوة الرسل في القرآن ، ومن النظر في سيرة الرسول -ﷺ- ، يؤخذ منهج الدعوة إلى الله ، وأن أول ما يدعى الناس إليه هو العقيدة المتمثلة بعبادة الله وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه ، كما هو معنى لا إله إلا الله .^(٢)

(١) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الزكاة ، باب أخذ الصدقة من الأغنياء ، وترد في الفقراء حيث كانوا ، ح (١٣٩٥) ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب الدعاء إلى الشهادتين ، وشرائع الإسلام ، ح (٣٠) ، انظر : موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ١١٨ ، ٦٨٤) .

(٢) انظر : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد / (ص ١٩) وما بعدها ، لمعالي الشيخ الدكتور : صالح بن فوزان ابن عبد الله الفوزان .

المطلب الأول : الدعوة إلى توحيد الله ، والنهي عن الشرك .

أولاً : توحيد الله - سبحانه وتعالى - :

١- تعريف التوحيد :

أ- تعريف التوحيد في اللغة :

التوحيد في اللغة من الفعل الثلاثي وَحَّدَ ، وتعني : التفرد ، ووَحَّدَ الشيء وَحْدًا : أفرده .

وتوحد الله ربوبيته ، وجلاله ، وعظمته : تفرد به .
ووحد الله - سبحانه - : أقر وآمن بأنه واحد . والتوحيد : الإيمان بالله وحده ، لا شريك له .^(١)

«ووحده توحيداً : جعله واحداً ، والله الأوحد والمتوحد : ذو الوحدانية» .^(٢)

«والواحد من صفات الله ، معناه أنه لا ثاني له - سبحانه وتعالى -» .^(٣)

ب- تعريف التوحيد في الاصطلاح :

مما عُرف به التوحيد في الاصطلاح ، ما يلي :

١- « توحيد الله وإفراده بما يستحق من الربوبية ، والألوهية ، والأسماء والصفات » .^(٤)

٢- « نفي الكفاء والمثل عن ذات الله - تعالى - ، وصفاته ، وأفعاله ، ونفي

الشريك في ربوبيته ، وعبادته - عز وجل - » .^(٥)

(١) انظر : المعجم الوسيط / (ص ١٠١٦) .

(٢) القاموس المحيط / (ص ٣٢٤) .

(٣) لسان العرب / (٣/ ٤٥٠) .

(٤) عقيدة أهل السنة والجماعة / (ص ١٠) ، للشيخ : محمد بن إبراهيم الحمد ، تقديم سماحة الشيخ : عبد العزيز

ابن عبد الله بن باز - رحمه الله - .

(٥) عقيدة المؤمن / (ص ٨٧) ، لفضيلة الشيخ : أبو بكر جابر الجزائري .

٢- أنواع التوحيد :

الدعوة إلى التوحيد هي أول دعوة الرسل ، وأول منازل الطريق ، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله - عز وجل - ، وهو أول ما يدخل به في الإسلام ، وآخر ما يخرج به من الدنيا ، فهو أول واجب وآخر واجب .

وهو يتضمن ثلاثة أنواع :

الأول: الكلام في الصفات.

الثاني : توحيد الربوبية ، وبيان أن الله وحده خالق كل شيء.

الثالث: توحيد الإلهية ، وهو استحقاقه - سبحانه - أن يُعبد وحده لا شريك له .

والتوحيد الذي دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب هو توحيد الإلهية المتضمن توحيد الربوبية ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، فإن المشركين من العرب كانوا يقررون بتوحيد الربوبية ، وأن خالق السماوات والأرض واحد ، ولم يكونوا يعتقدون في الأصنام أنها مشاركة لله في خلق العالم ، بل كان حالهم فيها كحال أمثالهم من مشركي الأمم من الهند والترك والبربر وغيرهم ، باتخاذهم التماثيل شفعاء يتوسلون بهم إلى الله .^(١)

٣- التوحيد الكامل :

لا يتحقق التوحيد الكامل إلا بأمرين :

أ- العلم اليقيني بأن الله وحده هو المعبود بحق ، فلا يعبد غيره سواء كان إنساناً أو حجراً أو شجراً أو هوى أو أي شيء آخر .

ب- ألا يعبد الله إلا بما شرع .^(٢)

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية / (ص ٢١ - ٢٩) ، للإمام القاضي : علي بن علي بن محمد بن أبي العز

الدمشقي ، تحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، شعيب الأرنؤوط .

(٢) انظر : عقيدة المسلم وما يتصل بها / (ص ٢٢) ، تأليف : عبد الحميد السائح .

ثانياً : الإِشْرَاقُ بالله - سبحانه وتعالى - :

١- تعريف الشرك :

أ- تعريف الشرك في اللغة :

«الشَّرْكَ والشَّرْكَةُ سواء : مخالطة الشريكين ، يقال : اشترَكنا بمعنى تشاركنا»^(١).
«والجمع أشراك وشركاء».

وأشرك بالله : كفر ، فهو مشرك ومُشركي»^(٢).

وشركت فلاناً في الأمر شركاً و شَرَكَةً : كان لكل منهما نصيب منه ، فهو شريك.

ويقال أشرك بالله : جعل له شريكاً في ملكه.

والشَّرْكُ : النصيبُ واعتقاد تعدد الآلهة»^(٣).

ب- تعريف الشرك في الاصطلاح :

أفضل ما عُرف به الشرك في الاصطلاح ، قول النبي - ﷺ - لما سُئِلَ : أي الذنب أعظم عند الله ؟ ، فقال : (أن تجعل لله نداً وهو خالقك)^(٤).

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - رحمه الله - : « أن يجعل لله نداً ، أي : مثلاً في عبادته ، أو محبته ، أو خوفه ، أو رجائه ، أو إنابته ، فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه »^(٥).

(١) لسان العرب / (١٠/٤٤٨).

(٢) القاموس المحيط / (ص ٩٤٤).

(٣) انظر : المعجم الوسيط / (ص ٤٨٠).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في كتاب التوحيد ، باب قول الله - تعالى - : ﴿...فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا...﴾ [البقرة: ٢٢] ،

ح (٧٥٢٠) ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان كون الشرك أقبح الذنوب ، وبيان

أعظمها بعده ، ح (١٤١) . انظر : موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ٦٢٧ ، ٦٩٣).

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية / (٩١/١) ، جمع وترتيب الشيخ : عبد الرحمن بن محمد ابن

قاسم ، وساعده ابنه : محمد .

٢- أنواع الشرك :

الشرك من أعظم مفسدات العقيدة ، وأشد الذنوب خطراً على العبد .
وهو على نوعين :

النوع الأول : شرك أكبر مخرج عن الملة ، وهو : كل شرك أطلقه الشارع ، وهو مناف للتوحيد منافية مطلقة ، مثل أن يصرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله ؛ بأن يصلي لغير الله ، أو يذبح لغير الله ، أو ينذر لغير الله .

النوع الثاني : الشرك الأصغر ، وهو : كل عمل قولي أو فعلي أطلق عليه الشارع وصف الشرك لكنه لا ينافي التوحيد منافية مطلقة ، مثل الحلف بغير الله ، و الرياء .^(١)

ثالثاً : الدعوة إلى توحيد الله ، والنهي عن الشرك ، في سورة الحج :

أعظم ما أمر الله به التوحيد ، وهو إفراد الله بالعبادة ، وأعظم ما نهى الله عنه الشرك ، وهو دعوة غيره معه .^(٢)

وإنما كان التوحيد أعظم ما أمر الله به ؛ لأنه الأصل الذي يبنى عليه الدين كله ، ولهذا بدأ به النبي - ﷺ - في الدعوة إلى الله ، وأمر من أرسله للدعوة أن يبدأ به .

وكان الشرك أعظم ما نهى الله عنه ؛ لأن أعظم الحقوق هو حق الله - عز وجل - ، فإذا فرط فيه الإنسان فقد فرط في أعظم الحقوق وهو توحيد الله عز وجل .^(٣)

وغالب سور القرآن متضمنة للتوحيد ، بل كل سورة في القرآن ، فإن القرآن :

إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وهذا هو التوحيد العلمي الخبري .

وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له ، وخلع ما يعبد من دونه ، وهذا هو

(١) انظر : شرح كشف الشبهات ويليهِ شرح الأصول الستة / (ص ١٤٧ ، ١٤٨) ، لفضيلة الشيخ : محمد ابن

صالح العثيمين ، إعداد الشيخ : فهد بن ناصر السليمان .

(٢) انظر : الأصول الثلاثة وأدلتها / (ص ٦) ، لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، علّق عليها وصحّح أصولها :

محمد منير الدمشقي .

(٣) انظر : شرح ثلاثة الأصول / (ص ٤١) ، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، إعداد الشيخ : فهد ابن

ناصر السليمان .

التوحيد الإرادي الطلبي .

وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته ، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته .
وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده ، وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة ، فهو جزاء توحيده .

وإما خبر عن أهل الشرك ، وما فعل بهم في الدنيا من النكال ، وما يحل بهم في العقبي من العذاب ، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد .

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه ، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم^(١) وجاءت الدعوة إلى الإيمان بالله وحده وترك عبادة ما سواه في سورة الحج في آيات عديدة وبطرق مختلفة ؛ وذلك إما في دعوة صريحة إلى الإيمان بالله وحده ونهي عن الإشراك به ، وإما بسوق الأدلة والبراهين العقلية على وحدانيته - سبحانه - ، أو بضرب الأمثلة على بطلان ألوهية غيره ، وذلك كما يلي :

١- تقرير ألوهية الله - سبحانه وتعالى - ، والأمر بالإسلام له :

أخبر الله - سبحانه وتعالى - بتفرده بالإلهية وأنه لا شريك له ، وأمر عباده بالإسلام والانقياد له في قوله - تعالى - : ﴿...فَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا...﴾^(٢) .
فقلوه : ﴿...فَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ...﴾ أي : لا شريك له ، فإياه فاعبدوا ، وله أخلصوا الألوهية .

وقوله : ﴿...فَلَهُ أَسْلِمُوا...﴾ أي : فلالهكم فاحضعوا بالطاعة ، وله فذلوا بالإقرار بالعبودية^(٣) .

وهذا أمر إلهي عظيم بعبادة الله وحده سبحانه .

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية / (ص ٤٢ ، ٤٣) .

(٢) سورة الحج ، الآية (٣٤) .

(٣) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن / (١٦ / ٥٥٠) ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق الدكتور: عبدالله بن عبدالمحسن التركي .

٢- الأمر باجتنب عبادة الأوثان :

في قوله - تعالى - : ﴿... فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ...﴾^(١) أمر باجتنب الشرك ، وترك عبادة ما سواه .

والوثن : الصنم ، وأصل الأوثان عند العرب كل تمثال من خشب أو حجارة أو ذهب أو فضة أو نحاس أو نحوها ، كانت العرب تنصبها وتعبدتها .^(٢)
والرجس : الشيء القذر ، وسماها رجساً : لأنها سبب الرجز وهو العذاب .

و ﴿ مِنْ ﴾ هنا لبيان الجنس ، أي اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان ، إذ عبادة الوثن جامعة لكل فساد ورجس .^(٣)

٣- تقرير بطلان ألوهية غير الله - تعالى - :

بيّن الله أحقيته للعبادة ، وبطلان ألوهية غيره ، فقال - سبحانه وتعالى - :
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾^(٤) .

في هذه الآية تقرير لتوحيد الألوهية ؛ فذلك الوصف بكمال القدرة والعلم ؛
﴿... بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ...﴾ الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده ، فإن وجوب وجوده ووحدته يقتضيان أن يكون مبدأ لكل ما يوجد سواه عالماً بذاته وبما عداه ، أو الثابت الإلهية ولا يصلح لها إلا من كان قادراً عالماً ﴿... وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ...﴾ إلهاً ، ﴿... هُوَ الْبَاطِلُ...﴾ المعدوم في حد ذاته ، أو باطل الألوهية.^(٥)

(١) سورة الحج ، الآية (٣٠) .

(٢) انظر : لسان العرب / (٤٤٢/١٣ ، ٤٤٣) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن / (٣٧/١٢) ، تفسير القرآن العظيم / (٢٠٧/٣) ، للإمام العلامة أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، راجعه ونقحه الشيخ: خالد بن محمد محرم .

(٤) سورة الحج ، الآية (٦٢) .

(٥) انظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل / (٩٥/٢) ، لأبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي .

«... وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ...» على جميع الأشياء ، ﴿... الْكَبِيرُ﴾ عن أن يكون له شريك ، فلا شيء أعلى منه شأنًا وأكبر سلطاناً^(١).
ومما يدل -أيضاً- على بطلان ألوهية غير الله -تعالى- أن ما يُعبد من دون الله عاجز عن الخلق - وهذه أخص صفات الربوبية - ، كما أنها لا تملك نفعاً ولا ضرراً .
قال -تعالى-: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾^(٢).

٤- ذم من صرف شيئاً من العبادة لغير الله -تعالى- :

لقد ذم - سبحانه وتعالى - من صرف شيئاً من العبادة للأنداد والأصنام التي لا تنفع ولا تضر ، ووصفه بالضللال البعيد، حيث يقول : ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَمَا لَا يَضُرُّهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾^(٣) يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْتَ سَ الْمَوْلَى وَلَيْتَ سَ الْعَشِيرُ^(٤).

يقول العلامة ابن كثير^(٥) - رحمه الله - : «أي : من الأصنام والأنداد ، يستغيث بها ويستنصرها ، ويسترزقها ، وهي لا تنفعه ولا تضره»^(٥).

وقوله -تعالى-: ﴿...ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ أي : المتجاوز الحد المعروف في

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم / (١١٧/٥) ، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي .

(٢) سورة الحج ، الآية (٧٣) .

(٣) سورة الحج ، الآيتان (١٢ ، ١٣) .

(٤) اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصري ثم البغدادي ، (٧٠٠-٧٧٤هـ) ، أبو الفداء ، حافظ ومؤرخ وفقه ومحدث ، ولد في قرية من أعمال بصرى الشام ، ورحل في طلب العلم ، له تصانيف كثيرة ، من أشهرها : «البداية والنهاية» ، و«تفسير القرآن العظيم» . انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب / (٢٣١/٦ ، ٢٣٢) ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة / (٣٧٣ ، ٣٧٤) ، للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد ، الشهير بابن حجر العسقلاني ، تصحيح : د. سالم الكرنكوي .

(٥) تفسير القرآن العظيم / (١٩٩/٣) .

الدعوة إلى الله في سورة الحج ————— (الفصل الأول / موضوع الدعوة إلى الله في سورة الحج)

مدى الضلال ، أي : هو الضلال الذي لا يماثله ضلال لأنه يعبد ما لا غناء له.^(١)
فهو ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ...﴾ أي : يدعو ذلك المرتد عن التوحيد إلى الشرك من ضره يوم القيامة أقرب من نفعه ، حين يتبرأ منه ويحشر معه في جهنم ليكونا معاً وقوداً لها.^(٢)

ولهذا قال -تعالى-: ﴿...لَيْسَ أَلْمَوْلَى...﴾ أي : بئس الناصر ، ﴿...وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾ أي : الصاحب والمخالط وهو الوثن.^(٣)

٥- تأكيد عدم وجود أدلة وبراهين تسوغ الإشراف بالله :

المشركون في هذه العبادة التي تضر ولا تنفع ومع ما فيها من الضلال البعيد والهلاك المبين ليس لهم برهان يحتجون به لتمسكهم بها ، فقد قال -سبحانه وتعالى-: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلْظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾^(٤).

قال الزمخشري^(٥) - رحمه الله - : « أي : ما لم يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان سماوي من جهة الوحي والسمع ، ولا ألجأهم إليها علم ضروري ، ولا حملهم عليها دليل عقلي ». ^(٦)

(١) انظر : التحرير والتنوير / (٢١٥/١٦).

(٢) انظر : أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير / (٤٥٨/٣) ، لفضيلة الشيخ أبي بكر جابر الجزائري .

(٣) انظر : معالم التنزيل / (٢٧٧/٣) ، لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي . تحقيق : خالد ابن

عبدالرحمن العك ، مروان سوار .

(٤) سورة الحج ، الآية (٧١).

(٥) محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي ، أبو القاسم ، (٤٦٧-٥٣٨هـ) ، ولد في زمخش (من قرى خوارزم) ، وكان رأساً في البلاغة والعربية والمعاني والبديع ، كانت له رحلة لبغداد وخراسان وغيرهما ، جاور في مكة زمناً ، من أشهر كتبه : « الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل » ، و « أساس البلاغة » . انظر : سير أعلام النبلاء / (٢٠/١٥٦-١٥٦) ، طبقات المفسرين / (ص ١٢٠ ، ١٢١) ، الأعلام / (١٧٨/٧).

(٦) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل / (٣/٤٠) ، لأبي القاسم جار الله محمود ابن

عمر الزمخشري الخوارزمي

لهذا وصفهم - سبحانه - بالظلم وتوعدهم بعذابه ، فقال : ﴿...وَمَا لِلظَّالِمِينَ...﴾
بالإشراك ﴿...مِنْ تَصْصِيرٍ﴾ ينصرهم ويدفع عنهم عذاب الله .^(١)

٦- الأمر بالحنيفية السمحة :

الحنيفية هي : « أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين ».^(٢)
وهي ملة إبراهيم - عليه السلام - ، وما يجب على الداعي أن يدعو إليها .
يقول - سبحانه وتعالى - : ﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا
خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾^(٣) .
في هذه الآية يبين - سبحانه وتعالى - أهمية اتباع الحنيفية السمحة في حياة العبد ،
وتأثيرها في استقراره ومعيشته .

يقول الإمام القرطبي^(٤) - رحمه الله - : «... حُنَفَاءَ لِلَّهِ ..» معناه مستقيمين ، أو
مسلمين مائلين إلى الحق ، ولفظة : ﴿... حُنَفَاءَ ...﴾ من الأضداد تقع على الاستقامة
وتقع على الميل .^(٥)

وقوله : ﴿... غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ...﴾ يعني أن الحنيفية السمحة إنما تتم بترك الشرك ،
ومن أشرك بالله لا يكون حنيفاً.^(٦)
فمن أشرك ﴿... فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ ...﴾ أي : سقط منها ، ﴿... فَتَخَطَفُهُ الطَّيْرُ ...﴾
بسرعة ﴿... أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ أي : بعيد ، وكذلك حال المشرك ،

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن / (٨٢/٩) ، لأبي الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري ،
عناية وتقديم ومراجعة : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري .

(٢) الأصول الثلاثة وأدلتها / (ص ٦) .

(٣) سورة الحج ، الآية (٣١) .

(٤) تقدمت ترجمته في (ص ٢٤) من هذه الرسالة .

(٥) الجامع لأحكام القرآن / (٣٨/١٢) .

(٦) انظر : تفسير القرآن / (٤٣٧/٣) ، لأبي المظفر السمعاني ، تحقيق : أبي بلال غنيم بن عباس بن غنيم .

الدعوة إلى الله في سورة الحج ————— (الفصل الأول / موضوع الدعوة إلى الله في سورة الحج)

فالإيمان بمنزلة السماء محفوظة مرفوعة ، ومن ترك الإيمان ، فإنه بمنزلة الساقط من السماء ، عرضة للآفات والبلبات ، فيما أن تخطفه الطير فتقطعه أعضاء ، كذلك المشرك إذا ترك الاعتصام بالإيمان تخطفته الشياطين من كل جانب ، وفرقوه ، وأذهبوا عليه دينه ودنياه.^(١)

ويجب أن تكون الحنيفية أول موضوع يدعو إليه الداعي في دعوته ، فإنه لا صلاح لأمر العبد إلا بصلاح إيمانه بربه ، وهو ما يجب الاهتمام به لما له من أثر عميق في حياة الفرد والمجتمع ، فإن التوحيد الخالص لله - سبحانه وتعالى - يمنح العبد راحة وطمأنينة وأمناً واستقراراً ، لأنه يعبد إلهاً واحداً ، يذكره في الرخاء ويفزع إليه في الشدة ، يذنب فيستغفر ربه فيغفر له ، يرجو ثوابه ويخشى عقابه ، يدفعه إيمانه به إلى طاعته للفوز برضاه ، وهو في هذا واحد في مجتمع لا يصلح إلا بصلاحه ، فالمجتمعات المؤمنة هي أسعد المجتمعات حالاً ، وأكثرها استقراراً ، بخلاف المجتمعات ذات العقائد الفاسدة التي تنتشر فيها الخرافات والأفكار الباطلة ، ويعيش الفرد فيها في حيرة وتخبط ، ويعاني من التأخر والتعثر ؛ لهذا فنعمة التوحيد من أعظم النعم التي أنعم الله بها على عباده ، وينبغي للعبد أن يحمده عليها - سبحانه وتعالى - .

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المثان / (ص ٥٣٨) ، للإمام العلامة : عبدالرحمن ابن ناصر

السعدي ، تحقيق : د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق .

المطلب الثاني: الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر .

أولاً: المقصود بالإيمان باليوم الآخر :

«هو أن تصدق بكل ما بعد الموت من عذاب في القبر ونعيمه ، وبالبعث بعد ذلك ، والحساب والميزان ، والثواب والعقاب ، وبالجنة والنار ، وبكل ما وصف الله به يوم القيامة» .^(١)

واليوم الآخر: هو يوم القيامة الذي يبعث الناس فيه للحساب والجزاء ، وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم.^(٢)

ثانياً : حكم الإيمان باليوم الآخر:

حكم الإيمان باليوم الآخر فريضة واجبة ، وهو أحد أركان الإيمان الستة.^(٣) ففي حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لما سأل جبريل - عليه السلام - النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الإيمان قال: (أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره).^(٤)

ثالثاً : الإيمان باليوم الآخر في سورة الحج :

يتضمن الإيمان باليوم الآخر ثلاثة أمور ، جاءت في سورة الحج كما يلي:

الأول : الإيمان بالبعث :

وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية ، فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة غير منتعلين ، عراة غير مستترين ، غرلاً غير محتنتين.

والبعث : حق ثابت دلّ عليه الكتاب ، والسنة ، وإجماع المسلمين.^(٥)

قال - سبحانه وتعالى - : ﴿... وَأَنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد / (ص ٢٩٠).

(٢) انظر : شرح ثلاثة الأصول / (ص ١٠٠).

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية / (ص ٤٧٢) ، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، إعداد الشيخ: فهد ابن ناصر السليمان .

(٤) هذا الحديث سبق تخريجه في (ص ٣٢) من هذه الرسالة.

(٥) انظر : شرح ثلاثة الأصول / (ص ١٠٠).

الْقُبُورِ ﴿١﴾ .^(١)

يقول الإمام الخازن^(٢) - رحمه الله - في تفسير هذه الآية : « أي ما ذكر من الدلائل لتعلموا أن الساعة كائنة لاشك فيها ، وأنها حق ، وأن البعث بعد الموت حق » .^(٣)

وقال - تعالى - : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَتُقَرُّوا إِلَى الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَقَّى وَمِنْكُمْ مَّنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٤﴾ .^(٤)

قال العلامة ابن كثير^(٥) - رحمه الله - : « ذكر - تعالى - الدليل على قدرته - تعالى -

على المعاد بما يُشاهد من بدئه للخلق » .^(٦)

ومن السنة ما رواه عائشة - رضي الله عنها - عن النبي - ﷺ - أنه قال : (تَحْشَرُونَ حَفَاةَ عَرَاةٍ غُرُلًا) ^(٧) .^(٨)

(١) سورة الحج ، الآية (٧) .

(٢) علي بن محمد بن إبراهيم الشيعي علاء الدين ، المعروف بالخازن ، (٦٧٨-٧٤١هـ) ، عالم بالتفسير والحديث ، من فقهاء الشافعية ، ولد ببغداد ، وسكن دمشق مدة ، وكان خازن الكتب بالمدرسة فيها ، له تصانيف ، منها : «لباب التأويل في معاني التنزيل» في التفسير ، «مقبول المنقول» في الحديث . انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب / (١٣١/٦) ، الأعلام / (٥/٥) .

(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل / (٢٨٢/٣) ، للإمام علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن .

(٤) سورة الحج ، الآية (٥) .

(٥) تقدمت ترجمته في (ص ٤٧) من هذه الرسالة .

(٦) تفسير القرآن العظيم / (١٩٥/٣) .

(٧) غُرُلًا : جمع أغرل ، وهو الأكلف ؛ أي : غير محتونين . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر / (ص ٦٦٩) .

(٨) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الرقاق ، باب الحشر ، ح (٦٥٢٧) ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الجنة ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ، ح (٥٦) . انظر : موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ٥٤٧ ، ١١٧٤) .

وقد أجمع المسلمون على ثبوته، وهو مقتضى الحكمة حيث تقتضي أن يجعل الله - تعالى - لهذه الخليقة معاداً يجازيهم فيه على ما كلفهم به على ألسنة رسله. ^(١)

قال - تعالى - : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ... ﴾. ^(٢)

وفيه يفصل الله - تعالى - بين المختلفين من خليقته ، قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِّينَ وَالنَّصِرَاتِ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾. ^(٣)

وقال - تعالى - : ﴿ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾. ^(٤)

والإيمان بالبعث من القضايا المهمة التي ينبغي للداعي إلى الله أن يغرسها في نفوس المدعوين ، فيحرص على تأكيد الإيمان بالحياة بعد الموت ، وما يشتمل عليه من أمور ينبغي للعبد ألا يغفل عنها.

الثاني : الإيمان بالحساب والجزاء :

وهو أن الله - سبحانه وتعالى - يحاسب العبد على عمله ، ويجازيه عليه .

وقد دل على ذلك الكتاب ، والسنة ، وإجماع المسلمين. ^(٥)

قال - تعالى - : ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾. ^(٦)

فيقال للعبد إذا أذيق عذاب النار يوم القيامة : هذا العذاب الذي نذيقكه اليوم بما قدمت يداك في الدنيا من الذنوب والآثام ، واكتسبته فيها من الإجماع ؛ لأن الله ليس بظلام للعبيد ، فيعاقب بعض عبيده على جرم ، وهو يعفو مثله عن آخر غيره ، أو يحمل ذنب مذنّب على غير مذنّب فيعاقبه به ويعفو عن صاحب الذنب ، ولكنه لا

(١) انظر : شرح ثلاثة الأصول / (ص ١٠٠).

(٢) سورة الحج ، الآية (٤٧).

(٣) سورة الحج ، الآية (١٧).

(٤) سورة الحج ، الآية (٦٩).

(٥) انظر : شرح ثلاثة الأصول / (ص ١٠١).

(٦) سورة الحج ، الآية (١٠).

يعاقب أحداً إلا على جرمه ، ولا يعذب أحداً على ذنب يغفر مثله لآخر إلا بسبب استحق به منه مغفرته .^(١)

وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾^(٢) .
ومن السنة ما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما - ، عن النبي - ﷺ - ، فيما يرويه عن ربه - عز وجل - قال : (إن الله - عز وجل - كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك ، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة ، فإن همَّ بها وعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة ، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة)^(٣) .

« وقد أجمع المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال ، وهو مقتضى الحكمة ، فإن الله - تعالى - أنزل الكتب ، وأرسل الرسل ، وفرض على العباد قبول ما جاءوا به ، والعمل بما يجب العمل به منه ، وأوجب قتال المعارضين له وأحلّ دماءهم ، وذرياتهم ، ونساءهم ، وأموالهم ، فلو لم يكن حساب ولا جزاء لكان هذا من العبث الذي ينزهه الرب الحكيم عنه »^(٤) .

قال - سبحانه و تعالى - : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنْتُمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾^(٥) .

وقال - سبحانه - : ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن / (١٦/٤٧١، ٤٧٢) .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية (٤٧) .

(٣) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الرقاق ، باب من همَّ بحسنة أو سيئة ، ح (٦٤٩١) ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب إذا همَّ العبد بحسنة كتب ، وإذا همَّ بسيئة لم تكتب ، ح (٢٠٧) . انظر : موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ٥٤٤ ، ٧٠٠) .

(٤) شرح ثلاثة الأصول / (ص ١٠٢) .

(٥) سورة المؤمنون ، الآية (١١٥) .

فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٦﴾ . (١)

والإيمان بالحساب والجزاء ضروري في تأصيل معاني العقيدة في نفس المدعو ، كما أن إيمان المدعو واعتقاده الجازم بأن الله - سبحانه - سيحاسبه على أفعاله يحجزه عن التماذي في ارتكاب المعاصي ، و يدعو إلى مراجعة نفسه ومحاسبتها دائماً .

الثالث : الإيمان بالجنة والنار:

وأهمها المآل الأبدي للخلق، وجزاؤهم على ما قدموه في دنياهم ، فالجنة دار النعيم التي أعدّها الله - تعالى - للمؤمنين المتقين، الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسوله، مخلصين لله متبعين لرسوله. (٢)

قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ . (٣)

والنار دار العذاب التي أعدّها الله - تعالى - للكافرين المكذبين بآياته ، المعرضين عما جاء به الرسل من الحق المبين ، وفيها من العذاب والنكال ما تقشعر له الأبدان .

قال - تعالى - : ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٠﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿١١﴾ وَلَهُمْ مَقْلَعٌ مِنْ حديدٍ ﴿١٢﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ . (٤)

وقال - تعالى - : ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ . (٥)

والإيمان بالجنة والنار بأهمها جزاء الأعمال من القضايا التي تعتمد على محوري

(١) سورة الأعراف ، الآيتان (٦ ، ٧) .

(٢) شرح ثلاثة الأصول / (ص ١٠٢) .

(٣) سورة الحج ، الآية (٢٣) .

(٤) سورة الحج ، الآيات (١٩ - ٢٢) .

(٥) سورة الحج ، الآية (٥١) .

الطمع والخوف ، فالنفس البشرية تتقلب بين أمر ترجوه ، وآخر تخشاه ، وتأصيل هذه العقيدة في نفس المدعو إلى الله من الأمور التي ينبغي للداعي إلى الله أن يراعيها.

رابعاً : من ثمرات الإيمان باليوم الآخر :

للإيمان باليوم الآخر ثمرات جليلة ، منها :

- ١ - الرغبة في فعل الطاعة ، والحرص عليها ، رجاء ثواب ذلك اليوم.
- ٢ - الرهبة عند فعل المعصية وعدم الرضى بها ، خوفاً من عقاب ذلك اليوم.
- ٣ - تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من ثواب الآخرة ونعيمها.
- ٤ - استدامة المراقبة ، واستحضار اليوم الذي ينصب فيه ميزان العدل وتنشر فيه صحف الأعمال.

٥ - التوازن بين العمل للدنيا والعمل للآخرة ، فلا يركن العبد إلى الدنيا ومغرياتها ولا يزهد فيها فيقعده ذلك عن العمل ، بل يبقى وسطاً كما قال -تعالى- : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّكَارِ ﴾ (١).

٦ - تعميق الإيمان بعدل الله ؛ لأن المؤمن باليوم الآخر يعتقد أن هذه الدنيا دار ممر ، لا دار جزاء ومستقر ، وتعثرها النقائص والمنغصات ، أما الدار الآخرة فهي دار الجزاء العادل ، والقسطاس المستقيم ، يقيمه الإله العدل - سبحانه - ، الذي لا يظلم أبداً ، ولا يجور حكمه على أحد. (٢)

هذا فيما يتعلق بالدعوة إلى الله في مجال العقيدة في سورة الحج ، والتي ينبغي للداعي إلى الله أن يبدأ في تأصيلها في نفس المدعو إلى الله ، قبل أن يدعوه لقضايا الشريعة الإسلامية.

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٠١) .

(٢) انظر : شرح ثلاثة الأصول / (ص ١٠٥) ، العقيدة الإسلامية / (ص ٤٥٦ - ٤٥٨) ، د. مصطفى بن سعيد

الحن ، محيي الدين ديب مستو .

المبحث الثاني: الدعوة إلى الله في مجال الشريعة .

توطئة :

جاءت الدعوة إلى الشريعة الإسلامية في سورة الحج بمجمل ومفصلة ، فأجمل - سبحانه وتعالى - الدعوة إليها في قوله : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

قال أبو حيان (٢) - رحمه الله - في تفسير الآية : « يظهر في هذا الترتيب أنهم أمروا أولاً بالصلاة وهو نوع من العبادة ، وثانياً : بالعبادة وهي نوع من فعل الخير ، وثالثاً : بفعل الخير وهو أعم من العبادة ، فبدأ بخاص ، ثم بعام ، ثم بأعم » (٣) .

أما ما أمر به تفصيلاً فالدعوة إلى القيام بواجبات التمكين في الأرض . قال - تعالى - : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (٤) .

والدعوة إلى أداء فريضة الحج ، قال - تعالى - : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (٥) .

والدعوة إلى الجهاد في سبيل الله ، قال - تعالى - : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ... ﴾ (٦) . وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (٧) .

وفيما يلي تفصيل ذلك.

(١) سورة الحج ، الآية (٧٧) .

(٢) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي ، (٦٥٤-٧٤٥هـ) ، أبو حيان ، من كبار العلماء بالعربية و التفسير والحديث والتراجم واللغات ، ولد في إحدى جهات غرناطة ، وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة بعد أن كف بصره ، من أشهر كتبه : « البحر المحيط » في تفسير القرآن ، و « مجاني العصر » في تراجم رجال عصره . انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب / (١٤٥/٦) ، (١٤٧) ، الأعلام / (١٥٢/٧) .

(٣) البحر المحيط / (٣٦٠/٦) ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، تحقيق الشيخ : عادل بن أحمد عبدالموجود ، وآخرون .

(٤) سورة الحج ، الآية (٤١) .

(٥) سورة الحج ، الآية (٢٧) .

(٦) سورة الحج ، الآية (٧٨) .

(٧) سورة الحج ، الآية (٣٩) .

المطلب الأول: الدعوة إلى القيام بواجبات النكسين في الأرض.

قال - تعالى - : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (١).

«يراد بالتمكين التوثيق ، وأصله إقرار الشيء في مكان . وهو في الآية مستعمل في التسليط والتعليك» (٢).

ذكر بعض العلماء أن في هذه الآية بياناً لصفة المهاجرين والخلفاء الراشدين ، قال الإمام أبو بكر الجصاص (٣) - رحمه الله - : «هذه صفة الذين أُذن لهم في القتال بقوله - تعالى - : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا ... ﴾ - إلى قوله - ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ... ﴾» (٤) وهذه صفة المهاجرين ؛ لأنهم الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ، فأخبر - تعالى - أنه إن مكَّنهم في الأرض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، وهو صفة الخلفاء الراشدين الذين مكَّنهم الله في الأرض ، وهم أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي - ؓ - ، وفيه الدلالة الواضحة على صحة إمامتهم ؛ لإخبار الله - تعالى - بأنهم إذا مكَّنوا في الأرض قاموا بفروض الله عليهم ، وقد مكَّنوا في الأرض فوجب أن

(١) سورة الحج ، الآية (٤١) .

(٢) التحرير والتنوير / (٢٨٠/١٦)

(٣) أحمد بن علي الرازي الحنفي ، (٣٠٥ - ٣٧٠ هـ) ، أبو بكر الجصاص ، الإمام العلامة ، المفتي المجتهد ، سكن بغداد ومات فيها ، كان صاحب علم ورحلة ، وكان مع براعته في العلم ذا زهد وتعبد ، عُرض عليه قضاء القضاة فامتنع منه ، من كتبه : « أحكام القرآن » . انظر : سير أعلام النبلاء / (١٦/ ٣٤٠ ، ٣٤١) ، الأعلام / (١٧١/١) .

(٤) سورة الحج ، الآيات (٣٩ - ٤٠) .

يكونوا أئمة القائمين بأوامر الله ، منتهين عن زواجره ونواهيه»^(١).
إلا أن القرطبي^(٢) - رحمه الله - نقل عن الضحاك^(٣) في تفسير هذه الآية قوله :
« هو شرط شرطه الله - عز وجل - على من آتاه الملك »^(٤).
فتكون واجبات التمكين على هذا مقصورة على أولي الأمر .

لكن الصحيح أن هذه الواجبات تجب على المسلمين عامة ، فقد ذكر العلامة ابن كثير^(٥) - رحمه الله - عن عمر بن عبد العزيز^(٦) - رحمه الله - أنه خطب الناس ، فقال : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ... ﴾ الآية ، قال : « ألا إنها ليست على الوالي وحده ، ولكنها على الوالي والمولى عليه ، ألا أنبئكم بما لكم على الوالي من ذلك ، وبما للوالي عليكم منه ؟ إن لكم على الوالي من ذلكم أن يأخذكم بحقوق الله عليكم ، وأن يأخذ لبعضكم من بعض ، وأن يهديكم للتي هي أقوم ما استطاع ، وإن عليكم من ذلك الطاعة غير المبزورة »^(٧) ولا المخالف سرها علانياتها»^(٨).
ويبين ذلك - أيضاً - أن الشيخ ابن عاشور^(٩) - رحمه الله - ذكر أن قوله - تعالى - : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ... ﴾ الآية ، يجوز أن يكون بدلاً من ﴿ مَنْ ﴾

(١) أحكام القرآن / (٨٣/٥) ، حجة الإسلام الإمام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي .

(٢) تقدمت ترجمته في (ص ٢٤) من هذه الرسالة .

(٣) تقدمت ترجمته في (ص ٢٣) من هذه الرسالة .

(٤) الجامع لأحكام القرآن / (٤٩/١٢) .

(٥) تقدمت ترجمته في (ص ٤٧) من هذه الرسالة .

(٦) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، (٦٣-١٠١هـ) ، الخليفة الزاهد ، كان ثقة مأموناً ، له فقه وعلم وورع ، وكان إمام عدل ، جيد السياسة ، فصيحاً مفوهاً ، دامت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأياماً . انظر : سير أعلام النبلاء / (١١٤-١٤٨) .

(٧) بزه يزه براً : غلبه وغضبه ، وبز الشيء يزه براً : انتزعه . لسان العرب / (٣١٢/٥) .

(٨) تفسير القرآن العظيم / (٢١٤/٣) .

(٩) تقدمت ترجمته في (ص ٢٤) من هذه الرسالة .

الموصولة في قوله : ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾ ، فيكون المراد : كل من نصر الدين من أجيال المسلمين .^(١)

ونصر الدين يمكن أن يأتي من عامة المسلمين ؛ بالدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وغير ذلك .

ثم قال : « والكلام مسوق للتنبيه على الشكر على نعمة النصر بأن يأتوا بما أمر الله به من أصول الإسلام ، فإن بذلك دوام نصرهم وانتظام عقد جماعتهم ، والسلامة من اختلال أمرهم ، فإن حادوا عن ذلك فقد فرطوا في ضمان نصرهم وأمرهم إلى الله ، فأما إقامة الصلاة فلدلالتها على القيام بالدين ، وتجديده لمفعوله في النفوس ، وأما إيتاء الزكاة فهو ليكون أفراد الأمة متقاربين في نظام معاشهم ، أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلتنفيذ قوانين الإسلام بين سائر الأمة من تلقاء أنفسهم » .^(٢)

فواجبات التمكين هي :

١ - إقامة الصلاة في أوقاتها ، وحدودها ، وأركانها ، وشروطها ، في الجمعة والجماعات .

٢ - إيتاء الزكاة التي على الولاية خصوصاً ، وعلى رعيتهم عموماً ، يؤتونها أهلها ، الذين هم أهلها .

٣ - الأمر بالمعروف ، وهذا يشمل كل معروف حُسنه شرعاً وعقلاً من حقوق الله والآدميين ، والنهي عن المنكر ، وهو كل منكر شرعاً وعقلاً معروف قبحه .^(٣)

ولأهمية هذه الواجبات وضرورة القيام بها سأفصل الحديث عنها فيما يلي .

(١) انظر : التحرير والتنوير / (١٦/ ٢٨٠) .

(٢) التحرير والتنوير / (١٦/ ٢٨٠) .

(٣) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / (ص ٥٤٠) .

الواجب الأول : إقامة الصلاة :

أولاً : تحريف الصلاة :

أ- تعريف الصلاة في اللغة :

الصلاة: الركوع والسجود ، والجمع: صلوات ، والصلاة : الدعاء والاستغفار ، قال -تعالى- : ﴿... وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ...﴾^(١) . وبه سميت الصلاة ؛ لما فيها من الدعاء والاستغفار .
والصلاة من الله رحمة ، ومن المخلوقين الملائكة والإنس والجن : القيام والركوع والسجود والدعاء والتسبيح .

والأصل في الصلاة اللزوم . والصلاة من أعظم الفرض الذي أُمرَ بلزومه .^(٢)
وقيل هي : « العبادة المخصوصة المبينة حدود أوقاتها في الشريعة » .^(٣)
« والصلوات : كنائس اليهود ، وأصله بالعبرانية : صلوتا » .^(٤)
قال -تعالى- : ﴿... وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ...﴾^(٥) .
وهذه مواضع إقامة العبادات ، فالصوامع لرهبان النصارى ، وعباد الصابئين ، والبيع كنائس النصارى ، والصلوات كنائس اليهود ، والمساجد للمسلمين .^(٦)
ب- تعريف الصلاة في الاصطلاح :

«التعبد لله -تعالى- بأقوال وأفعال معلومة، مفتوحة بالتكبير، مختتمة بالتسليم» .^(٧)

(١) سورة التوبة ، الآية (١٠٣) .

(٢) انظر : لسان العرب / (٤٦٤/١٤ ، ٤٦٥) .

(٣) المعجم الوسيط / (ص ٥٢٢) .

(٤) القاموس المحيط / (ص ١٣٠٤) .

(٥) سورة الحج ، الآية (٤٠) .

(٦) انظر : الجامع لأحكام القرآن / (٤٨/١٢) .

(٧) الشرح الممتع على زاد المستقنع / (٥/٢) .

ثانياً: حكم إقامة الصلاة :

جاء الأمر بإقامة الصلاة على الوجوب ، قال -تعالى- : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ (١).
وقال -تعالى- : ﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ... ﴾ (٢).

كما جعلها من صفات عباده المختبين ، حيث يقول - سبحانه وتعالى - :
﴿ ... وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ (٣) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (٤).

وهي الركن الثاني من أركان الإسلام فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال : قال رسول الله - ﷺ - : (بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان). (٥).

ثالثاً: الصلاة في الشرائع السماوية السابقة :

لقد كانت الصلاة مشروعة في كل الملل السابقة ، قال -تعالى- : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴾ (٦).

وهذا في معرض حديثه عن إبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب - عليهم الصلاة والسلام-.

وقال - سبحانه - : ﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ (٧) وَكَانَ بِأَمْرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ (٨).

(١) سورة النساء ، الآية (١٠٣).

(٢) سورة الحج ، الآية (٧٨) .

(٣) سورة الحج ، الآيتان (٣٤ ، ٣٥).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الإيمان ، باب بني الإسلام على خمس ، ح (٨) ، والإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام ، ح (٢١) . انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ٢ ، ٦٨٣).

(٥) سورة الأنبياء ، الآية (٧٣).

(٦) سورة مريم ، الآيتان (٥٤ ، ٥٥).

الدعوة إلى الله في سورة الحج ————— (الفصل الأول / موضوع الدعوة إلى الله في سورة الحج)

ولكنها كانت مختلفة عن صلاتنا ، فقد سئل شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله- : هل كانت الصلاة على من قبلنا من الأمم مثل ما هي علينا من الوجوب والأوقات والأفعال والهيئات ، أم لا ؟

فأجاب - رحمه الله - : « كانت لهم صلاة في هذه الأوقات ، لكن ليست مماثلة لصلاتنا في الأوقات والهيئات ، وغيرهما . والله أعلم » .^(١)

رابعاً: منزلة فريضة الصلاة في الإسلام :

فرض الله - سبحانه وتعالى - الصلاة على هذه الأمة على رسوله محمد - ﷺ - ليلة عُرج به بدون واسطة ، يقول - عليه الصلاة والسلام - في حديث الإسراء : (...) ثم عُرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام ، ففرض الله على أمتي خمسين صلاة (...) ،^(٢) فما زال - ﷺ - يراجع ربه - سبحانه - حتى خففها إلى خمس صلوات .

وقد أُنخِرَ الله - تعالى - فريضتها إلى تلك الليلة إشادة بها ، وبيانا لأهميتها لأنها :

أولاً : فُرِضَتْ من الله - عز وجل - إلى رسوله بدون واسطة .

ثانياً : فرضت في ليلة هي أفضل الليالي لرسول الله - ﷺ - .

ثالثاً : فرضت في أعلى مكان يصل إليه البشر .

رابعاً : فرضت خمسين صلاة ، وهذا يدل على محبة الله لها ، وعنايته بها - سبحانه

وتعالى - ، ولكن خففت فجعلت خمساً بالفعل ، وخمسين في الميزان ، فمن صلاها

فكأنما صلى خمسين صلاة .

وهذا فضل عظيم من الله - عز وجل - بالنسبة لهذه الأمة ، ولا نجد عبادة

(١) فقه الصلاة وأحكامها / (ص ١١) ، لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، تهذيب وضبط وتعليق: السيد الجميلي .

(٢) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الصلاة ، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء ، ح (٣٤٩) ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله - ﷺ - إلى السماوات وفرض الصلاة ، ح (٢٥٩) . انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ٣٠ ، ٧٠٥) .

فرضت يوماً في جميع العمر إلا الصلاة ، فالزكاة حولية ، والصيام حولي ، والحج عمري .^(١)

كما إنها أولى واجبات من مكن له في الأرض ، قال -تعالى- : ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ .^(٢)

فكان المسجد الذي تؤدي فيه هو أول ثمار تمكين الله للمسلمين في الأرض ، ومنه بدأ تاريخهم الحضاري ، فبعد أن مكن الله للإسلام والمسلمين بهجرة النبي -ﷺ- إلى المدينة ، واتخاذها منها قاعدة لبناء دولة الإسلام وحضارته ، كان أول عمل قام به الرسول -ﷺ- هو بناء مسجد قباء ليكون دليلاً عملياً على الالتزام بإقامة الصلاة بعد توحيد الخالق ، وعزماً على تنفيذ ما ألزمهم به ربهم .^(٣)

والصلاة هي أول ما يجب على الداعي أن يدعو إليها بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأول ما يجب على العبد بعد دخوله الإسلام ، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي -ﷺ- بعث معاذاً -رضي الله عنه- إلى اليمن ، فقال : (إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ،...) .^(٤)

كما أن تركها يُخرج العبد من الإسلام ويدخله في دائرة الكفر ؛ فعن جابر ابن عبد الله -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال : (إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك

(١) انظر : الشرح الممتع على زاد المستقنع / (٢/ ٦ ، ٧) .

(٢) سورة الحج ، الآية (٤١) .

(٣) انظر : الصلاة / (ص ٣٣٧) ، تأليف الأستاذ الدكتور : عبد الله بن محمد الطيار .

(٤) سبق تخريج هذا الحديث في (ص ٤٠) من هذه الرسالة .

الصلاة). (١)

خامساً : أثر إقامة الصلاة على العبد :

لإقامة الصلاة أثر عظيم على العبد ، لا تتركه أي عبادة أخرى فهي عماد الدين ، ومفتاح كل خير ، تعطي القلب أنساً وسعادة ، وتعطي الروح بشراً وطمأنينة ، وتعطي الجسد نشاطاً وحيوية ، وهي تربي النفس على طاعة الخالق ، وتعلم العبد آداب العبودية ، وواجبات الربوبية ، بما تغرسه في قلب صاحبها من قدرة الله وعظمته ، وبطشه وشدته ، ورحمته ومغفرته ، كما تحليه وتجمله بمكارم الأخلاق ، لسموه بنفسه عن صفات الخسّة والدناءة ؛ فإذا بحثت عن أثر الصلاة فيه وجدته صادقاً أميناً قانعاً وفيّاً حليماً متواضعاً عدلاً ، ينأى عن الكذب والخيانة والطمع ، والغدر والغضب والكبر والظلم . (٢)

كما أنها تربي في نفس المصلي الشعور بالوحدة العامة بين المسلمين في أنحاء العالم الذين يتجهون في صلاتهم إلى مكان واحد هو بيت الله الحرام ، وتنمي الشعور بالوحدة والتعارف والتكافل كذلك بين المسلمين في الحي الواحد وهم يجتمعون في المسجد كل صلاة .

والمصلي الذي يتحرى دائماً وقت الصلاة ، ويحرص على أدائها في وقتها ، يتعود على الدقة في مواعيده ، والحرص على وقته ، كما أن انتظام المصلين خلف الإمام يعودهم على التلاحم والنظام ، وفي اتباعهم للإمام وعدم مسابقتها تدريب على الطاعة والالتزام ، وتصويهم للإمام تعويد على النصح عند الخطأ والنسيان ، ووقوفهم في صفوف الصلاة بلا تميز يولد في النفوس معنى المساواة والألفة وعدم التعالي . (٣)

(١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة ، ح (١٣٤) . انظر : موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ٦٩٢) .

(٢) انظر : الصلاة / (ص ٢٤ ، ٢٥) .

(٣) انظر : من فقه الدعوة / (٢/ ١٤٦ ، ١٤٧) ، تأليف الأستاذ : مصطفى مشهور .

الواجب الثاني : إيتاء الزكاة :

أولاً: تعريف الزكاة :

أ- تعريف الزكاة في اللغة :

أصل الزكاة في اللغة : الطهارة والنماء والبركة والمدح ، وكل هذه الألفاظ استعملت في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .^(١)

وهي من الفعل زكا .

وزكا الشيء زُكُوًّا وزَكَاءً وزَكَاةً : نما وزاد .

وزكا فلان : صلح وتنعم .^(٢)

«وزكى الرجل نفسه : إذا وصفها ، وأثنى عليها» .^(٣)

«والزكاة : صفوة الشيء ، وما أخرجته من مالك لتطهره به» .^(٤)

ب- تعريف الزكاة في الاصطلاح:

«اسم لإخراج شيء مخصوص ، من مال مخصوص ، على وجه مخصوص» .^(٥)

ثانياً: حكم إيتاء الزكاة :

الزكاة فريضة واجبة على المسلم ، إذا توفرت شروطها ، وركن من أركان الإسلام ، وهي حق واجب في المال ، أوجبها الله تطهيراً ونماءً لمال المسلم ، يدفعه الغني للفقير حقاً له بلا غضاضة.

فقد جاءت النصوص الشرعية في الكتاب والسنة تأمر بها ، قال الله -تعالى- :

(١) انظر: لسان العرب / (٣٥٨/١٤).

(٢) انظر: المعجم الوسيط / (ص٣٩٦).

(٣) لسان العرب / (٣٥٨/١٤).

(٤) القاموس المحيط / (ص١٢٩٢) .

(٥) شرح الزركشي على مختصر الخرقي في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل / (٣٧٢/٢) ، للشيخ شمس الدين محمد بن عبد الله الزركشي الحنبلي ، تحقيق وتخريج فضيلة الشيخ : عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين.

﴿...وَأَتُوا الزَّكَاةَ...﴾^(١)

وهي ثاني واجبات من مكن له في الأرض ، قال -تعالى- : ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^(٢)

وعن عبدالله بن عمر -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: (بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان).^(٣)

واتفق الصحابة -رضي الله عنهم- على قتال مانعيها ، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : « لما توفي رسول الله -ﷺ- وكان أبو بكر -رضي الله عنه- وكفر من كفر من العرب ، فقال عمر -رضي الله عنه- : فكيف تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله -ﷺ- : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه ، وحسابه على الله) ، فقال : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ؛ فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقاً^(٤) كانوا يؤدونها إلى رسول الله -ﷺ- لقاتلتهم على منعها . قال عمر -رضي الله عنه- : فوالله ! ما هو إلا أن شرح الله صدر أبي بكر -رضي الله عنه- فعرفت أنه الحق ». ^(٥)

فإذا وجبت الزكاة في المال وجب إخراجها إلى مصارفها الثمانية التي ذكرها المولى -جل شأنه- في قوله : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا

(١) سورة الحج ، الآية (٧٨).

(٢) سورة الحج ، الآية (٤١).

(٣) سبق تخريج هذا الحديث في (ص ٦٢) من هذه الرسالة .

(٤) العناق : « الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم له سنة ». النهاية في غريب الحديث والأثر / (ص ٦٤٦) .

(٥) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة ، ح (١٣٩٩ ، ١٤٠٠) ، وأخرجه الإمام

مسلم في كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ... ، ح (٣٢) ،

انظر : موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ١١٠ ، ٦٨٤).

الدعوة إلى الله في سورة الحج ————— (الفصل الأول / موضوع الدعوة إلى الله في سورة الحج)

وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَآبَنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾

وقد أوجب الإسلام الزكاة مرة كل عام ، ماعدا الثمار والزروع فموعد زكاتها تمام نموها ، وهذا أعدل الأداء ، فإن وجوب الزكاة كل يوم أو كل أسبوع أو كل شهر يضر برأس المال ، ولا يدفعها الدافع عن سماح وتراض ، كما أن وجوبها مرة واحدة في العمر يضر بمن وجبت لهم الزكاة من المساكين فليس أعدل من مواعيد الزكاة. (٢)

ثالثاً: الزكاة والفقير :

للزكاة أهمية كبرى في الشريعة الإسلامية لمعالجته الفقر ، فقد عرف الإنسان الفقر والحرمان منذ زمن قديم ، ولم يستطع الداعون - لمعالجة ذلك - في مختلف العصور انتشارال الفقراء من وضعهم السيئ ، كما أنهم لم يفلحوا في كسب عطف الأغنياء وبذلهم على الفقراء ، وإذا تتبعنا الشرائع السماوية قبل الإسلام وجدناها دعت فيما دعت إليه إلى البر بالفقراء والضعفاء ، والإحسان إليهم ، والأخذ بأيديهم، وقد أفاض القرآن الكريم في إيضاح هذا الخلق السامي في دعوة كثير من الأنبياء السابقين ، قال -تعالى-: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (٣).

وقال -تعالى- في أهل الكتاب عموماً : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ

(١) سورة التوبة ، الآية (٦٠).

(٢) انظر: فريضة الزكاة / (ص ٩٣) ، تأليف : عبدالرزاق نوفل .

(٣) سورة المائدة ، الآية (١٢) .

حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿١﴾^(١)

ولكن هذه الدعوة إلى إيتاء الزكاة في هذه النصوص لا تعدو أن تكون ترغيباً في الإحسان والعطف ، وترهيباً من الأنانية والبخل ، ودعوة صريحة إلى التصديق عن طواعية واختيار ، ولا يفهم من هذه النصوص الإيجاب والإلزام ، كما أنها وكلت موضوع الزكاة إلى الأفراد ، ولم تُلزم الدولة بجبايتها وتوزيعها على مستحقيها ، ولم تحدد الأموال التي تزكى ولا شروط الزكاة ولا من تدفع له ؛ بل أجهت ذلك كله ، الأمر الذي يتعذر معه جبايتها وتوزيعها ، ومن ثم لا تعد حلاً جذرياً للفقير ؛ بل يفهم منها التخفيف من ويلات الفقراء والتقليل من يؤسهم مع بقاء أصل المشكلة.^(٢)

يقول الدكتور يوسف القرضاوي : « وبهذا نقول إن الفقراء والضعفاء كانوا تحت رحمة الأغنياء ومُنتهم ، إذا حركهم حب الله والآخرة ، أو حب الثناء والمروءة جادوا بشيء - لو قليلاً - على ذوي الضعف والحاجة والفقير ، فهم أصحاب الفضل والمنّة ، وإذا غلب عليهم حب المال وحب الذات ، ضاع الفقراء وافتorstهم مخالب الفاقة ، ولم يجدوا من يدافع عنهم ، أو يطلب لهم حقاً ، إذ لم يكن لهم حق معلوم ، وهذا هو خطر الإحسان الموكول إلى الأفراد».^(٣)

فلما جاء الإسلام أوجب الله الزكاة على عباده ، وحدد نصابها ومصارفها ، وألزم الأغنياء إذا توافرت شروطها إخراجها إلى الفقراء في وقتها المعلوم ، فريضة من الله ، ولذلك كان لها أثر كبير في المجتمع الإسلامي.

رابعاً: من آثار إيتاء الزكاة على الفرد والمجتمع :

يترك إيتاء الزكاة آثاراً عظيمة في حياة الفرد والمجتمع ، ومن ذلك :

١ - تحقيق العبودية لله - تعالى - ؛ وذلك أن الزكاة عبادة مالية تأتي استجابة

(١) سورة البينة ، الآية (٥) .

(٢) انظر : الزكاة وتطبيقاتها المعاصرة / (ص ١٤ - ١٦) ، أ. د. عبد الله بن محمد الطيار.

(٣) فقه الزكاة / (١/ ٥٢) ، د. يوسف القرضاوي.

لأمر الله ووفاء لعهدده .

٢- في الزكاة تطهير لنفس المعطي من البخل والشح والطمع ، وتربية لنفسه على الجود والبذل والعطاء ، وفيها كذلك تطهير لنفس الآخذ من الحقد والحسد .

٣- إعانة الضعفاء ، وكفاية أصحاب الحاجة .

٤- تنمية الروح الاجتماعية بين الأفراد ، فيشعر المسلم بعضويته في الجماعة المسلمة ، فهو يشارك في الواجبات وينهض بأعباء المجتمع .

٥- الزكاة تكفر الخطايا وتدفع البلاء ، فهي تطهير ورحمة للمسلم .

٦- أنها مصدر قوي لإشاعة الطمأنينة والهدوء في المجتمع ؛ إذ هي وسيلة من وسائل القضاء على الفقر والعوز والجوع والمرض .

٧- الزكاة مجلبة للمحبة ، وسبب لتقوية الرابطة بين الغني ومجتمعه .

٨- أنها تحرر الإنسان من سيطرة حب المال على نفسه .

٩- تحقق تداول المال بين أفراد المجتمع ، وفيها حدّ للفوارق الشاسعة بين الأغنياء والفقراء .

١٠- تحقق للإنسان السعادة الروحية والنفسية بالإحسان للآخرين ، ومشاركتهم آلامهم وحاجاتهم .

١١- أنها تغرس الأمانة المطلقة في نفوس الناس ؛ فالإنسان يقدر بنفسه زكاة ماله ويخرجها من الصنف ولا رقيب عليه إلا الله^(١) .

لهذا فعلى الداعي إلى الله أن يدعو الناس إلى إيتاء الزكاة ، ويحثهم على إخراجها امتثالاً لأمر المولى -جل شأنه- ، ويرغبهم في بذلها ؛ لأن ذلك سبب لنجاحهم وفوزهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة .

(١) انظر : الزكاة وتطبيقاتها المعاصرة / (ص ٢٣) وما بعدها ، فريضة الزكاة / (ص ٦٧) وما بعدها .

كما أن في منع أذائها الضرر الأعظم على المجتمع المسلم ؛ إذ لا تحقق أهدافها السامية ولا يُستفاد من ميزاتهما المثلى ، بل يحل على الأمة غضب الله ونقمته ، وفي هذا بلاء عظيم ، وخطر جسيم .

الواجب الثالث : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

أولاً: تعريف المعروف ، والمنكر:

أ- تعريف المعروف :

• تعريف المعروف في اللغة :

من عَرَفَ ؛ وهو العرفان : أي العلم ، عَرَفَهُ الأمر : أعلمه إياه .
والمعروف ضد المنكر ، والعُرف ضد النكر .^(١)

وهو : « اسم لكل فعل يُعرف حُسنه بالعقل أو الشرع » .^(٢)

• تعريف المعروف في الاصطلاح :

« كل ما يعرفه الشرع ، ويأمر به ، ويمدحه ، ويثني على أهله ، ويدخل في ذلك جميع الطاعات ، وفي مقدمتها توحيد الله - عز وجل - والإيمان به » .^(٣)

ب- تعريف المنكر :

• تعريف المنكر في اللغة :

المنكر من الأمر خلاف المعروف ، والنكرة : خلاف المعرفة .

والإنكار : تغيير المنكر .^(٤)

(١) انظر : لسان العرب / (٩/٢٣٦-٢٤٠) .

(٢) المعجم الوسيط / (ص ٥٩٥) .

(٣) القول السمين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر / (ص ١٠) ، لفضيلة الشيخ :
عبد العزيز بن عبد الله الراجحي .

(٤) انظر : لسان العرب / (٥/٢٣٢-٢٣٤) .

والاستنكار: استفهامك أمراً تنكره . وأنكر ، واستنكره ، وتناكره: جهله.^(١)
ونكر على فلان فعله : عابه ونهاه .
والمنكر: هو كل ما تحكم العقول الصحيحة بقبحه ، أو يُقبحه الشرع ، أو
يُحرمه ، أو يكرهه.^(٢)

● تعريف المنكر في الاصطلاح :

«كل ما ينكره الشرع ، وينهى عنه ، ويذمه ، ويذم أهله ، ويدخل في ذلك جميع
المعاصي والبدع ، وفي مقدمتها الشرك بالله - عز وجل - ، وإنكار وحدانيته ،
أو ربوبيته ، أو أسمائه ، أو صفاته».^(٣)

ثانياً: حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

جاءت الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وإجماع الأمة ؛ دالة على وجوب
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

قال -تعالى- : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(٤) .

وقال - جل شأنه - : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ
دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾^(٥) .
عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾^(٥) .

ومن السنة حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: (ما من
نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون ، وأصحاب يأخذون بسنته

(١) انظر : القاموس المحيط/ (ص ٤٨٧) .

(٢) انظر : المعجم الوسيط/ (ص ٩٥١ ، ٩٥٢) .

(٣) القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر/ (ص ١٠) .

(٤) سورة آل عمران ، الآية (١٠٤) .

(٥) سورة المائدة ، الآيتان (٧٨ ، ٧٩) .

الدعوة إلى الله في سورة الحج ————— (الفصل الأول / موضوع الدعوة إلى الله في سورة الحج)

ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف ، يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل^(١).

كما دل على ذلك الإجماع ، قال ابن حزم^(٢) - رحمه الله - : « اتفقت الأمة كلها على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف من أحد منها »^(٣).
والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثالث واجبات من مكن له في الأرض ، يقول الإمام الشوكاني^(٤) - رحمه الله - في تفسير قوله - تعالى - : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾^(٥) : « وفيه إيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على من مكّنه الله في الأرض ، وأقدره على القيام بذلك »^(٦).

(١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، وأن الإيمان يزيد وينقص ، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان ، ح (٨٠). انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ٦٨٨).

(٢) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الفارسي الأصل ثم الأندلسي ، (٣٨٤-٤٥٦ هـ) ، أبو محمد ، الفقيه الحافظ ، نشأ في تنعم ورفاهية ، ورزق ذكاءً مفرطاً ، وقد زهد في الرئاسة ، ولزم منزله مكباً على العلم ، له مصنفات عدة ، منها: « الفصل في الملل والأهواء والنحل » ، ومنها كتاب : « الأحكام في أصول الأحكام » . انظر : سير أعلام النبلاء / (١٨٤/١٨ - ٢١٢).

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل / (١٩/٥) ، للإمام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري ، تحقيق : د. محمد بن ابراهيم نصر ، د. عبدالرحمن عميره.

(٤) محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني ، (١١٧٣-١٢٥٠ هـ) ، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن ، من أهل صنعاء ، ولد بهجرة شوكان ، نشأ في صنعاء وولّي قضاءها ، له مؤلفات عدة منها : « فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير » ، و« نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار » . انظر : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع / (٤/١) ، للعلامة محمد بن علي الشوكاني ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، الأعلام / (٦/ ٢٩٨).

(٥) سورة الحج ، الآية (٤١).

(٦) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير / (٣/ ٦٥٤ ، ٦٥٥).

وقد أورد القرآن الكريم هنا كلمة ﴿...الْأَرْضُ...﴾ بدلاً من "الناس" ، وأوضح أن فائدة قوة المسلمين وشوكتهم إنما هي في قيامهم بتبليغ دين الله على الأرض ، ونشر الخير والقضاء على الشر ، فواجب المسلم ليس مقصوراً على العرب فقط أو العجم ، بل واجبه واجب عام شامل للدنيا أجمع ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في أي ركن من أركان الدنيا. ^(١)

ولكن انقسم الفقهاء في تحديد صفة الوجوب ، فقال البعض: إن الواجب فرض عين أي واجب محتم ، وعلى كل مسلم أن يؤديه بنفسه على قدر استطاعته ، ورأى الفريق الآخر وهم جمهرة الفقهاء أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات كالجهاد فهو واجب حتم على كل مسلم ، ولكن هذا الواجب يسقط عن الفرد إذا أداه عنه غيره. ^(٢)

ويذكر الأستاذ الدكتور فضل إلهي الحكم الراجح في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأنه: يجب على كل مسلم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، كل على قدر علمه وقدرته ؛ فمن كان علمه أكثر ستكون دائرة احتسابه أوسع ، ومن كان علمه أقل سيكون نطاق احتسابه أضيق ، ومن كان قادراً على الحسبة باليد فباليد ، ومن لم يستطع إلا باللسان فباللسان ، ولمن لم يستطع إلا بالقلب فبالقلب ، وهذا الأخير هو الذي يستطيعه كل مسلم، ولا يجوز لمسلم التخلي عن هذه الدرجة من الاحتساب. ^(٣)

ثالثاً : منزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منزلة كبيرة في الإسلام ، فهما جماع الدين ، وهما قامت دعوة الرسل — عليهم الصلاة والسلام — ، وذلك بأمر الناس بعبادة الله

(١) انظر : شريعة الإسلام في الجهاد والعلاقات الدولية / (ص ٦٦) ، لأبي الأعلى المودودي ، ترجمة الدكتور:

سمير بن عبد الحميد إبراهيم ، مراجعة الدكتور : عبد الحليم بن عويس بن إبراهيم يونس .

(٢) انظر: التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي / (١/٤٩٣ ، ٤٩٤) ، للشيخ : عبد القادر عودة.

(٣) انظر: الحسبة تعريفها ومشروعيتها ووجوبها / (ص ٨٠) ، أ. د. فضل الهي .

وحده - سبحانه - ، ونهيهم عن عبادة غيره ، قال الإمام أبو حامد الغزالي^(١) - رحمه الله - : « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين ، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين ، ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله ، لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة ، وعمت الفترة ، وفشت الضلالة ، وشاعت الجهالة ، واستشرى الفساد ، واتسع الخرق ، وخربت البلاد ، وهلك العباد ، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد »^(٢).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « وإذا كان جماع الدين وجميع الولايات هو أمر ونهي ؛ فالأمر الذي بعث الله به رسوله هو الأمر بالمعروف ، والنهي الذي بعثه به هو النهي عن المنكر »^(٣).

رابعاً : أركان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

أركان الحسبة التي هي عبارة شاملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أربعة : المحتسب ، والمحتسب عليه ، والمحتسب فيه ، ونفس الاحتساب ، فهذه أربعة أركان. **الركن الأول :** المحتسب وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويشترط فيه أن يكون مكلفاً ، مسلماً ، قادراً ، فيخرج منه المجنون ، والكافر ، والعاجز ، ويدخل فيه آحاد الرعايا ، وإن لم يكن مأذوناً لهم بالاحتساب من ولي الأمر، ويدخل فيه الفاسق ، والرقيق ، والمرأة .

الركن الثاني : المحتسب عليه ، وهو فاعل المنكر ، وهو أن يكون في صفة يصير

(١) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي ، (٤٥٠-٥٠٥هـ) ، أبو حامد الغزالي ، الإمام البحر ، حجة الإسلام ، كان له ذكاء وفطنة وتصرف ، برع في الفقه في مدة يسيرة ، ومهر في الكلام والجدل ، وأدخله ذكاؤه في مضايق الكلام ، من أشهر كتبه : «إحياء علوم الدين» وفيه خير كثير لولا ما فيه من طرائق الصوفية ، و«المستصفى» في أصول الفقه. انظر: سير أعلام النبلاء / (٣٢٢/١٩-٣٤٦).

(٢) إحياء علوم الدين / (٣٧٧/٢) ، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، تصحيح وتقديم : عبدالمعطي ابن أمين قلنجي.

(٣) الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية / (ص ١١) ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية .

الفعل الممنوع في حقه منكراً ، وأقل ما يكفي في ذلك أن يكون إنساناً .

الركن الثالث: المحتسب فيه ، وهو كل منكر موجود في الحال ، ظاهر للمحتسب بغير تجسس ، معلوم كونه منكراً بغير اجتهد^(١) .

الركن الرابع : نفس الاحتساب ، ويقصد به القيام الفعلي بهذه الوظيفة من أمر بفعل حكم معين كإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وغير ذلك مما أمر الإسلام بفعله ، أو نهي عن أمر حرمه أو نهي عنه الإسلام ، كشرب الخمر ، أو استعمال آلات اللهو والطرب المحرمة ... ونحو ذلك.^(٢)

خامساً : من فوائد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

هناك حكم عظيمة تتحقق عند القيام بهذا الجانب العظيم من الدين ، وإذا تأملت هذه الحكم تجدوها إما راجعة ومتعلقة بالأمر والنهي ، وإما عائدة إلى المأمور والمنهي ، وإما عامة للجميع .

أ (ما يعود على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومنها :

- ١ - الخروج من عهدة التكليف ، وإقامة الحجة على العباد .
- ٢ - الحصول على الثواب العظيم الذي رتبته الله للقائمين بهذا الأمر .
- ٣ - تكفير السيئات ، والنجاة من العذاب الدنيوي والأخروي الذي توعد الله به من قعد عن هذا الواجب وأهمله .
- ٤ - التشبه بأفضل الخلق وأكملهم ، وهم رسل الله - صلوات الله وسلامه عليهم - .

ب (الفوائد العائدة على المأمور والمنهي ، ومنها :

- ١ - تهيئة الأسباب لتحقيق النجاة الدنيوية والأخروية مما هو فيه من خطر الغفلة

(١) انظر: إحياء علوم الدين / (٢/ ٣٨٤) ، وما بعدها .

(٢) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في حفظ الأمة / (١/ ٢٣٢ ، ٢٣٣) ، د. عبدالعزيز بن أحمد المسعود .

أو الذنب .

٢- ما يُرجى لله من الانتفاع والاستقامة ، فيتحقق الهدف من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ج) الفوائد العامة التي لا تختص بطرف دون الآخر ، ومنها:

١- حفظ العقيدة والدين ، وإقامة الشريعة.

٢- دفع العقوبات العامة الحاصلة بسبب ذنوب العباد ، واستئصال رحمة الله -جل شأنه- .

قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١).

وعن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال : (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ، ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم) . (٢)

٣- تقوية جانب المؤمنين ورفع عزتهم ، وإذلال أهل الباطل ، وكسر شوكتهم.

٤- استقامة الموازين ، واتزان المفاهيم في المجتمع فلا يحدث خلط ولا لبس في المعروف والمنكر؛ بخلاف لو أهمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن ذلك يؤدي إلى خفاء الحقيقة، وإبراز وظهور الشر والباطل . (٣)

فيجب على الداعية المسلم أن يكون من الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر ، وعليه في الوقت نفسه أن يأمر الناس بأداء هذه الشعيرة العظيمة من الدين ، وأن يحثهم

(١) سورة الأنفال ، الآية (٢٥).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في كتاب الفتن عن رسول الله - ﷺ - ، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ح (٢١٦٩) ، وقال : «هذا حديث حسن» ، وصححه العلامة المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله - ، انظر : سنن الترمذي (الجامع الصحيح) / (ص ٤٩٠).

(٣) انظر : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (أصوله وضوابطه وآدابه) / (ص ٧٤) وما بعدها ، د. خالد ابن عثمان السبب .

الدعوة إلى الله في سورة الحج ————— (الفصل الأول / موضوع الدعوة إلى الله في سورة الحج)

على القيام بها ، ويدرّهم بفضلها ، وعظم شأنها ، والأهداف التي تحققها ، والآثار التي تترتب على إهمالها ، فإن المسلم لا يخلو من أن يكون عالماً ولو بجزئية من جزئيات الشريعة ، فعليه أن يُبلغها ويأمر بها إن كانت من المعروف ، وينهى عنها إن كانت من المنكر بقدر استطاعته .

المطلب الثاني: الدعوة إلى أداء فريضة الحج .

أولاً: حكم أداء فريضة الحج :

الحج أحد أركان الإسلام ودعائمه العظام ، وهو من فروض الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة ، دل على وجوبه كتاب الله - سبحانه وتعالى - ، وسنة نبيه - ﷺ - ، وإجماع المسلمين .

قال - تعالى - : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ... ﴾^(١) .
قال العلامة ابن كثير^(٢) - رحمه الله - عند تفسير هذه الآية : « هذه آية وجوب الحج عند الجمهور »^(٣) .

ومن السنة ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - قال : خطبنا رسول الله - ﷺ - فقال : (أيها الناس : قد فرض عليكم الحج فحجوا) ، فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ! فسكت ، حتى قالها ثلاثاً ، فقال رسول الله - ﷺ - : (لو قلت : نعم ، لوجبت ، ولما استطعتم ، ...)^(٤) .

وفي الحديث دلالة على وجوب الحج مرة واحدة في العمر .
أما دليل الإجماع فهو ما ذكره الموفق ابن قدامة^(٥) - رحمه الله - بقوله :
« وأجمعت الأمة على وجوب الحج على المستطيع في العمر مرة واحدة »^(٦) .

(١) سورة آل عمران ، الآية (٩٧) .

(٢) تقدمت ترجمته في (ص ٤٧) من هذه الرسالة .

(٣) تفسير القرآن العظيم / (١/٣٣٨) .

(٤) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الحج ، باب فرض الحج مرة في العمر ، ح (٤١٢) . انظر : موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ٩٠١) .

(٥) موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، (٥٤١-٦٢٠هـ) ، أبو محمد ، الإمام القدوة المجتهد ، كان من بحور العلم ، وعالم أهل الشام في زمانه ، نزهاً ، ورعاً ، عابداً ، ثقةً ، من أشهر مؤلفاته : «المغني» ، و«الكافي» ، و«المقنع» . انظر : سير أعلام النبلاء / (٢/١٦٥-١٧٢) .

(٦) المغني / (٦/٥) ، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة ، تحقيق : أ.د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، عبد الفتاح محمد الحلو .

وقد عُرف الحج إلى بيت الله الحرام قبل بعثة النبي -ﷺ- ، قال -تعالى- : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۖ ﴾^(١).
﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ... ﴾ أي : ناد فيهم بدعوة الحج ، والخطاب لإبراهيم - عليه الصلاة والسلام -^(٢).

قال الإمام أبو بكر الجصاص^(٣) - رحمه الله - : « وهذه الآية تدل على أن فرض الحج كان في ذلك الوقت ؛ لأن الله -تعالى- أمر إبراهيم بدعاء الناس إلى الحج ، وأمره كان على الوجوب ، وجائز أن يكون وجوب الحج باقياً إلى أن بُعث النبي -ﷺ- ، وجائز أن يكون نسخ على لسان بعض الأنبياء »^(٤).

هذا فيما قبل الإسلام ، أما بعد بعثة النبي -ﷺ- فقد فرض الحج في سنة تسع أو عشر من الهجرة على خلاف بين العلماء .

يقول الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - : « ولما نزل فرض الحج ، بادر رسول الله -ﷺ- إلى الحج من غير تأخير ، فإن فرض الحج تأخر إلى سنة تسع أو عشر »^(٥).

ثانياً: فضل فريضة الحج :

لفريضة الحج فضائل عديدة ، منها :

- ١ - أنه يهدم ما قبله من الذنوب ، فعن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قال : « فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي -ﷺ- فقلت : ابسط يمينك فلأبأيعك ، فبسط يمينه ، قال : فقبضت يدي ، قال : (مالك يا عمرو؟) قلت : أردت

(١) سورة الحج ، الآية (٢٧).

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم / (١٠٤/٥).

(٣) تقدمت ترجمته في (ص ٥٨) من هذه الرسالة.

(٤) أحكام القرآن / (٦٤/٥) ، حجة الإسلام الإمام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي .

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد / (١٤٦/٢) ، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، تحقيق : مصطفى بن عبد القادر عطا .

أن أشرط . قال : (تشرط بماذا ؟) قلت : أن يغفر لي . قال : (أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله ...) .^(١)

٢- أن الحاج يعود من حجه كيوم ولدته أمه ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : (من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) .^(٢)

٣- أن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) .^(٣)

ثالثاً: منزلة فريضة الحج :

للحج منزلة كبرى في الإسلام ؛ ففيه إظهار عبودية المسلم لربه - جلّ شأنه - ، وتأدية شكر نعمه عليه ، فإن العبادات وجبت لحق العبودية ، أو لحق شكر النعمة ، وكل ذلك لازم في العقول ، وفي الحج إظهار العبودية وشكر النعمة .
أما إظهار العبودية : فلأن إظهار العبودية هو إظهار التذلل للمعبود ، ويتجلى ذلك في الحج ؛ لأن الحاج في حال إحرامه يظهر الشعث ويرفض أسباب التزين .
وأما شكر النعمة ؛ فلأن العبادات بعضها بدنية وبعضها مالية ، والحج عبادة لا

(١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب كون الإسلام يهدم ما قبله ، وكذا العمرة والحج ، ح (١٩٢) .
انظر : موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ٦٩٨) .

(٢) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الحج ، باب فضل الحج المبرور ، ح (١٥٢١) ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الحج ، باب فضل الحج والعمرة ، ح (٤٣٨) . انظر : موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ٩٠٣ ، ١٢٠) .

(٣) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الحج ، باب فضل الحج والعمرة ، ح (٤٣٧) ، وأخرجه الإمام البخاري في كتاب العمرة ، باب وجوب العمرة وفضلها ، ح (١٧٧٣) . انظر : موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ٩٠٣ ، ١٣٩) .

الدعوة إلى الله في سورة الحج ————— (الفصل الأول / موضوع الدعوة إلى الله في سورة الحج)

تقوم إلا بالبدن والمال ، ولهذا لا يجب إلا عند وجود المال وصحة البدن ، فكان فيه شكر النعمتين ، وشكر النعمة لا يكون إلا في استعمالها في طاعة المنعم وشكر النعمة واجب شرعاً وعقلاً .^(١)

رابعاً: من آثار أداء فريضة الحج :

عند قيام المسلم بأداء هذه الشعيرة العظيمة تتحقق مصالح كبرى ، وتترك هذه العبادة أثرها الواضح في حياة الأمة عامة ، وفي حياة المسلم خاصة ، وبها تتحقق منافع عظيمة ، قال - تعالى - : ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَاكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ۝ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ۝ ﴾ .^(٢)

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : « منافع في الدنيا ، ومنافع في الآخرة ؛ فأما منافع الآخرة فريضان الله عز وجل - ، وأما منافع الدنيا فما يصيبون من لحوم البدن في ذلك اليوم ، والذبائح ، والتجارات » .^(٣)

وقال تعالى : ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ۝ ﴾ .^(٤) فالهدايا ينتفع بها أصحابها ، بالركوب ، والحلب ، ونحو ذلك مما لا يضرها إلى وقت مقدر وهو ذبحها إذا وصلت محلها وهو البيت العتيق ، فإذا ذُبَحَتْ أَكَلُوا مِنْهَا ، وأهدوا ، وأطعموا البائس الفقير .^(٥)

(١) انظر : بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع / (١١٨/٢ ، ١١٩) ، للإمام علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي .

(٢) سورة الحج ، الآية (٢٨ ، ٢٩) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير سورة الحج ، برقم (١٣٨٨٩) . انظر : تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله - ﷺ - والصحابة والتابعين / (٢٤٨٨/٨) ، للإمام الحافظ عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ، ابن أبي حاتم ، تحقيق : أسعد بن محمد الطيب .

(٤) سورة الحج ، الآية (٣٣) .

(٥) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / (ص ٥٣٨) .

فمن آثار هذه العبادة على الأمة :

- ١- أنها تصل حاضر الأمة الإسلامية بماضيها ، وتربط الجيل الحاضر بالجيل الأول ، فقد أمر الله نبينا إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- بدعوة الناس للحج ، قال -تعالى- : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (١) .
- ٢- سقوط الشعارات الزائفة التي تجعل التفاضل بين الناس حسب أجناسهم ، وألوانهم ، ومكانتهم في الدنيا .
- ٣- توحيد كلمة المسلمين ، وجمع شملهم تحت راية التوحيد ، والدعوة إلى نبذ الفرقة والاختلاف .
- ٤- تبادل المنافع التجارية والخبرات الاقتصادية في مختلف ديار الإسلام ، حيث يفد إلى الأماكن المقدسة ملايين الناس من شتى بقاع العالم ، منهم العلماء المتخصصون في مجال الاقتصاد ، وهذه فرصة طيبة لدراسة المشكلات الاقتصادية للبلاد الإسلامية .

٥- في الحج رواج اقتصادي للمسلمين ؛ لما يتطلبه من سلع وخدمات خاصة .

أما عن آثارها على الحاج المسلم ، فمنها :

- ١- أن الحاج يرجع إلى بلده -بإذن الله- وقد غفر له ، وإن كان حجه مبروراً فله الجنة ، وما أعظمها من جزاء تَهْفُو النفوس لنيلها والسعي لطلبها .
- ٢- تجديد ذكر الله ، وتقوية صلة الحاج بربه ، يصحب ذلك خضوع وخشوع للخالق - سبحانه وتعالى - في مواضع ومواقف متعددة من الحج .
- ٣- تذكير المسلم باليوم الآخر ، فالحج مظهر مصغر ليوم الحشر والعرض على الله ، فيزداد إيمانه ، وتقوى طاعته ، وتفيض مشاعر الشوق للقاء الله -جلّ-

(١) سورة الحج ، الآية (٢٧) .

شأنه-.

٤- في الحج يتعلم الحاج دروس البذل والتضحية بخروجه من بلاده ، وتركه لأهله ، ودفع المال في نفقات الحج .

٥- في الحج تدريب عملي للحاج على الصبر وتحمل المشاق ؛ وذلك بالصبر على طاعة الله ، والصبر عما حرم الله .

٦- الحج نقطة تحول في حياة المسلم ، فالحاج الذي يبقى أثر الحج في نفسه يعود منه وقد تحسن حاله واستقام أمره وأقبل على طاعة ربه .^(١)

ومن خلال ما سبق يتضح ما لفريضة الحج من أهمية بالغة باعتبارها موضوع من موضوعات الدعوة إلى الله في مجال الشريعة ، فينبغي للداعي إلى الله أن يحرص على دعوة الناس لأدائها ، ومعرفة أركانها وواجباتها ومستحباتها حتى تحقق الآثار المرجوة منها.

(١) انظر: الحج / (ص ٣٨) وما بعدها ، د. عبدالله بن محمد الطيار ، الحج والحجاج أمواج وأنباج / (ص ٢٥) ، للدكتور: زيد بن محمد الرماني.

المطلب الثالث : الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله .

أولاً: تعريف الجهاد :

أ- تعريف الجهاد في اللغة :

الجهاد في اللغة من جَهَدَ يَجْهَدُ جَهْدًا ، والجَهْدُ : المشقة والوسع والطاقة ، يقال : جَهَدَ جَاهِدًا للمبالغة .

وجهد العيش جهداً : ضاق واشتد .

وأجهد : وقع في الجهد والمشقة . وجهد فلاناً : بلغ مشقته .^(١)

والجَهْدُ : الغاية .

وجُهِدَ الرجل : إذا هَزُلَ .

والجَهَادُ : الأرض المستوية ، وقيل : الأرض الجذبة التي لا شئ فيها .

وجَاهَدَ العدو مُجَاهِدَةً وَجِهَاداً : قاتله ، وجَاهَدَ في سبيل الله .

والجِهَادُ : محاربة الأعداء وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو

فعل.^(٢)

ب- تعريف الجهاد في الاصطلاح :

للجهاد في الشريعة الإسلامية ، معنيان :

الأول : المعنى العام ، ويشمل جميع أنواع الجهاد ، من مجاهدة النفس ، ومجاهدة

الكفار، والدعوة في سبيل الله ، ونحو ذلك .

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - رحمه الله - في تعريفه : « هو بذل الوسع ،

وهو القدرة في حصول محبوب الحق ، ودفع ما يكرهه الحق ».^(٣)

(١) انظر : المعجم الوسيط / (ص ١٤٢) .

(٢) انظر : لسان العرب / (٣/ ١٣٣ - ١٣٥) .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية / (١٠/ ١٩٢ ، ١٩٣) .

قال - تعالى - : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾^(١).
قال أبو حيان^(٢) - رحمه الله - في تفسير الآية : « أمر بالجهاد في دين الله وإعزاز كلمته ، ويشمل جهاد الكفار ، والمبتدعة ، وجهاد النفس »^(٣).
الثاني : المعنى الخاص ، ويقصد به قتال المسلم للكافر ، بعد دعوته إلى الإسلام ، أو إلى الجزية ، وامتناعه من ذلك.

و تعريفه : قتال مسلم كافراً غير ذي عهد ؛ لإعلاء كلمة الله - تعالى -^(٤).
وعرفه الحافظ ابن حجر^(٥) - رحمه الله - فقال : « بذل الجهد في قتال الكفار »^(٦).
قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾^(٧).

أي : « أذن الله لهم بالجهاد ليقاتلوا المشركين »^(٨).

ثانياً : حكم الجهاد :

الجهاد بمعناه العام فرض عين على كل مسلم ؛ لأن الإنسان لا يخلو من أن يكون مجاهداً لنفسه في حال من الأحوال .
أما حكم الجهاد بمعناه الخاص ، وهو قتال الكفار ، فهو فرض كفاية ، قال ابن حزم^(٩) - رحمه الله - : « والجهاد فرض على المسلمين ، فإذا قام به من يدفع العدو

(١) سورة الحج ، الآية (٧٨) .

(٢) تقدمت ترجمته في (ص ٥٧) من هذه الرسالة .

(٣) البحر المحيط / (٦/ ٣٦٠) .

(٤) انظر : الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك / (٢/ ٢٦٧) ، لأبي البركات أحمد ابن محمد بن أحمد الدردير ، خرّج أحاديثه وفهرسه : د. مصطفى بن كمال وصفي .

(٥) تقدمت ترجمته في (ص ٣٥) من هذه الرسالة .

(٦) فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري / (٥/ ٦) .

(٧) سورة الحج ، الآية (٣٩) .

(٨) لباب التأويل في معاني التنزيل / (٣/ ٢٩١) .

(٩) تقدمت ترجمته في (ص ٧٣) من هذه الرسالة .

الدعوة إلى الله في سورة الحج ————— (الفصل الأول / موضوع الدعوة إلى الله في سورة الحج)

ويغزوهم في عقر دارهم ، ويحمي ثغور المسلمين سقط فرضه عن الباقيين وإلا فلا»^(١).
إلا أن هناك حالات يصير فيها الجهاد الخاص فرض عين ، ذكرها الموفق ابن قدامة^(٢) - رحمه الله - في المغني ، وهي:

الأول: إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان ، حرم على من حضر الانصراف ،
وتعين عليه المقام .

الثاني: إذا نزل الكفار ببلد ، تعين على أهله قتالهم ، ودفعهم .

الثالث: إذا استنفر الإمام قوماً ، لزمهم النفير معه^(٣).

ثالثاً: مراتب الجهاد :

للجهاد أربع مراتب وهي : جهاد النفس ، جهاد الكفار ، جهاد المنافقين ،
وجهاد الشيطان ،^(٤) وسأبين أبرزها فيما يلي :

أ - جهاد النفس :

جهاد النفس هو أساس جهاد الكفار ، لأن الذي لا يستطيع جهاد نفسه لا
يُتوقع منه أن يضحي بها أو بغيرها من الأموال والأهل ونحو ذلك .
لهذا فهو أعظم من جهاد الكفار ، فلأجل هذه النفس أرسل الله الرسل وأنزل
الكتب لحفظها ولبيان ما يصلحها ، ويجعلها مصلحة مرشدة تعمر الأرض بالتوحيد
والإيمان والعمل الصالح ، وتدعو إليه ، لجعل كلمة الله هي العليا ، فإن جميع شرائع
هذا الدين إنما جاءت لهذا .

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - رحمه الله - : «جميع الولايات في الإسلام
مقصودها أن يكون الدين كله لله ، وأن تكون كلمة الله هي العليا ؛ فإن الله

(١) المحلى بالآثار / (٣٤٠/٥) ، للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ، تحقيق :
د. عبد الغفار بن سلمان البنداري .

(٢) تقدمت ترجمته في (٧٩) من هذه الرسالة .

(٣) انظر : المغني / (٨/١٣) .

(٤) انظر : زاد المعاد في هدي خير العباد / (٦/٣) .

- سبحانه وتعالى - إنما خلق الخلق لذلك ، وبه أنزل الكتب ، وبه أرسل الرسل ، وعليه جاهد الرسل والمؤمنون ^(١) .»

فيجب على الإنسان أن يجاهد نفسه لتؤمن بهذا الدين ، وتلتزم بأوامره ونواهيه ؛ لأن في ذلك صلاحها وفوزها ، كما عليه أن يحفظها من السوء والفساد والشر الذي يهلكها ويرديها ، وعلى رأس ذلك :

• **الجهل** : فإن الجهل يؤدي إلى قبيح المعاصي من الشرك بالله إلى أصغر معصية ، والجاهل قد يقف أمام الحق معانداً وجاحداً ومستكبراً ، ولو كانت حجج هذا الحق أوضح من الشمس في رابعة النهار .

قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لَيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ ^(٢) .

والجهال لا يكتفون بارتكاب المعاصي ؛ بل يدعون غيرهم إلى ارتكابها .

• **الغفلة** : وهي من أعوان النفس الأمارة بالسوء ، وداء عضال يحجب صاحبه عن النظر إلى أبواب الخير ، فتمر أيامه ولياليه وهو سادر في لهوه لا يفيق إلا على هادم اللذات .

وقد وصف الله الغافلين وهم يتحسرون على أيامهم الضائعة في آيات عدة ، قال - تعالى - : ﴿ وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْوِلُنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ ^(٣) .

• **الهوى** : ميل النفس إلى الهوى واتباع شهواتها سبب كبير لهلاكها ، لهذا شدد الله - جل شأنه - على اتباع الإنسان هوى نفسه ، أو هوى غيره من أهل الضلال والكفر ، قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية / (٦١/٢٨) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (١١١) .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية (٩٧) .

يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ .^(١)

فهذه أبرز أعداء النفس ، ومعرفتها يعرف المرء كيف يجاهد نفسه ، ويخضعها لأمر الله - جل شأنه - ويكبح جماحها أن تشذ عن طريق الله - سبحانه وتعالى - إلى معصيته وطاعة عدوه ، وهذه المجاهدة أمرها شاق ولازم ومستمر لما جُبلت عليه النفس من ميل للشهوات واتباع للهوى ، لهذا لزم المسلم أن يسعى إلى جهادها بتقوية صلتها بالله - عز وجل - ، وطردها بالعلم النافع ، وملء فراغها بالعمل الصالح ، ومحاسبتها على ما منحها الله من نعم ظاهرة وباطنة توجب عليها شكره وطاعته والبعد عن معصيته ، كما يذكرها برقابة الله الدائمة ، فهو - سبحانه - لا تخفى عليه خافية ، ويخوفها بالموت وبأحوال يوم القيامة ، ويوجهها للاقتداء بالأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - ، وبصحابة رسول الله - ﷺ - ، والسلف الصالح - رحمهم الله - ، ويغرس فيها الأخلاق الفاضلة والأهداف السامية ، ويتعاهدها بأعظم ما تزكي به النفوس ؛ التوبة النصوح فإن فيها تطهيراً للنفس المثقلة بالذنوب ، وعودةً إلى صفاء النفس وطمأنينتها ؛ والتي لا تتحقق إلا بالعودة الصادقة إلى طاعة الله - سبحانه وتعالى - ، والتزام شرعه.^(٢)

ب - جهاد الكفار بالقتال:

هذا النوع من الجهاد فرع عن النوع الأول ، ولم يُفرض على المسلمين إلا بعد الهجرة ؛ فإن الفترة المكية كانت فترة دعوة إلى الإيمان بإله واحد ، وتربية وإعداد للنفس للخضوع لله - سبحانه وتعالى - ، ولم يؤذن لرسول الله - ﷺ - بالقتال إلا بعد الهجرة حينما نزلت آية الإذن في قوله - تعالى - : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلُمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ .^(٣)

(١) سورة القصص ، الآية (٥٠) .

(٢) انظر : الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته / (٢٧٦/١) ، د. عبدالله بن أحمد القادري .

(٣) سورة الحج ، الآية (٣٩) .

قال ابن العربي^(١) - رحمه الله - : «معنى أذن أبيع ، فإنه لفظ موضوع في اللغة لإباحة كل ممنوع»^(٢).

وكان هذا الإذن دليلاً على الإباحة ، ثم فرض الجهاد على هذه الأمة لمن بدأها بالقتال ، قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُم وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾^(٣).

والمرحلة الأخيرة لفرض الجهاد كانت فرضه مطلقاً ، لنشر دعوة الإسلام ، قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٤).
وقد أشار إلى هذه المراحل الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - فقال : «ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة ، وكان محرماً ، ثم مأذوناً به ، ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال ، ثم مأموراً به لجميع المشركين»^(٥).

وقد رتب الله - جل شأنه - على الجهاد في سبيله من الأجر العظيم ما لا يخطر على قلب بشر ، قال - تعالى - : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۖ تَوْفَنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۖ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ

(١) محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن العربي الأندلسي المالكي ، (٤٦٨-٥٤٣هـ) ، أبو بكر ، الإمام العلامة ، الحافظ القاضي ، كان فصيحاً بليغاً خطيباً ، ثاقب الذهن ، كريم الشرائف ، ولّي قضاء إشبيلية ثم غزل ، فأقبل على نشر العلم وتدوينه ، من كتبه : « أحكام القرآن » ، و « أمهات المسائل » . انظر : سير أعلام النبلاء / (٢٠/١٩٧-٢٠٤).

(٢) أحكام القرآن / (٣/١٢٨٤) ، للإمام أبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي ، تحقيق : علي محمد البجاوي .

(٣) سورة البقرة ، الآية (١٩٠) .

(٤) سورة البقرة ، الآية (٢١٦) .

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد / (٣/٥٢) .

الدعوة إلى الله في سورة الحج ————— (الفصل الأول / موضوع الدعوة إلى الله في سورة الحج)

تَحْتَهَا أَلْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّتٍ عَذْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠﴾ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾ (١)

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : (أنتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة ، ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية ، ولوددت أني أقتل في سبيل الله ، ثم أحيا ثم أقتل ، ثم أحيا ثم أقتل) . (٢)

وهذا الأجر العظيم منبثق من هدف الجهاد السامي ، وهو تعبيد الناس لله وحده وإخراجهم من الظلمات إلى النور .

رابعاً: من آثار الجهاد :

للجهاد في سبيل الله آثار عظيمة ، سواء أكان جهاداً للنفس ، أو قتالاً للكفار ، ومنها ما يلي :

أ - آثار جهاد النفس :

- ١ - تحقيق العبودية لله - سبحانه وتعالى - ؛ وذلك بمجاهدة النفس ، وإخضاعها لأوامره ونواهيه .
- ٢ - نجاة العبد من عقاب الله - سبحانه وتعالى - ، وعذابه .
- ٣ - الفوز والفلاح في هذه الحياة الدنيا ، وفي الآخرة .
- ٤ - تحقيق السعادة ، والراحة النفسية ، والاستقرار الاجتماعي .
- ٥ - كبح جماح النفس عن الوقوع في الشهوات والملذات المحرمة ، وصيانتها من الذنوب والمعاصي .

(١) سورة الصف ، الآيات (١٠-١٣) .

(٢) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الإيمان ، باب الجهاد من الإيمان ، ح (٣٩) ، وأخرجه الإمام مسلم بنحو هذا اللفظ في كتاب الإمارة ، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله ، ح (١٠٣) . انظر : موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ٥ ، ١٠٤) .

٦ - زيادة الانتاج ، والفاعلية الإيجابية للإنسان في خلافة الأرض .

ب- آثار جهاد الكفار بالقتال:

١ - تعبيد الناس لله رب العالمين ، ونشر الدين الإسلامي ، وهداية الناس إلى

الحق بعبادة الله وحده لا شريك له ، قال - تعالى - : ﴿ وَقَتِلُوهُمْ حَتَّى لَا

تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِذَا انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَكُمْ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرِ ﴿٦١﴾ ١) .

٢ - حماية حوزة الدين من أن تستباح ، وتكسر شوكته .

٣ - رد كيد الأعداء ، وإظهار ذلهم ، وصغارهم .

٤ - إظهار عزة المسلمين ، وعلو شأنهم .

٥ - بالجهاد يخرج المسلم من الوعيد الشديد الذي توعد الله - سبحانه

وتعالى - من تخلف عنه في حالة الاستنفار ، قال - تعالى - : ﴿ إِلَّا تَنْفِرُوا

يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٢﴾ ٢) .

٦ - نيل إحدى الحسينين ، إما الشهادة أو النصر .

وحق يترك الجهاد أثره العميق على الفرد والأمة ينبغي للداعي إلى الله أن يحرص

على دعوة الناس للقيام بأمره والعناية بشأنه ، استجابة لأمر المولى - جل شأنه - ، وبهذا

تتضح أبرز موضوعات الدعوة إلى الله في مجال الشريعة في سورة الحج .

(١) سورة الأنفال ، الآيتان (٣٩ ، ٤٠) .

(٢) سورة التوبة ، الآية (٣٩) .

المبحث الثالث : الدعوة إلى الله في مجال الأخلاق .

توطئة :

للتحلي بالأخلاق الفاضلة في الدين الإسلامي أهمية كبيرة لما له من أثر في سلوك الإنسان ، وأي مجتمع من المجتمعات الإنسانية لا يستطيع أفرادها أن يعيشوا متفاهمين متعاونين سعداء ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة .
فقد دلت التجارب الإنسانية ، والأحداث التاريخية ، على أن ارتقاء القوى المعنوية للأمم والشعوب ملازم لارتقائها في سلم الأخلاق الفاضلة ، ومتناسب معها ، وأن انهيار القوى المعنوية للأمم والشعوب ملازم لانهيار أخلاقها ، ومتناسب معها ، فبين القوى المعنوية والأخلاق تناسب طردي دائماً ، صاعدين وهابطين .
كما أن انهيار كل خلق من مكارم الأخلاق يقابله دائماً انقطاع رابطة من الروابط الاجتماعية ، وبانهيارها جميعاً تنهار جميع الروابط الاجتماعية ، ويصبح المجتمع مفككاً.^(١)

ومن أجل هذا جاءت عناية الإسلام بالدعوة إلى الخلق الفاضل ؛ وذلك لأهميته وفضله ، وهو ما يجب على الداعية أن يتحلى به ، و يدعو غيره إليه .
وفي سورة الحج آيات عدة تأمر بالأخلاق الفاضلة ، وتنهى عن الأخلاق الرديئة ، ومن ذلك الأمر بشكر الله - تعالى - ، والحث على العفو ، والتنفير من الخيانة .

(١) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها / (٣٣/١) وما بعدها . أ.د. عبدالرحمن بن حسن بن حنكة الميداني .

المطلب الأول : شكر الله - تعالى - .

أولاً : تعريف الشكر :

أ- تعريف الشكر في اللغة :

الشكر بالضم : عرفان الإحسان ونشره .

والشكر من الله : المجازاة والثناء الجميل .

وشكره ، وشكر له ، شكراً وشكوراً وشكراناً . والشكور : الكثير الشكر. ^(١)

والشكور من صفات الله - جل شأنه - ، ومعناه : أنه يزكو عنده القليل من

أعمال العباد فيضاعف لهم الجزاء ، وشكره لعباده ، مغفرته لهم .

والشكر : مقابلة النعم بالقول ، والفعل ، والنية ، فيثنى على المنعم بلسانه ، ويلزم

نفسه على طاعته ، ويعتقد أنه مولياها ، وهو من شكرت الإبل تشكر ، إذا أصابت

مرعىً فسمنت عليه. ^(٢)

وشَكَرَتِ الضرع : امتلأ باللبن ، ويقال : شكرت الناقة . وشكرت السحابة :

امتلأت .

وشكر فلان : سخا بعد بخل. ^(٣)

ب- تعريف الشكر في الاصطلاح :

مما عُرِّف به الشكر في الاصطلاح ، ما يلي :

١- « ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافاً ، وعلى قلبه شهوداً

ومحبةً ، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة». ^(٤)

(١) انظر : القاموس المحيط / (ص ٤١٩).

(٢) انظر : لسان العرب / (٤/٤٢٤).

(٣) انظر : المعجم الوسيط / (ص ٤٩٠).

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين / (٥٧٥/٢) ، للإمام أبي عبد الله محمد بن قسيم الجوزية ،

تحقيق : عبدالعزيز بن ناصر الجليل.

٢- « تصور المنعم عليه النعمة وإظهارها ».^(١)

ثانياً: قواعد شكر الله - تعالى :-

شكر الله - تعالى - مبني على خمس قواعد ، هي :

- ١- خضوع الشاكر للمشكور .
 - ٢- حب الشاكر للمشكور .
 - ٣- اعتراف الشاكر بنعمة المشكور .
 - ٤- ثناء الشاكر على المشكور بهذه النعمة .
 - ٥- أن لا يستعمل الشاكر النعمة فيما يكره المشكور .
- فهذه الخمس هي أساس الشكر ، وبناءؤه عليها ، فمتى غُدم منها واحدة اختل من قواعد الشكر قاعدة.^(٢)

ثالثاً: شكر الله - تعالى - من نعم الله على العبد :

النعم تنقسم إلى ما هو غاية مطلوبة لذاتها ، وإلى ما هو مطلوب لأجل الغاية .
أما الغاية ، فهي سعادة الآخرة ، ويرجع حاصلها إلى أربعة أمور :
بقاء لا فناء له ، وسرور لا غم فيه ، وعلم لا جهل معه ، وغنى لا فقر بعده ،
وهي السعادة الحقيقية .

أما القسم الثاني : فهو الوسائل إلى السعادة المذكورة ، وهي أربعة أقسام :
الأول: فضائل النفس ، كالإيمان وحسن الخلق .
الثاني : فضائل البدن ، من القوة والصحة ونحوها .
الثالث : النعم المطيفة بالبدن ، من المال والجاه والأهل .
الرابع : الأسباب التي جمع بينها وبين ما يناسب الفضائل من الهداية ، والإرشاد ،

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة / (ص ٢٧٩) ، للإمام أبي القاسم الحسين بن محمد بن الفضل ، المعروف بالراغب

الأصفهاني ، تحقيق : د. أبو اليزيد العجمي .

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين / (٢/ ٥٧٥) .

الدعوة إلى الله في سورة الحج ————— (الفصل الأول / موضوع الدعوة إلى الله في سورة الحج)

والتسديد ، والتأييد ، وكل هذه نعم عظيمة.^(١)
لهذا فشكر الله - تعالى - يعدُّ من نعم الله على العبد ؛ إذ تعود منفعته عليه دنياً
وآخرة .

يقول الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - : « وأمره بالشكر أيضاً إنعام آخر عليه ،
وإحسان منه إليه ، إذ منفعة الشكر ترجع إلى العبد دنياً وآخرة ، لا إلى الله ، والعبد
هو الذي ينتفع بشكره ، كما قال - تعالى - : ﴿ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ
كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ ،^(٢) فشكر العبد إحسان إلى نفسه دنياً وآخرة . »^(٣)

رابعاً : شكر الله - تعالى - في سورة الحج :

يتحقق شكر الله - تعالى - بالقلب واللسان والجوارح .

أما شكر القلب : فهو تصور النعمة.^(٤)

وشكر اللسان : إظهار الشكر لله بالتحميد .

وشكر الجوارح : استعمال نعم الله في طاعته ، والتوقي من الاستعانة بها في
معصيته.^(٥)

وقد جاءت سورة الحج تدعو إلى شكر الله على نعمه ، ومن ذلك قوله - تعالى - :
﴿ وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعْتِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَأَذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ
فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴾ .^(٦)

(١) انظر : مختصر منهاج القاصدين / (ص ٣١٠) ، للإمام أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي ، تحقيق : زهير
الشاويش .

(٢) سورة لقمان ، الآية (١٢) .

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين / (٢/ ٨٨٥) .

(٤) انظر : الدريعة إلى مكارم الشريعة / (ص ٢٧٩) .

(٥) انظر : مختصر منهاج القاصدين / (ص ٣٠٥) .

(٦) سورة الحج ، الآية (٣٦) .

الدعوة إلى الله في سورة الحج ————— (الفصل الأول / موضوع الدعوة إلى الله في سورة الحج)

ففي هذه الآية يذكر المولى - سبحانه وتعالى - تسخير الأنعام لعباده ، وما فيها من النفع للإنسان ، ويأمر بشكره عليها .

فذكر شكر الله باللسان ، ويكون بالتحميد ، فقال : ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على تسخيرها ، فإنه لولا تسخيرها لكم ، لم يكن لكم بها طاقة ، ولكنه ذللها لكم وسخرها ، رحمة بكم وإحساناً إليكم فاحمدوه. (١)

وذكر شكر الله بالجوارح ، باستعمال نعم الله في طاعته ؛ بالتصدق على الفقراء والمحتاجين ، فقال : ﴿وَأَطِيعُوا أَلْفَانَعِ وَالْمُعْتَرِّ...﴾.

والقانع : هو الراضي الذي لا يسأل ، وهو من قنع يقنع إذا سأل .

والمعتر : هو المعترض الذي يطيف بك طالباً ما عندك بالسؤال أو السكوت. (٢)

ومن شكر نعم الله - أيضاً - ذبح الهدايا ، قال - تعالى - : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسْكَاً لِّيَذْكُرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةٍ آلَاتٍ لَّهُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ (٣).

قال مجاهد (٤) - رحمه الله - في المنسك : « إهراق دم الهدي » . (٥)

أي : لكل أمة من الأمم السالفة جعلنا منسكاً ، فاستبقوا إلى الخيرات وتسارعوا إليها ، ولننظر أيكم أحسن عملاً ، والحكمة في أن جعل لكل أمة منسكاً : لإقامته ذكره ، والالتفات إلى شكره. (٦)

وقد بيّن - سبحانه وتعالى - أن من منافع الحج شكر الله على نعمه ، فقال - تعالى - : ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / (ص ٥٣٨).

(٢) انظر : التفسير الواضح / (٥٩/١٧) ، للشيخ : محمد محمود حجازي .

(٣) سورة الحج ، الآية (٣٤).

(٤) تقدمت ترجمته في (ص ٢٢) من هذه الرسالة .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير سورة الحج ، برقم (١٤٠١٩) . انظر : تفسير القرآن العظيم مسنداً عن

رسول الله - ﷺ - والصحابة والتابعين / (٢٥٠٤/٨).

(٦) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / (ص ٥٣٨).

مِنْ بَهِيمَةٍ آلَتْ نَعْلَمَ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْبَاسَ الْفَقِيرِ ﴿٢٨﴾. (١)

قال الإمام العلامة عبدالرحمن السعدي (٢) - رحمه الله - : « وهذا من المنافع الدينية والدينية ، أي لذكروا اسم الله عند ذبح الهدايا شكراً لله على ما رزقهم منها ، ويسرها لهم ». (٣)

كما ذم الله - سبحانه وتعالى - الجاحدين لنعمه الظاهرة والباطنة ، قال - تعالى - : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴾. (٤)

ففي قوله : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ... ﴾ تذييل يجمع المقصد من تعداد نعم المنعم بجلال النعم المقتضية انفراده باستحقاق الشكر ، واعتراف الخلق له بوحداية الربوبية . والكفور : مبالغة في الكافر ، لأن كفرهم كان عن تعنت ومكابرة .

وقيل : ويجوز كون الكفور مأخوذ من كفر النعمة ؛ وتكون المبالغة باعتبار آثار الغفلة عن الشكر. (٥)

قال الإمام الماوردي (٦) - رحمه الله - : « فحق على من عرف موقع النعمة أن

(١) سورة الحج ، الآية (٢٨).

(٢) عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي التميمي ، (١٣٠٧-١٣٧٦هـ) ، ولد في عنيزة في القصيم ، ونشأ نشأة صالحة كريمة ، أقبل على العلم بجد وعزيمة ، وحفظ القرآن قبل أن يتجاوز الثانية عشرة من عمره ، اشتغل بالتدريس والتأليف ، له ما يزيد عن ثلاثين كتاباً ، منها : « تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المثنان » وهو أشهرها ، و« القواعد الحسان في تفسير القرآن ». انظر : علماء نجد خلال ثمانية قرون / (٣/ ٢١٨) وما بعدها ، للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح البسّام ، الأعلام / (٣/ ٣٤٠).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المثنان / (ص ٥٣٧).

(٤) سورة الحج ، الآية (٦٦).

(٥) انظر : التحرير والتنوير / (١٦/ ٣٢٦).

(٦) علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي الشافعي ، (٣٦٤-٤٥٠هـ) ، أبو الحسن ، الإمام العلامة ، صاحب التصانيف ، حدث عنه أبو بكر الخطيب ووثقه ، ولّي القضاء ببلدان شتى ، ثم سكن بغداد ، لسه مصنفات كثيرة في الفقه والتفسير وأصول الفقه والأدب ، منها : « الأحكام السلطانية والولايات الدينية » ، و« أدب الدنيا والدين ». انظر : سير أعلام النبلاء / (١٨/ ٦٤-٦٨) ، الأعلام / (٤/ ٣٢٧).

يقبلها متمثلاً لما كلف منها ، وقبولها يكون بأدائها ، ثم بشكر الله -تعالى- على ما أنعم به من إسدائها ؛ فإن بنا من الحاجة إلى نعمه أكثر مما كلفنا شكر نعمه^(١).
ولا بد للداعي إلى الله أن يحرص على شكر الله -تعالى- في شأنه كله ، فإن نعمه -سبحانه- سابعة على عباده ، وبشكر الله تدوم النعم وتزداد ، كما ينبغي للداعي إلى الله أن يحث المدعوين على شكر الله ، ويذكرهم بفضله -سبحانه- ، والذي يجب أن يقابلوه بالحمد والشكر له -جلّ شأنه-.

(١) أدب الدنيا والدين / (ص ١٥٠) ، للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري المارودي ، تحقيق : ياسين بن محمد السواس.

المطلب الثاني : العفو .

أولاً: تعريف العفو :

أ- تعريف العفو في اللغة :

من الفعل عفا ، والعفو : الفضل .
وأدرك الأمر عفواً صفواً ، أي : في سهولة وسراح .
والعافية : أن يعافيه الله - تعالى - من سقم أو بلية ، وهي الصحة ضد المرض .^(١)
«ورجل عفو عن الذنب : عاف .
وأعفاه من الأمر : برأه » .^(٢)
وعفا عن ذنبه عفواً : لم يعاقبه عليه . والعفو من المال : ما زاد على النفقة ،
والعفو من الماء : ما زاد على الشاربة ، وأخذ بلا كلفة ولا مزاحمة .
والعفو : المعروف . والعفو : الكثير العفو .^(٣)

ب- تعريف العفو في الاصطلاح :

أن تستحق حقاً فتسقطه ، وما يؤدي عنه من قصاص أو غرامة ، وهو غير الحلم
والكظم .^(٤)

ثانياً: العفو من أسماء الله - تعالى - :

العفو من أسماء الله - تعالى - ، قال ابن الأثير^(٥) - رحمه الله - : «عفا في أسماء الله

(١) انظر : لسان العرب / (٧٢/١٥) وما بعدها .

(٢) القاموس المحيط / (ص ١٣١٣) .

(٣) انظر : المعجم الوسيط / (ص ٦١٢) .

(٤) انظر : مختصر منهاج القاصدين / (ص ٢٠٠) .

(٥) المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ثم الموصلية ، (٥٤٤-٦٠٦هـ) ،
مجد الدين أبو السعادات ، قرأ الحديث والعلم والأدب ، وكان رئيساً مشاوراً ، ولي ديوان الإنشاء وعظم
قدره ، ثم عرض له فالج في أطرافه ، فلزم داره ، من مصنفاته : «جامع الأصول في أحاديث الرسول» ،
و«غريب الحديث» . انظر : سير أعلام النبلاء / (٢١/ ٤٨٨-٤٩١) .

الدعوة إلى الله في سورة الحج ————— (الفصل الأول / موضوع الدعوة إلى الله في سورة الحج)

-تعالى- العَفْوُ ، هو فَعُولٌ من العَفُو ، وهو: التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه ، وأصله المحو والطمس ، وهو من أبنية المبالغة»^(١).
وقال الغزالي^(٢) - رحمه الله - : «العَفْوُ من أسماء الله ، وهو الذي يمحو السيئات ويستجاوز عن المعاصي ، وهو قريب من الغفور ، ولكنه أبلغ منه ؛ فإن الغفران ينبئ عن الستر ، والعفو ينبئ عن المحو ، والمحو أبلغ من الستر ، وحظ العبد من ذلك لا يخفى وهو يعفو عن كل من ظلمه بل يُحسن إليه ، كما يرى الله -تعالى- محسناً في الدنيا إلى العصاة والكفرة غير معاجل لهم بالعقوبة ، بل وربما يعفو عنهم بأن يتوب عليهم وإذا تاب عليهم محاسنهم ، إذ التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، وهذه غاية المحو للجناية»^(٣).

ثالثاً: العفو في سورة الحج :

رَغِبَ اللهُ -تعالى- في العفو في سورة الحج ، ويَبَيِّنُ أنه يستحب العفو فيما إذا كانت الإساءة مخصوصة بالعافي كمن أخذ ماله أو شتم عرضه ونحو ذلك ، مما لا ضرر فيه على الشرع ، أو على أحد من الناس ، فإن أبي العفو وطلب القصاص ، فهذا حقه الذي كفله له الشارع ، قال -تعالى- : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ إِنْ أَتَىٰ اللَّهُ لَعَفُوًّا غَفُورًا ۝٤٠ ﴾^(٤).

أي : ذلك بأن من جُنِيَ عليه وُظلم ، فإنه يجوز له مقابلة الجاني بمثل جنايته فإن فعل ذلك ، فليس عليه سبيل ، وليس بمعلوم ، فإن بُغِيَ عليه بعد هذا فإن الله ينصره ، لأنه مظلوم فلا يجوز أن يُبغى عليه بسبب أنه استوفى حقه ، وإذا كان المجازي غيره

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر / (ص ٦٢٧).

(٢) تقدمت ترجمته في (ص ٧٥) من هذه الرسالة.

(٣) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى / (ص ١٤٠) ، للإمام أبي حامد محمد الغزالي ، عناية : بسام

ابن عبد الوهاب الجاني .

(٤) سورة الحج ، الآية (٦٠).

بإساءته إذا ظلم بعد ذلك نصره الله فالذي بالأصل لم يعاقب أحداً ولكن ظلم وجنى عليه فالنصر إليه أقرب.^(١)

ولما بين - سبحانه وتعالى - حق الإنسان في الانتصار لنفسه ممن ظلمه ، حث على العفو والمغفرة ، فقال : ﴿ .. إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ غَفُورٌ ﴾ للمنتصر حين اتبع هواه في الانتقام ، وأعرض عما ندب الله إليه بقوله : ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾^(٢) ، وفيه ترغيب بالحث على العفو والمغفرة ، فإنه - تعالى - مع كمال قدرته وتعالى شأنه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك أولى ، وتنبيه على أنه - تعالى - قادر على العقوبة إذ لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده.^(٣)

أما إذا كانت الإساءة عائدة بالضرر على الشرع ، أو على جماعة من الناس فإنه إن كان فيها أدنى شبهة للسلطان العفو وإن لم يكن فيها شبهة فليس له العفو .
وحق على المعاقب أن لا يكون سبعا في انتقامه ، بل لا يعاقب حتى يزول غضبه لئلا يقدم على ما ليس بواجب ، ولذلك جرت سنة السلطان بحبس المجرم حتى ينظر في جرمه ويعيد النظر فيه .^(٤)

وخلق العفو من الأخلاق المهمة التي ينبغي للداعي إلى الله أن يتخلق بها ؛ لأنه يتعرض في دعوته إلى كثير من أذى الناس ، وبصبره وحلمه وعفوه عما يلقيه منهم تستثمر دعوته ثماراً يانعة ، وتؤدي جهوده أهدافها المرجوة منها ، كما ينبغي أن يحث المدعوين إلى التخلق بهذا الخلق العظيم ، فبه تسمو النفوس وتصفو من أكدار الحياة ، وتتوثق عرى الروابط الاجتماعية ، وترتقي المجتمعات الإنسانية.

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / (٥٤٣).

(٢) سورة الشورى ، الآية (٤٣).

(٣) انظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل / (٩٤/٢).

(٤) انظر : الذريعة إلى مكارم الشريعة / (ص ٣٤٣).

المطلب الثالث : التنفير من الخيانة.

أولاً: تعريف الخيانة :

أ- تعريف الخيانة في اللغة :

خان الشيء خونا وخيانة ومخانة : نقصه . يقال : خان الحق ، وخان العهد .
ومنه خان الأمانة: لم يؤدها أو بعضها . وخان فلاناً : غدر به.^(١)
وتخونه وخونته وخون منه : نقصه . ويقال : تخونته الدهور ، وتخومته: أي تنقصته.
والتخون له معنيان : أحدهما التنقص ، والآخر التعهد.^(٢)
والخون : أن يؤمن الإنسان فلا ينصح ، والخون : الضعف ، وفترة في النظر ،
ومنه خائن العين ؛ للأسد ، وخائنة الأعين : ما يسارق من النظر إلى ما لا يحل ، أو
ينظر نظرة ريبة.^(٣)

ب- تعريف الخيانة في الاصطلاح:

« مخالفة الحق بنقض العهد في السر ».^(٤)

ثانياً: حكم الخيانة:

عدَّ الإمام الذهبي^(٥) - رحمه الله - الخيانة من الكبائر ؛ بدليل الحديث الذي رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - أنه قال : (آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا

(١) انظر : المعجم الوسيط / (ص ٢٦٣).

(٢) انظر : لسان العرب / (١٣/١٤٥).

(٣) انظر : القاموس المحيط / (ص ١١٩٤).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن الكريم / (ص ٣٠٥).

(٥) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، (٦٧٣-٧٤٨هـ) ، أبو عبدالله ، حافظ مؤرخ ، علامة محقق ، ولد في دمشق ، ورحل إلى القاهرة ، وطاف كثيراً من البلدان ، كف بصره في آخر حياته ، تصانيفه كبيرة وكثيرة تقارب المئة ، منها : «سير أعلام النبلاء» ، و« تذكرة الحفاظ » . انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب / (١٥٣/٦ ، ١٥٦) ، الأعلام / (٣٢٦/٥).

وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان).^(١)

وقال : « الخيانة قبيحة في كل شيء وبعضها شر من بعض ، وليس من خانك في فلس كمن خانك في أهلك ، ومالك ، وارتكب العظائم». ^(٢)

ثالثاً: التنفير من الخيانة في سورة الحج :

وصف الله الخائن بالكفور في سورة الحج ؛ للتنفير من هذا الخلق ، وذم أصحابه ، فقال - سبحانه وتعالى - : ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ۝﴾. ^(٣)

قال أبو السعود^(٤) - رحمه الله - : « نفي المحبة كناية عن البغض أي أن الله يبغض كل خوان في أماناته - تعالى - وهي أوامره ونواهيه ، أو في جميع الأمانات التي هي معظمها كفور لنعمته». ^(٥)

وقال القرطبي^(٦) - رحمه الله - في سبب نزول هذه الآية : « نزلت بسبب المؤمنين لما كثروا بمكة وآذاهم الكفار وهاجر من هاجر إلى أرض الحبشة ، أراد بعض مؤمني مكة أن يقتل من أمكنه من الكفار ويغتال ويغدر ويحتال ، فنزلت هذه الآية إلى

(١) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الإيمان ، باب علامات المنافق ، ح (٣٣) ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب خصال المنافق ، ح (١٠٨). انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ٥ ، ٦٩٠).
(٢) الكبائر / (ص ١١٨ ، ١١٩) ، للحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق : مشهور ابن حسن بن محمود سلمان.

(٣) سورة الحج ، الآية (٣٨).

(٤) محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ، (٨٩٨-٩٨٢هـ) ، أبو السعود ، مفسر ، شاعر ، من علماء الترك المستعربين ، ولد بقرية قرب القسطنطينية ، ودرس ودرّس في بلاد متعددة ، تقلّد القضاء والإفتاء ، كان حاضر الذهن ، سريع البديهة ، من كتبه : « إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم » في التفسير ، « تحفة الطلاب » في المناظرة. انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب / (٣٩٨/٨ ، ٤٠٠) ، الأعلام / (٥٩/٧).

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم / (١٠٨/٥).

(٦) تقدمت ترجمته في (ص ٢٤) من هذه الرسالة.

قوله ﴿كَفُورٌ﴾ فوعدها فيها سبحانه بالمدافعة ، ونهى أفصح نهي عن الخيانة والغدر»^(١).

و أعظم الخيانة خيانة الأمانة التي كلف بها الإنسان ، قال -تعالى- : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا
الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾^(٢).

والأمانة هي الفرائض ، عرضها الله على السموات والأرض والجبال ، إن أدوها
أنأهم وإن ضيعوها عذبهم ، فكرهوا ذلك ، وأشفقوا من غير معصية ؛ ولكن تعظيماً
لدين الله أن لا يقوموا بها ، ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها ، وهو قوله -تعالى- :
﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ يعني غراً بأمر الله^(٣).

وتحت هذه الخيانة تدخل جميع أنواع الخيانات الأخرى ؛ لأنها فرع عنها ، والتي
تكون بمعصية الله في أوامره ، وتكليفاته ، وباستعمال شيء من نعم الله في هذا ، فقد
جعل الله ما في الإنسان من القوى الظاهرة والباطنة أمانة تحت يده ، فهو يستطيع
التصرف بها حسب إرادته ، ولكنه مطالب بأن لا يتصرف بها في فعل شر أو ضرر أو
معصية أو عدوان ، فإذا تصرف بهما في فعل شيء من ذلك فقد خان فيما استأمنه الله
عليه^(٤).

فهذا الخلق الذميمة مما يجب على المسلم عموماً ، والداعي إلى الله على وجه
الخصوص تجنبه ؛ لما فيه من خسة لا تتفق مع أخلاق المسلم الفاضلة .

وبهذا يتضح أن الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة ، والتنفير من الأخلاق الذميمة من
الموضوعات الرئيسة التي جاءت في سورة الحج ، ومن الواجب على الداعي إلى الله أن
يحرص على التخلق بالأخلاق الحسنة ، كما ينبغي له أن يحرص على دعوة الناس
إليها ، وإبراز أهميتها وضرورتها للمجتمعات الإنسانية .

(١) الجامع لأحكام القرآن / (٤٥/١٢).

(٢) سورة الأحزاب ، الآية (٧٢).

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم / (٤٨٦/٣).

(٤) انظر : الأخلاق الإسلامية وأسسها / (٦٥٥/١).

الفصل الثاني :

الداعي إلى الله في سورة الحج

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : مهمة الداعي إلى الله في سورة الحج .
- المبحث الثاني : إعداد الداعي إلى الله في سورة الحج .
- المبحث الثالث : صفات الداعي إلى الله في سورة الحج .

المبحث الأول : مهمة الداعي إلى الله في سورة الحج .

توطئة :

مهمة الداعي إلى الله هي الدعوة إليه ، وهي تهدف إلى إخراج الناس من الظلمات إلى النور ؛ لهذا كانت هذه المهمة من أسمى المهام وأشرفها ، فكان أول من قام بها الرسل - عليهم الصلاة والسلام - فتعاهدوا البشرية بالرسالة أزماناً متعددة ، حتى ختمت النبوة ، وتم البناء بأفضل الخلق وأكملهم نبينا محمد - ﷺ - ، ثم حمل الدعوة إلى الله من بعدهم هذه المهمة ، يسعون فيها لإرشاد الناس إلى هذا الدين العظيم ، فتقبلها أناس فتحققت لهم بها السعادة الحقيقية بالطمأنينة النفسية ، والأمن الروحي ، والهداية إلى الطريق المستقيم ، قال الله - تعالى - : ﴿ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١).

وأعرض عنها آخرون فحاق بهم جزاء ما كانوا يصنعون ، قال - تعالى - : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ (٢).

ومهمة الداعي إلى الله في سورة الحج جاءت تتميز بأمرين عظيمين :
الأمر الأول : أن الدعوة إلى الله مهمة الرسل - عليهم الصلاة والسلام - وأتباعهم ، وفي هذا شرف لها يميزها عن باقي المهام .
الأمر الثاني : أن الدعوة إلى الله جاءت توازن بين تبليغ الدعوة إلى الله وبين تطبيق هذه الدعوة في واقع المدعو ، فلا يطغى جانب على آخر .

(١) سورة الحج ، الآية (٥٤) .

(٢) سورة الحج ، الآية (٥٧) .

المطلب الأول : الدعوة إلى الله مهمة الرسل - عليهم الصلاة والسلام - .

أولاً: حاجة البشر إلى دعوة الرسل - عليهم الصلاة والسلام - :

رسل الله - عليهم الصلاة و السلام- هم مشاعل الخير ، وحملة الرسالة ، وأول الدعاة وأكملهم ، جاءوا بالدعوة إلى الله ، فكانت مهمتهم من أشرف المهام وأعلاها ، تستمد مكانتها من الوحي الإلهي الذي تحمله ، وتسعى إلى تبليغه وتطبيقه .

قال - تعالى - : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (١) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٦﴾ . (١)

وحاجة البشر إلى الرسل والرسالات حاجة عظيمة ، فهم النور الذي يضيء للعباد طريقهم ، ويبين لهم معيشتهم ، ويهديهم إلى صلاح عاقبتهم .

قال الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - مبيناً ذلك :

« ومن ههنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول ، وما جاء به ، وتصديقه فيما أخبر به ، وطاعته فيما أمر ، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل ، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم ، ولا يُنال رضى الله ألبته إلا على أيديهم ، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ، ليس إلا هديهم وما جاءوا به ، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال ، وبتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال ، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه ، والعين إلى نورها ، والروح إلى حياتها ، فأى ضرورة وحاجة فرضت ، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير » . (٢)

ثانياً: منهج الرسل - عليهم الصلاة والسلام - في الدعوة إلى الله :

لرسل - عليهم الصلاة والسلام - منهج متميز في الدعوة إلى الله ، يمر بثلاث

(١) سورة الحج ، الآيتان (٧٥ ، ٧٦) .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد / (١/٤٠) .

مراحل^(١):

١- إعلان الدعوة والأمر بها :

قال - تعالى - : ﴿ قُلْ يَتَّخِذُهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ ﴾^(٢).
في هذه الآية يأمر الله - تعالى - نبينا الكريم محمداً - ﷺ - أن يعلن للناس مهمته وهي الدعوة إلى الله ، وينذرهم من الإعراض عنها .
يقول الإمام أبو جعفر الطبري^(٣) - رحمه الله - في تفسير الآية : أي قل يا محمد إني « أبين لكم إنذارى ذلك وأظهره ، لتنبؤوا من شرككم ، وتحذروا ما أنذركم من ذلك ، لا أملك لكم غير ذلك »^(٤).

٢- الجدل والتوضيح ، وبيان الآيات الدالة على حقيقة الدعوة :

قال - تعالى - : ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ۝ ﴾^(٥).
فمع وضوح الحق وبيانه إلا أن الجدل من أولي الضلال قد يحتدم كبيراً وتعالى على الحق فيتوعدهم الله بعذابه العظيم ، ويدمهم بصفاتهم القبيحة .
قال - سبحانه - : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مُّرِيدٍ ۝ كَتَبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ ﴾^(٦).

(١) انظر : أسس الدعوة وآداب الدعاة / (ص ٧٢) ، للدكتور : محمد السيد الوكيل .

(٢) سورة الحج ، الآية (٤٩) .

(٣) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير ، (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) ، أبو جعفر الطبري ، الإمام العلم المجتهد ، من أهل آمل طبرستان ، أكثر الترحال ، كان من أفراد الدهر علماً وذكاءً ، وكان صادقاً ، ثقةً ، حافظاً ، رأساً في التفسير ، إماماً في الفقه ، علامة في التاريخ ، عارفاً بالقراءات ، من كتبه : « جامع البيان عن تأويل آي القرآن » ، و« تاريخ الرسل والملوك » ، و« تاريخ الرجال » . انظر : سير أعلام النبلاء / (١٤ / ٢٦٧ - ٢٨٢) ، طبقات المفسرين / (٩٥ - ٩٧) .

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن / (١٦ / ٦٠٠) .

(٥) سورة الحج ، الآية (١٦) .

(٦) سورة الحج ، الآيتان (٣ ، ٤) .

ففي قوله - تعالى - : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ... ﴾ بيان أن الشريعة الإسلامية تميزت عن الشرائع السابقة باليسر ورفع الحرج .
وفي قوله - تعالى - : ﴿...لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ... ﴾ ، بيان لتمام دعوة الرسل - عليهم الصلاة والسلام - ، واستقامة أمرها ، وقيام الحجة على العباد .

يقول الإمام الشوكاني^(١) - رحمه الله - : « ﴿...لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ... ﴾ أي بتبليغه إليكم ، ﴿...وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ... ﴾ أن رسلهم قد بلغتهم ».^(٢)
ويجب على الداعي إلى الله أن يسعى لتطبيق منهج الرسل - عليهم الصلاة والسلام - في دعوتهم لأقوامهم ، ففيهم قدوة حسنة لمن أراد أن يقوم بمهمة الدعوة إلى الله على الوجه الصحيح .

(١) تقدمت ترجمته في (ص ٧٣) من هذه الرسالة.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير / (٣ / ٦٧٥) .

المطلب الثاني : النوازن بين البلاغ والتطبيق في الدعوة إلى الله .

أولاً: أهمية التوازن بين البلاغ والتطبيق في الدعوة إلى الله :

جاءت مهمة الداعي إلى الله توازن بين الدعوة إلى الله بلاغاً وبياناً ، وبين تطبيق وتنفيذ ما شرعه الله لعباده في واقع حياتهم ، فلا يكفي دخول الناس إلى دين الله وتركهم هملاً لا يفقهون من شريعته شيئاً ، بل يجب تعليمهم وتوجيههم وتطبيق هذه الشريعة في جميع الأمور .

لهذا فالتوازن بين هذين الأمرين مما تميزت به مهمة الداعي إلى الله .

ففي بداية الدعوة يجب على الداعي أن يجتهد في نقل المدعو إلى آفاق الإسلام ودعوته في قوة وإيمان إلى الربانية الشاملة التي تهيئ للإنسان حياة صالحة وسعيدة ، تعطى للقلب حقه ، وللبدن حقه ، وللنفس حقها ، فيسعى إلى تغيير ما في نفوس المدعوين حتى يغير الله ما بهم من فساد ، وكل دعوة لا تبلغ هذا الهدف أولاً -وقبل كل شيء- أو ترى هذه الغاية التي هي بداية كل خير ، فجهدها ضائع وعملها لا طائل منه.^(١)

فإذا حصلت الاستجابة ، وقبل المدعو الدعوة إلى الله ، وجب على الداعي أن يستعده بما يكفل له المناعة من الانتكاسة والعودة إلى ظلمات الجهل والضلال ، فيصهر بمعالم الدين ، ويثبت عليه ؛ وذلك بتعليمه معالم الإسلام ومعانيه وأفكاره ، فلا يجوز للداعي أن يترك المستجدين وشأنهم بمجرد أنهم قبلوا الإسلام وصاروا من عداد المسلمين ، فقد تبقى فيهم بقايا كثيرة أو قليلة من دأبهم القديم : الشرك بأنواعه ، والمعاصي بأنواعها ، مما يعرضهم إلى الانتكاس والرجوع عن الإسلام ، أو السير على غير هدى ، في حين يحسبون أنهم مهتدون.^(٢)

(١) انظر : الدعوة قواعد وأصول / (ص ٢٠٧) ، تأليف : جمعة عبدالعزيز .

(٢) انظر : أصول الدعوة / (ص ٤٤٢) .

الدعوة إلى الله في سورة الحج ————— (الفصل الثاني / الداعي إلى الله في سورة الحج)

والفهم المتوازن لهذه القضية ، يُسهّل على الداعي إلى الله عمله ، ويضمن له تحقيق الثمار الياقة هذه الدعوة ، ومن أجل ذلك ينبغي للداعي مراعاتها في أداء مهمته .

ثانياً: التوازن بين البلاغ والتطبيق في الدعوة إلى الله في سورة الحج :

يتضح التوازن بين البلاغ والتطبيق في الدعوة إلى الله في سورة الحج بالأمر بإعلان النذارة وتبليغ الدعوة إلى الله في قوله -تعالى- : ﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ (١) .

وقوله : ﴿...وَأَذْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٢) .
وبتفصيل وتبيين بعض شريعة الله ، (٣) والأمر بتطبيقها في مقابل ذلك .
قال -تعالى- : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٤) .

وقال -تعالى- : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (٥) .
وقال -سبحانه- : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا

(١) سورة الحج ، الآية (٤٩) .

(٢) سورة الحج ، الآية (٦٧) .

(٣) سبق تفصيل ذلك عند الحديث عن موضوع الدعوة إلى الله في مجال الشريعة في (ص ٥٧) وما بعدها من هذه الرسالة .

(٤) سورة الحج ، الآية (٧٧) .

(٥) سورة الحج ، الآية (٤١) .

الدعوة إلى الله في سورة الحج ————— (الفصل الثاني / الداعي إلى الله في سورة الحج)

يَا اللَّهُ هُوَ مَوْلَانَا فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ .^(١)

وذلك في توازن دعوي فريد ، يهتم بتبليغ الدعوة إلى الله إلى جانب الحرص على تطبيق شريعة الله ، وهذا مما امتازت به مهمة الداعي إلى الله .

(١) سورة الحج ، الآية (٧٨) .

المبحث الثاني : إعداد الداعي إلى الله في سورة الحج .

توطئة :

الدعوة إلى الله بحاجة إلى دعاة يفقهون دينهم الفقه الواجب ، ويدركون واقعهم ، ويملكون همة عالية لنشر الدعوة إلى الله بين الناس ، ويجعلون ذلك شغلهم الشاغل . ومن أجل دعاة هذه صفتهم نحن بحاجة إلى إعداد دقيق ، وتهيئة مكثفة لطائفة من أبناء الدين لحمل مهمة الدعوة إلى الله ، ليقوموا بالفرض الكفائي إلى جانب قيام كل مسلم بما يجب عليه على قدر الإستطاعة.

وإعداد الداعي إلى الله في سورة الحج جاء مبنياً على ركيزتين مهمتين :
الركيزة الأولى : صلة الداعي إلى الله بربه - سبحانه وتعالى - ، وبقدر هذه الصلة ومدى قوتها ومتانتها تؤتي جهود الداعي إلى الله ثمارها المنتظرة - بمشيئة الله - ، وبها يستطيع الداعية - بإذن الله - أن يواصل دعوته رغم ما يعترضه من عوائق .
الركيزة الثانية : فهم الداعي إلى الله لآيات الله ، ولما كان الداعية مبلّغاً عن الله كان من الضروري أن يكون فاهماً لآياته - سبحانه وتعالى - ، فلا يصح أن يبلغ ما لا يفهمه ، أو ما أساء فهمه .

فاهتمام الداعي إلى الله بهاتين الركيزتين أمر لازم لأداء مهمته على الوجه الأمثل.

المطلب الأول : صلة الداعية بالله - تعالى .

أولاً: أهمية صلة الداعية بالله - تعالى :

الداعية مرشد الناس إلى الله ، وموجههم نحو هذا الهدف ، فكل هدفه أن يعرفهم بالله - سبحانه وتعالى - ليفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة .

وعلى الداعية أولاً أن يقوي صلته بالله ، ويجعل إيمانه قائماً على التفرغ الكامل لمولاه ، والارتباط المطلق به ، والتوكل الراسخ عليه ، والتسليم التام لكل ما يأتي به من غير ارتياب أو حرج ؛ لتكون الدعوة ظاهرة في قوله وفعله .^(١)

وقد جاءت بعض الآيات في سورة الحج تقوي هذه الصلة فهي تدعو إلى معرفة الله ، وأنه الواحد المتفرد بالخلق والتدبير ، ذي القوة والجلال ، والعظمة والقدرة .

فآيات واضحة لا غموض فيها في تقرير وحدانية الله ، قال - سبحانه وتعالى - :

﴿...فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا...﴾ .^(٢)

وفي إثبات قدرته ، قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ

لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .^(٣)

وفي الإشارة إلى آيات الله الكونية الدالة على عظمته - جل شأنه - قال : ﴿ أَلَمْ

تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ .^(٤) لَهُ

مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ .^(٥) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ

لَكُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ

إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ .^(٦)

وقال - تعالى - : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ

(١) انظر : الدعوة الإسلامية (أصولها ووسائلها) / (ص ٤٤١) .

(٢) سورة الحج ، الآية (٣٤) .

(٣) سورة الحج ، الآية (٧٤) .

(٤) سورة الحج ، الآيات (٦٣ - ٦٥) .

سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾^(١)

وفي تقرير علم الله الواسع الذي لا يُغفل شيئاً ، قال -تعالى- : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾^(٢) .
فإن هذه الآيات ، تغرس في الداعية الإيمان بالله ، وتؤدي إلى المعرفة الوثيقة به -سبحانه- ، وتقوي صلته به ، وتجعله يعتقد من قرارة نفسه أن الآجال بيد الله ، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له ، وإن اجتمعت على أن يضروه بشيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه ، كما يعتقد من سويداء قلبه أن الأرزاق بيد الله ، وأن ما قسمه الله للعبد لم يكن لأحد أن يمنعه ، وأن ما أمسكه عنه لم يكن لأحد أن يعطيه ، ويعتقد من أعماق أحاسيسه ومشاعره أن الله - سبحانه - معه ، يسمعه ويراه ، ويعلم سره ونجواه ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.^(٣)

فأهم ما يجب على الداعية ويعينه على القيام بالدعوة توثيق صلته بالله -تعالى- في يقين وقوة وإيمان ، وتفريغ قلبه لله ، وتقوية الارتباط به ، وترسيخ التوكل عليه ، والتسليم له في كل ما يأتي عن الله ورسوله - ﷺ - من غير ارتياب أو حرج ؛ ليكون قيامه بالدعوة ظاهراً في قوله وفعله عن عقيدة إيمانية راسخة وصلة وثيقة بالله ، فينطلق بدعوته من مبدأ تحقيق الغاية التي من أجلها خلُق الخلق وهي عبادة الله وحده ، والإيمان بالله الخالق والتسليم له يقتضي ضرورة أن تكون العبادة له وحده لا شريك له ؛ لأن العبادة هي الحبل الوثيق الذي يربط الإنسان بالله وليس هناك سبيل سواها.^(٤)

(١) سورة الحج ، الآية (٦١).

(٢) سورة الحج ، الآية (٧٠).

(٣) انظر : سلسلة مدرسة الدعوة / (١٣٩/١) وما بعدها ، للدكتور : عبدالله بن ناصح علوان.

(٤) انظر : صفات الداعية الناجح / (ص ٢٢ ، ٢٣) ، تأليف : صالح بن محمد العليوي.

ثانياً: من ثمرات صلة الداعية بالله -تعالى- :

يجني الداعي إلى الله ثمرات كبرى عندما يقوي صلته بالله -تعالى-، من أبرزها :

١ - دفاع الله - سبحانه - عن الداعي إلى الله :

أمر الله - سبحانه - عباده المؤمنين بتوثيق صلتهم به ؛ وذلك بالاعتصام به حيث

يقول : ﴿...وَأَعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَانَكُمْ فَنِعَمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعَمَ النَّصِيرُ﴾ (١).

و الاعتصام بالله : هو التوكل عليه ، والامتناع به ، والاحتماء به ، وسؤاله أن

يحمي العبد ، ويعصمه ، ويدفع عنه. (٢)

وفي هذه الآية يأمر الله - سبحانه - عباده المؤمنين بالثقة به في جميع أمورهم ،

و ألا يطلبوا الإعانة والنصرة إلا منه ، فهو ناصرهم ومتولي أمورهم ، إذ لا مثيل له

- سبحانه - في الولاية والنصرة ؛ بل لا مولى ولا نصير سواه في الحقيقة. (٣)

فمن ثمرات الاعتصام بالله الدفاع عن العبد المؤمن ، قال -تعالى- : ﴿إِنَّ اللهَ

يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (٤).

قال الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - : « فإن ثمرة الاعتصام به : هو الدفع

عن العبد ، والله يدافع عن الذين آمنوا ، فيدفع عن عبده المؤمن إذا اعتصم به كل

سبب يفضي به إلى العطب ، ويحميه منه ، فيدفع عنه الشبهات والشهوات ، وكيد

عدوه الظاهر والباطن ، وشر نفسه ، ويدفع عنه موجب أسباب الشر بعد انعقادها ،

بحسب قوة الاعتصام به وتمكنه ، فتَقَدَّرَ في حقه أسباب العطب ، فيدفع عنه

موجباتها ومسبباتها ، ويدفع عنه قَدَرَهُ بقدره ، وإرادته بإرادته ، ويعيذه به منه». (٥)

(١) سورة الحج ، الآية (٧٨) .

(٢) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين / (٥٣/٢) .

(٣) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل / (٩٨/٢) .

(٤) سورة الحج ، الآية (٣٨) .

(٥) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين / (٥٣/٢ ، ٥٤) .

٢ - نصر الله - سبحانه - للداعي إلى الله :

ينصر الله الداعية المؤمن الذي قويت صلته بالله - سبحانه - ؛ وذلك لنصره دينه بالدعوة إليه ، وتحمل الأذى في سبيله ، قال - تعالى - : ﴿...وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (١).

وقد ذكر الله - سبحانه - وتعالى - نصره للداعي الأول نبيه محمد - ﷺ - في قوله : ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ (٢).

وهذا النصر ليس سراياً خادعاً ، ولا تمنياً كاذباً ؛ بل وعداً صادقاً من الله - سبحانه - وتعالى - لمن ينصر دينه ، فعلى الداعية المؤمن أن يقوي صلته بربه ، ويعمُر قلبه باللجوء إليه ، والتوكل عليه ، والاعتصام به في شأنه كله حتى يتحقق له النصر منه - سبحانه - وتعالى - .

٣ - تمكين الله - سبحانه - للداعي إلى الله في الأرض :

من ثمرات صلة الداعية بالله - تعالى - التمكين في الأرض ، وذلك بعد أن ينصره الله على أعدائه ، قال - تعالى - : ﴿...وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٣) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (٤).

قال الشيخ ابن عاشور (٤) - رحمه الله - : « أي مكّناهم بالنصر الموعود به إن نصرُوا دين الله » . (٥)

فإن من ينصر الله ينصره ، ويمكن له في الأرض جزاء صلته القوية بالله ونصره له .

(١) سورة الحج ، الآية (٤٠) .

(٢) سورة الحج ، الآية (١٥) .

(٣) سورة الحج ، الآيتان (٤٠ ، ٤١) .

(٤) تقدمت ترجمته في (ص ٢٤) من هذه الرسالة .

(٥) التحرير والتنوير / (١٦ / ٢٨٠) .

المطلب الثاني : فهم الداعية لآيات الله - تعالى - .

أولاً: أهمية فهم الداعية لآيات الله - تعالى - :

حوى القرآن الكريم من حقائق الحياة ، وعلومها ، وشؤونها ، وما يُصلح حالها كنوزاً لا يستغني عنها بشر ، فهو كلام الله - سبحانه وتعالى - ، غير مشوب بأهواء البشر ، وتقلبهم ، نور يهدي ويضيء عتمة ليل البشرية بتشريعات إلهية ، وقيم فاضلة ، وآداب عالية ، وأخلاق سامية ، ﴿...تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝﴾^(١) .
والداعية المؤمن أشد الناس حاجة لتدبر هذا الكتاب المعجز ، وفهمه فهماً عميقاً ، لما يعود عليه من النفع العظيم .

وقد أنزل المولى - جل شأنه - هذا القرآن بيناً ، واضحاً ، ميسراً ، لا غموض فيه ، قال - تعالى - : ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ۝﴾^(٢) .
أي : كذلك أنزلنا إلى نبينا محمد - ﷺ - هذا القرآن آيات بينات ، يعني : دلالات واضحة ، يهدي من أراد الله هدايته للحق ، ولأن الله يوفق للصواب ولسبيل الحق من أراد ، أنزل هذا القرآن آيات بينات.^(٣)

قال الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - : « وأما التأمل في القرآن فهو تحديق ناظر القلب إلى معانيه ، وجمع الفكر على تدبره وتعقله ، وهو المقصود بإنزاله ، لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر»^(٤) .

فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده ، وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن ، وإطالة التأمل فيه ، وجمع الفكر على معاني آياته ؛ فإنها تُطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما ، وعلى طرفاتهما ، وأسبأهما ، وغاياتهما ، وثمراتهما ، ومآل

(١) سورة فصلت ، الآية (٤٢) .

(٢) سورة الحج ، الآية (١٦) .

(٣) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن / (١٦/٤٨٥) .

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين / (٣٤/٢) .

أهلها ، وتُتْلُ في يده مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة ، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه ، وتشيد بنيانه ، وتوطد أركانه ، وترية صورة الدنيا والآخرة ، والجنة والنار في قلبه ، وتحضره بين الأمم وترية أيام الله فيهم وتبصره مواقع العبر ، وتشهده عدل الله وفضله ، وتعرّفه ذاته ، وأسماءه وصفاته وأفعاله ، وما يحبه وما يبغضه ، وصراطه الموصل إليه ، وما لسالكه بعد الوصول والقدوم عليه ، وقواطع الطريق وآفاتهما ، وتعرّفه النفس وصفاتها ، ومفسدات الأعمال ومصححاتها ، وتعرّفه طريق أهل الجنة ، وأهل النار وأعمالهم وأحوالهم وسيماهم ، ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة ، وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون فيه ، وافتراقهم فيما يفترون فيه .
وبالجملة تعرّف الداعية الرب الذي يدعو إليه ، وطريق الوصول إليه ، وما له من الكرامة إذا قدم عليه .

وتعرفه في مقابل ذلك ثلاثة أخرى : ما يدعو إليه الشيطان ، والطرق الموصلة إليه ، وما للمستجيب لدعوته من الإهانة والعذاب بعد الوصول إليه.^(١)

ثانياً: من آثار سوء فهم الداعية لآيات الله -تعالى- :

من أعظم الآثار التي يتركها سوء فهم الداعية لآيات الله -تعالى- ما يلي:

١- سوء التأويل لآيات الله -تعالى- :

سوء التأويل لآيات الكتاب وحملها على معانٍ تُخرجها عما أراد الله بها نوع من التحريف الذي ذم الله عليه أهل الكتاب ، فقد حرفوا كتبهم لفظاً بالزيادة والنقصان ومعنوياً بسوء التأويل .

أما القرآن فهو محفوظ في الصدور والمصاحف ، ولا سبيل إلى تحريفه تحريفاً لفظياً ، ولكن قد يدخل في تفسيره سوء التأويل ، وهو التحريف المعنوي.^(٢)
وعدم فهم مراد الآيات ينتهي بالداعية إلى سوء تأويلها ، ومن ثم يؤدي ذلك إلى

(١) انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين / (٢/ ٣٥ ، ٣٦) .

(٢) انظر : ثقافة الداعية / (ص ٣٣) وما بعدها .د. يوسف القرضاوي .

تحريف مقاصد الشريعة ، وإلى خلل كبير في تطبيقها في واقع الحياة.

٢- سوء التبليغ عن الله - تعالى -:

الداعي إلى الله يهدف إلى نشر العلم الصحيح ، وإلى إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، وسوء فهم آيات الله يحول دون تحقيق ذلك ، بل يؤدي إلى نشر العلم الباطل والأفكار المحرفة ، فإن كل علم لا يقوم على فهم دقيق وعميق لكتاب الله وسنة نبيه - ﷺ - لا يوصل إلى الله .

لهذا كان الفهم العميق من الداعية لآيات الله أمراً ضرورياً يساعده على معرفة مرتكزات سليمة في الدعوة إلى الله ، ويبعده عن مظان الخطأ والزلل ، لا سيما أن الناس يتوجهون للداعي إلى الله لطلب الفتيا ، والاستشارات... ونحوها ، وسوء فهمه لآيات الله يؤدي به إلى الإفتاء بغير علم ، وإلى تضليل الناس ، وتشويه الحقائق .

المبحث الثالث : صفات الداعي إلى الله في سورة الحج .

توطئة :

للداعي إلى الله صفات مثلى ، ينبغي أن يتصف بها كل داع حريص على توجيه الناس وإرشادهم إلى الخير ، فصفات الداعي إلى الله ليست مقتصرة عليه وحده ؛ وإنما ترتبط بدعوته ، وتؤثر تأثيراً مباشراً في علاقاته ومعاملاته مع غيره من الناس . ولا يقتصر هذا التأثير على علاقته بغيره من بني الإنسان ؛ بل يتعدى ذلك إلى علاقته بربه وخالقه - سبحانه وتعالى - في مفهوم أسمى وأعلى .

فإن صفات الداعي إلى الله ترتبط ارتباطاً وثيقاً بإيمانه بالله ، وبرسوله - ﷺ - ، فالإسلام حثٌّ على أكرم الصفات وأفضلها ، ونهى عن سفاسفها ، وبقدر إيمان الداعي وإخلاصه تتجلى أكمل الصفات السامية التي هي ثمرة من ثمرات الإيمان والعبادة .

وفي سورة الحج جاءت بعض الآيات تحت على بعض الصفات الكريمة التي ينبغي للداعي إلى الله أن يحرص على تطبيقها في شأنه كله ، فدعا - سبحانه وتعالى - إلى الإحسان في عبادته ، والإحسان إلى عباد الله ، وأمر بتقواه ، وحثٌّ على تعظيم حرماته ، كما أمر - تعالى - رسوله الكريم - ﷺ - بتبشير المخبتين إليه ؛ الوجلة قلوبهم ، والصابرين على ما أصابهم ، والمقيمي الصلاة ، والمنفقين لما رزقهم الله فيما يرضي الله .

وأيضاً أمر - جلَّ شأنه - باجتنب بعض الصفات المذمومة كقول الزور ، والمجادلة بالباطل .

المطلب الأول: الإحسان .

أولاً: تعريف الإحسان :

أ- تعريف الإحسان في اللغة :

الإحسان من الفعل الثلاثي حسن ، وهو: ضد الإساءة .

يقال: رجل مُحسن ومحسان .

وأحسنتُ بفلان ، وأسأت بفلان ، أي : أحسنت إليه ، وأسأت إليه ، ويقال :

أَحْسِنْ بنا ، أي : أحسن إلينا ، ولا تسئ بنا .

وحسنت الشيء تحسناً : زينتَه. ^(١)

وحسنَ حُسناً : جَمَل ، فهو حسن.

وأحسن الشيء : أجاد صنعه وأتقنه. ^(٢)

ب- تعريف الإحسان في الاصطلاح :

«هو ما يكون متعلق المدح في العاجل ، والثواب في الآجل». ^(٣)

ويختلف معنى الإحسان في الاصطلاح بحسب وروده في السياق :

أ- إذا اقترن بالإيمان والإسلام دل على مراتب الدين ، وتعريفه على هذا المعنى

كما عرّفه رسول الله - ﷺ - في الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -

- لما سأله جبريل - عليه الصلاة والسلام - عن الإحسان ، فقال : (أن

تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك). ^(٤)

ب- إذا ورد مطلقاً فيراد به فعل ما هو حسن ، وفيه يقول فضيلة الشيخ محمد

ابن عثيمين - رحمه الله - : « الإحسان ضد الإساءة وهو أن يبذل

(١) انظر: لسان العرب / (١٣ / ١١٥ - ١١٧).

(٢) انظر : المعجم الوسيط / (ص ١٧٤).

(٣) التعريفات / (ص ١٠١) .

(٤) سبق تخريج هذا الحديث في (ص ٣٢) من هذه الرسالة.

الإنسان المعروف ، وكيف الأذى ، فيبذل المعروف لعباد الله في ماله ،
وجاهه ، وعلمه ، وبدنه»^(١).

ثانياً: أنواع الإحسان :

الإحسان نوعان :

أ- إحسان في عبادة الله :

وهو مرتبتان :

- ١- (أن تعبد الله كأنك تراه) ؛ وهذه العبادة عبادة طلب وشوق ، وعبادة الطلب والشوق يجد الإنسان من نفسه حائثاً عليها ؛ لأنه يطلب هذا الذي يحبه ، فهو يعبد كأنه يراه ، فيقصده وينيب إليه ويتقرب إليه .
- ٢- (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) ؛ وهذه العبادة عبادة هرب وخوف ؛ ولهذا كانت هذه المرتبة ثانية في الإحسان ، فإذا لم تكن تعبد الله -عز وجل- كأنك تراه وتطلبه ، وتحث النفس للوصول إليه فاعبده عبادة خائف منه ، هارب من عذابه وعقابه فإنه يراك^(٢).

ب- إحسان لعباد الله :

ويكون ذلك بإحدى ثلاث :

- ١- الإحسان باللسان ؛ وذلك بحسن الخلق ، والشفاعة عند أصحاب المناصب ، وتعليم الناس ، ونحو ذلك .
- ٢- بالمال ؛ مثل أن يتحمل دفع الديات ، وإكرام الضيف ، وبذل الصدقات .
- ٣- بالفعل ؛ ويكون بالعفو عن المسيء ، والصفح الجميل عن المذنب ، وكظم الغيظ والدلالة على الخير ، ونحو ذلك^(٣).

(١) شرح ثلاثة الأصول / (ص ١١٨) .

(٢) انظر : المرجع السابق / (ص ١١٩) .

(٣) انظر : موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية / (٧٤/٥) وما بعدها ، الباحث الرئيسي ورئيس

الفريق العلمي أ.د. مرزوق بن صنيان بن تباك .

ثالثاً: من صفات الداعي إلى الله في سورة الحج الإحسان:

من أهم الصفات التي ينبغي أن يتصف بها الداعي إلى الله الإحسان ، وقد بشر الله المتصفين بها في قوله -تعالى- : ﴿...وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١).^(١)
يقول الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي^(٢) -رحمه الله- في تفسير الآية :
«...وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾. بعبادة الله بأن يعبدوا الله كأهم يرونه ، فإن لم يصلوا إلى هذه الدرجة فليعبدوه معتقدين وقت عبادتهم اطلاعه عليهم ، ورؤيته إياهم ، والمحسنين لعباد الله بجميع وجوه الإحسان ؛ من نفع مال أو علم أو جاه أو نصح أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو كلمة طيبة ونحو ذلك ، فالمحسنون لهم البشارة من الله بسعادة الدنيا والآخرة ، وسيحسن الله إليهم كما أحسنوا في عبادته ولعباده». (٣)

والإحسان من عناصر التربية الواعية ، وقد دلّ على ذلك قوله -تعالى- :
﴿...وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤)، وهو في صورته العليا صفة رب العالمين، لأن الإساءة تنتج عن الجهل والعجز والقصور وما إلى ذلك من أوصاف مستحيلة على الله ، فإنه - سبحانه وتعالى - أخبر عن صنعه للكون الكبير ، فقال : ﴿...صُنِعَ اللَّهُ أَلَدَى أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ...﴾ (٥) وطلب من الناس أن يفتشوا عن مآخذ في هذه الصناعة الباهرة وهيئات أن يجدوا ذلك ، قال تعالى : ﴿...مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَلُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ (٦) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ

(١) سورة الحج ، الآية (٣٧) .

(٢) تقدمت ترجمته في (ص ٩٨) من هذه الرسالة.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المئان/ (ص ٥٣٩).

(٤) سورة البقرة ، الآية (١٩٥) .

(٥) سورة النمل ، الآية (٨٨) .

خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿١﴾.

والله - سبحانه وتعالى - عندما نشر أبناء آدم فوق الأرض ، وأناط بهم عمارة هذا الكون كلفهم - كي يكونوا ربانيين - أن يحسنوا العمل .
وعن شدّاد بن أوس^(٢) - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : (إن الله كتب الإحسان على كل شيء...٤) (٣) . (٤)

وكل شيء من ربنا إحسان منه إلينا ، قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - رحمه الله - : « ففي كل ما خلقه الله إحسان إلى عباده ، يُحمد عليه حمد شكر ، وله فيه حكمة تعود إليه ، يستحق لأجلها أن يُحمد عليه حمداً يستحقه لذاته » . (٥)
ولهذا كان الإحسان في عبادة الله من أهم الصفات التي ينبغي للداعي إلى الله أن يتحلى بها ؛ فهي أفضل منازل العبودية وأعلاها وأكملها ، وهي المعين له في دعوته إلى الله .

كما أن الإحسان إلى عباد الله من صفات عباد الله المؤمنين الذين يؤثرون رضي الله على ما سواه ، ويرجون رحمته - سبحانه وتعالى - ، والداعية بإحسانه إلى الناس يكسب قلوبهم ومحبتهم ويتهيأون لسماع حديثه ، والأخذ عنه ، وهو الطريق الأسرع لتحقيق غايته .

وإذا تدبر الداعي إلى الله ما هو فيه من نعم الله ، وعظيم إحسانه - سبحانه

(١) سورة الملك ، الآيتان (٣ ، ٤) .

(٢) شدّاد بن أوس بن ثابت الخزرجي ، ابن أخي حسان بن ثابت ، أبو يعلى ، وقيل : أبو عبد الرحمن ، روى عن النبي - ﷺ - وعن كعب الأحبار ، كانت له عبادة واجتهاد في العمل ، توفي سنة ثمان وخمسين ، وهو ابن خمس وسبعين سنة . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة / (٣ / ٢٥٨ ، ٢٥٩) .

(٣) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الصيد ، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل ، وتحديد الشفرة ، ح (٥٧) . انظر : موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ١٠٢٧) .

(٤) انظر : المحاور الخمسة للقرآن الكريم / (ص ١٩٤ ، ١٩٥) ، للشيخ : محمد الغزالي .

(٥) الحسنة والسيئة / (ص ٦٩) ، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية . تحقيق وتقديم : د. محمد بن جميل غازي .

الدعوة إلى الله في سورة الحج ————— (الفصل الثاني/ الداعي إلى الله في سورة الحج)

وتعالى- ، أدرك عظم هذه الصفة ، وأنه ينبغي له أن يتزود بها في مسيرته إلى الله ، يطلب وجه الله بإحسانه إلى الناس ، ويسعى إلى تحسس حاجات المدعوين ، والمصارعة إلى قضاء حاجاتهم دون أن يحتاجون إلى ذكرها .
فإن اتصافه بهذه الصفة المثلى توجب له محبة الناس وقبولهم له ؛ فَيُسَهِّلْ ذلك عليه دعوتهم ، والأخذ بأيديهم عن ورود مواطن الهلاك .

المطلب الثاني : التقوى .

أولاً: تعريف التقوى:

أ- تعريف التقوى في اللغة :

من الفعل الثلاثي وَقَى : وقاه الله وَقِيّاً وَوَقَايَةً وَوَقَايَةً : صانه . وَوَقَيْتُ الشيءَ أَقِيه : إذا صنته وسترته عن الأذى .

وقد توقيت واتقيت الشيء: حَذَرْتُهُ ، والاسم : التقوى .^(١)

واتقى بالشيء : جعله وقاية له من شيء آخر .

والتقوى : الخشية والخوف .

واتقى الله : خاف عقابه ، فتجنب ما يكره.^(٢)

ب- تعريف التقوى في الاصطلاح :

عرّفها طلق بن حبيب^(٣) - رحمه الله - فقال : « التقوى عمل بطاعة الله رجاء رحمة الله على نور من الله ، والتقوى ترك معصية الله مخافة عقاب الله على نور من الله ».^(٤)

قال الذهبي^(٥) - رحمه الله - معلقاً على ذلك : «أبدع وأوجز ، فلا تقوى إلا بعمل، ولا عمل إلا بترواً من العلم والاتباع ، ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص لله ».^(٦)

(١) انظر : لسان العرب / (١٥ / ٤٠١ ، ٤٠٢) .

(٢) انظر : المعجم الوسيط / (ص ١٠٥٢) .

(٣) طلق بن حبيب العنزي البصري ، تابعي زاهد كبير ، من العلماء العاملين ، ثقة صدوق ، من أعبد أهل زمانه ، كان طيب الصوت بالقرآن ، برّاً بوالديه ، توفي قبل المئة . انظر : سير أعلام النبلاء / (٤ / ٦٠١ - ٦٠٣) ، تهذيب التهذيب / (٢ / ٢٤٥ ، ٢٤٦) .

(٤) أخرجه الإمام ابن أبي شيبه في كتاب الزهد ، باب حديث طلق بن حبيب ، ح (٣٥١٥٠) . انظر : الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار / (٧ / ١٩٠) ، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله ابن محمد بن أبي شيبه الكوفي العبسي ، ضبطه وصححه : محمد عبدالسلام شاهين .

(٥) تقدمت ترجمته في (ص ١٠٣) من هذه الرسالة .

(٦) سير أعلام النبلاء / (٤ / ٦٠١) .

وأصل التقوى : أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه ، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وعقابه وقاية تقيه من ذلك ، وهو فعل طاعته واجتناب معصيته. ^(١)

ثانياً: مراتب التقوى :

للتقوى ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى : التوقي عن العذاب المخلد بالتبرؤ من الكفر ، وعليه قوله -تعالى- : ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝ ﴾. ^(٢)

المرتبة الثانية : التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك ، حتى الصغائر ، وهو المراد في قوله -تعالى- : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ ﴾. ^(٣)

المرتبة الثالثة : أن يتنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق - عز وجل - ويتبتل إليه بكليته ، وهي التقوى الحقيقية المأمور بها في قوله -تعالى- : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ۝ ﴾. ^(٤) ^(٥)

ثالثاً: من صفات الداعي إلى الله في سورة الحج التقوى:

تقوى الله - سبحانه وتعالى - من الصفات التي يجب أن يتحلى بها الداعي إلى الله ، لما فيها من الاستجابة لأمر الله -تعالى- ، فقد أمر الله عباده في مواضع عدة من

(١) انظر: جامع العلوم والحكم / (٣٩٨/١) ، للإمام الحافظ أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين البغدادي الدمشقي الشهير بابن رجب ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، إبراهيم باجنس.

(٢) سورة الفتح ، الآية (٢٦) .

(٣) سورة الأعراف ، الآية (٩٦) .

(٤) سورة آل عمران ، الآية (١٠٢) .

(٥) انظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم / (٢٨/١) .

كتابه الحكيم بلزوم تقواه ، قال - تعالى - : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ ﴾ (١).

وقال - تعالى - : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمَ شَعْبُ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ۝ ﴾ (٢). وهي زاد عظيم للداعي إلى الله تعينه على عوائق الطريق ، ولها عاقبة حسنة تؤول إليها .

فقد بشر المولى - سبحانه - عباده المتقين ببشارات عدة منها : البشرى بالكرامات ، والبشرى بالعون والنصرة ، وبالعلم والحكمة ، وتكفير الذنوب ، وتعظيم الأجر والثواب ، والمغفرة ، والتيسير والسهولة في الأمر ، والخروج من الغم والحنة ، والرزق الواسع ، والنجاة من العذاب والعقوبة ، والفوز بالمراد ، والتوفيق والصحة ، والشهادة لهم بالصدق ، والبشارة بالكرامة ، والبشارة بمحبة الله ، والفلاح ، والجنات والعيون ، والأمن من البلية ، وعز الفوقية على الخلق ، وزوال الخوف والحزن والعقوبة ، والأزواج الموافقة في الجنان ، وقرب الحضرة واللقاء والرؤية عند ملك مقتدر. (٣)

وكل هذه البشارات مما يسعى إليها المسلم عامة ، والداعي إلى الله خاصة لما يلقاه في طريق دعوته من صوارف شتى تتطلب تقوى الله في السر والعلن ، استجابة لأمر الله بلزوم تقواه ، وطمعاً في الفوز بهذه البشارات.

وقال أبو حاتم (٤) - رحمه الله - : «لن تصفو القلوب من وجود الدرن فيها حتى

(١) سورة الحج ، الآية (١) .

(٢) سورة الحج ، الآية (٣٢) .

(٣) انظر : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز / (٢/٣٠١) وما بعدها ، لمجد الدين محمد بن يعقوب

الفيروزآبادي ، تحقيق : محمد علي النجار ، عبدالمعطي الطحاوي .

(٤) محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي الدارمي البستي ، أبو حاتم ، الإمام العلامة ، الحافظ المجود ، ولد سنة بضع وسبعين ومئتين ، كان على قضاء سمرقند زماناً ، من فقهاء الدين ، وحفاظ الآثار ، وكان ثقة نبيلاً فهماً ، له تصانيف عدة ، منها : «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» ، و«غرائب الكوفيين» ، توفي بسجستان سنة أربع وخمسين وثلاث مئة . انظر : سير أعلام النبلاء / (١٦/٩٢-١٠٤) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب / (١٦/٣) .

تكون الهمم في الله هماً واحداً ، فإذا كان كذلك ، كفي الهم في الهموم إلا الهم الذي يؤول متعقبه إلى رضا الباري - جل وعز - بلزوم تقوى الله في الخلوة والملا ، إذ هو أفضل زاد العقلاء في دَارِيَهُمْ ، وأجل مطية الحكماء في حَالِيَهُمْ^(١).
ولأجل ذلك كانت تقوى الله من الصفات الرئيسة التي ينبغي للداعي إلى الله أن يتحلى بها ، ويحرص عليها ، ويدعو الناس إلى الأخذ بها ولزومها.

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء / (ص ٣٢) ، للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، محمد بن عبد الرازق حمزة ، محمد بن حامد الفقي .

المطلب الثالث : تعظيم حرمانات الله - تعالى - .

أولاً: تعريف تعظيم حرمانات الله :

تتكون صفة تعظيم حرمانات الله من لفظين ، هما :
التعظيم ، والحرمانات ، وسأبين المعنى اللغوي لكلٍ منها ، ثم أُبين المعنى
الاصطلاحي لحرمانات الله ، وتعظيم حرمانات الله .

أ- التعريف اللغوي :

● تعريف التعظيم في اللغة :

التعظيم : مصدر عَظَّمَ . يعِظُمُ تعظيماً وأعظمه : فحَّمه ، وكَبَّرَه .
واستعظمه : رآه عظيماً ، كأعظمه .
واستعظم الرجل : تكَبَّرَ ، كتَعَّظَمَ .
والعظموت كجبروت : الكبر ، والنخوة ، والزهو ، وأما عظمة الله - تعالى - ،
فلا توصف بهذا.^(١)

● تعريف الحُرْمَات في اللغة :

الحُرْمُ ، بالكسر: الحرام ، والجمع حُرْمٌ .
وَحَرَمَهُ الشيء : مَنَعَهُ.^(٢)
وَتَحَرَّمَ منه بِحُرْمِهِ : تَحَمَّى وَتَمَنَعَ .
وَالْمَحْرَمَةُ وَالْمَحْرُومَةُ : ما يحرم انتهاكه من عهد أو ميثاق أو نحوهما.^(٣)
وَالْحُرْمَات : جمع حُرْمَةٍ ، وهي ما لا يحل لك انتهاكه .
وَالْمَحَارِمُ : ما لا يحل استحلاله.^(٤)

(١) انظر: القاموس المحيط / (ص ١١٣٩) .

(٢) انظر: المصدر السابق / (ص ١٠٩١ ، ١٠٩٢) .

(٣) انظر : المعجم الوسيط / (ص ١٦٩) .

(٤) انظر: لسان العرب / (١٢/ ١٢٢) .

ب- التعريف الاصطلاحي :

• تعريف حرمة الله في الاصطلاح :

هي كل ماله حرمة ، وأمرٌ باحترامه بعبادة أو غيرها ، كالمناسك كلها ،
وكالحرم والإحرام ، وكالعبادات التي أمر الله العباد القيام بها. ^(١)

• تعريف تعظيم حرمة الله في الاصطلاح :

العلم بأن حرمة الله واجبة المراعاة والحفظ ، والقيام بمراعاتها ، وحفظ
حرمتها، وعدم التعدي فيما كان محرماً منها. ^(٢)

ثانياً: أهمية تعظيم حرمة الله :

لتعظيم حرمة الله أهمية كبيرة في الشريعة الإسلامية ، ومما يدل على ذلك:

١- أن الله أعدَّ لمن عظمَ حرمة الله خيراً كثيراً :

قال -تعالى- : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظِمْ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۖ... ﴾. ^(٣)

قال الإمام العلامة ابن كثير ^(٤) - رحمه الله - : « أي ومن يجتنب معاصيه ومحارمه
ويكون ارتكابها عظيماً في نفسه فله على ذلك خير كثير ، وثواب جزيل ، فكما
على فعل الطاعات ثواب كثير ، وأجر جزيل ، كذلك على ترك المحرمات ،
واجتناب المحظورات » . ^(٥)

٢- أن الله أعدَّ عذاباً عظيماً لمن همَّ بالسيئة في حرم الله بسبب همّه بذلك ،

بخلاف البقاع الأخرى فلا يعاقب فيها بالهم .

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / (ص ٥٣٧).

(٢) انظر: الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل / (٣/ ٣١)، تفسير النسفي (المسمى

مدارك التنزيل وحقائق التأويل) / (٣/ ١٠١) ، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي .

(٣) سورة الحج ، الآية (٣٠) .

(٤) تقدمت ترجمته في (ص ٤٧) من هذه الرسالة.

(٥) تفسير القرآن العظيم / (٣/ ٢٠٧) .

قال - تعالى - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَلَفِ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۝ ﴾ (١).

وعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال : « لو أن رجلاً همَّ فيه بإلحاد وهو بعَدَن أُبَيْنُ (٢) لأذاقه الله - عز وجل - عذاباً أليماً » (٣).

قال الإمام العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي (٤) - رحمه الله - : « فمجرد إرادة الظلم والإلحاد في الحرم موجب للعذاب ، وإن كان غيره لا يعاقب العبد عليه إلا بعمل الظلم » (٥).

٣ - تعظيم رسول الله - ﷺ - لحرمات الله ، فكان إذا انتهكت حرمات الله انتقم لله - تعالى - .

فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : « ما خيّر النبي - ﷺ - بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يأثم ، فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه ، والله ما انتقم لنفسه في

(١) سورة الحج ، الآية (٢٥) .

(٢) أُبَيْنُ : موضع في جبل عدن في اليمن. انظر: معجم البلدان / (٨٦/١) ، للإمام شهاب الدين أبي عبدالله باقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي.

(٣) أخرجه الهيثمي في كتاب التفسير ، باب سورة الحج ، برقم (١١١٨٤) ، وقال : « رواه أحمد وأبو يعلى والبيهقي ، ورجال أحمد رجال الصحيح » ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / (١٧١/٧) ، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، تحقيق : عبدالله بن محمد الدرويش ، وأخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب التفسير ، باب نار جهنم سوداء لا يضيء لهابها ولا جمرها ، برقم (٣٥١٢) ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ، المستدرک علی الصحيحین / (ص ٦٨٤) ، للإمام الحافظ أبي عبدالله الحاكم النيسابوري ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسير سورة الحج ، برقم (١٣٨٦١) ، تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله - ﷺ - والصحابة والتابعين / (٢٤٨٣/٨).

(٤) تقدمت ترجمته في (٩٨) من هذه الرسالة.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المثنان / (ص ٥٣٦).

شيء يؤتى إليه قط حتى تنتهك حرمة الله فينتقم الله». (١)

٤- أن تعظيم حرمة الله يحفظ الأمن والسلام للحياة البشرية ، وينظم حياة الإنسانية ، ويقودها إلى الطمأنينة والاستقرار.

يقول سيد قطب- رحمه الله - : «تعظيم حرمة الله يتبعه التخرج من المساس بها وذلك خير عند الله ، خير في عالم الضمير والمشاعر ، وخير في عالم الحياة الواقع، فالضمير الذي يتخرج هو الضمير الذي يتطهر ، والحياة التي تُرعى فيها حرمة الله هي الحياة التي يأمن فيها البشر من البغي والاعتداء ويجدون فيها متابة أمن ، وواحة سلام ، ومنطقة اطمئنان». (٢)

ثالثاً: من صفات الداعي إلى الله في سورة الحج تعظيم حرمة الله:

إن عظمة الله - تعالى - في قلب الداعي إلى الله تقتضي تعظيم حرمة الله ، وتعظيمه حرمة تحول بينه وبين الذنوب والمعاصي ، وحين يهون عليه أمر الله ونهيه ، ويجترأ عليه بالمعاصي ، فإن الله - عز وجل - يرفع مهابته من قلوب الخلق ، فيهون عليهم ، ويستخفون به كما هان عليه أمره واستخف به ، فعلى قدر محبة العبد لله يحبه الناس ، وعلى قدر خوفه من الله يخافه الناس ، وعلى قدر تعظيمه لله وحرمة حرمة يعظم الناس حرمة ، وكيف ينتهك عبد حرمة الله ويطمع أن لا ينتهك الناس حرمة ؟ أم كيف يهون عليه حق الله ولا يُهونه الله على الناس ، أم كيف يستخف بمعاصي الله ولا يستخف به الخلق ؟ (٣)

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحدود ، باب إقامة الحدود والانتقام لحرمة الله ، ح (٦٧٨٦) ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الفضائل ، باب مبادئه - ﷺ - للأثم ، واختياره من المباح أسهله ، وانتقامه لله - تعالى - عند انتهاك حرمة ، ح (٧٧). انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ٥٦٦ ، ١٠٨٨).

(٢) في ظلال القرآن / (٤ / ٢٤٢١).

(٣) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي / (ص ١١٩ ، ١٢٠) ، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ، تحقيق: أبي حذيفة عبيد الله بن عالية.

قال - تعالى - : ﴿...وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ...﴾^(١).

كما أن تعظيم حرمان الله - تعالى - دليل على قوة إيمان الداعي إلى الله ، وشدة خشيته لله ، فإن ذلك يردعه عن انتهاك ما نهى الله عنه ، ويدفعه إلى فعل ما أمر الله به ، وبذلك تتضح عبوديته لله وحده لا شريك له ، وتزداد صلته بالله ، فيراقب الله في سره وعلايته ، وفي أحواله كلها.

فتعظيم حرمان الله صفة عظيمة ، ينبغي للداعي أن يلتزم بها ويحرص عليها ، ويدعو الناس إليها ، لأثرها في نفسه وفي الآخرين ، فهي باب عظيم للخير وعد الله به من عظم حرمانه من عباده المؤمنين ، قال - تعالى - : ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ...﴾^(٢).

كما أن تعظيم حرمان الله سبب لدخول الجنة ، فعن جابر - رضي الله عنه - قال : أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - النعمان بن قوقل^(٣) - رضي الله عنه - فقال : « يا رسول الله ، أرأيت إذا صليت المكتوبة ، وحرمت الحرام ، وأحللت الحلال ، أَدْخَلَ الْجَنَّةَ ؟ » فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : (نعم).^(٤)

كما أنها تؤدي إلى حفظ أمن المجتمعات ، ونزول البركات ، واجتماع المعظم لحرمان الله يرفل بالأمن والسلام لالتزامه بشرع الله.

(١) سورة الحج ، الآية (١٨).

(٢) سورة الحج ، الآية (٣٠) .

(٣) النعمان بن قوقل بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عمرو بن عوف ، ويقال : إن قوقلاً لقب ، واسمه ثعلبة أو مالك بن ثعلبة ، له صحبة ، شهد بدرًا ، وذكر أنه استشهد بأحد . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة/ (٦/ ٣٥٥ ، ٣٥٦).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة ، وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة ، ح (١٦) . انظر : موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ٦٨٣).

المطلب الرابع: الإخبات .

أولاً: تعريف الإخبات:

أ- تعريف الإخبات في اللغة :

الإخبات مصدر.

وخبت المكان خبتاً : اطمأن .

وخبت ذكره : خفى .

وأخبت : خشع وتواضع . وأخبت إليه : اطمأن .

والخبت من الأرض : ما انخفض واتسع ، والخبت : المنخفض فيه رمل ،
والوادي العميق الممدود ، فيه نبات.^(١)

ب- تعريف الإخبات في الاصطلاح :

هو أول مقامات الطمأنينة ، وهو: ورود المأمن من الرجوع والتردد.^(٢)
يقول الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - في بيان هذا التعريف : « لما كان
الإخبات أول مقام يتخلص فيه السالك من التردد الذي هو نوع غفلة وإعراض ،
والسالك مسافر إلى ربه ، سائر إليه على مدى أنفاسه ، ولا ينتهي مسيره إليه مادام
نفسه يصحبه ، شبه حصول الإخبات له بالماء العذب الذي يَرِدُّه المسافر على ظمأ
وحاجة في أول مناهله ، فيرويه مورده ، ويزيل عنه خواطر تردده في إتمام سفره ، أو
رجوعه إلى وطنه لمشقة السفر ، فإذا ورد ذلك الماء : زال عنه التردد وخاطر
الرجوع . كذلك السالك إذا ورد مورد الإخبات تخلص من التردد والرجوع ،
ونزل أول منازل الطمأنينة بسفره ، وجدَّ في السير ».^(٣)

(١) انظر: المعجم الوسيط / (ص ٢١٤) .

(٢) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين / (١٦٨/٢) .

(٣) المصدر السابق / (١٦٨/٢ ، ١٦٩) .

ثانياً: صفات المخبطين في سورة الحج:

المخبطون هم المطمئنون بذكر الله ، أو المتواضعون الخاشعون ، فالإخبات من الخبت وهو المطمئن من الأرض.^(١)

وقد أمر الله - سبحانه وتعالى - نبيه الكريم - ﷺ - بتبشير المخبطين في سورة الحج ، كما بين صفاتهم فقال : ﴿...وَبَشِّرِ الْمُخْبِطِينَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٦٩﴾﴾.^(٢)

وقد عرض الإمام الشوكاني^(٣) - رحمه الله - إلى بيان الصفات الأربع للمخبطين فقال: «وصف - سبحانه - هؤلاء المخبطين بقوله ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ...﴾ أي : خافت وحذرت مخالفته ، وحصول الوجل منهم عند الذكر له - سبحانه - دليل على كمال يقينهم وقوة إيمانهم ، ووصفهم بالصبر ﴿...عَلَى مَا أَصَابَهُمْ...﴾ من البلايا والحن في طاعة الله ، ثم وصفهم بإقامة ﴿...الصَّلَاةِ...﴾ أي : الإتيان بها في أوقاتها على وجه الكمال ، ثم وصفهم - سبحانه - بقوله ﴿...وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ أي : يتصدقون به وينفقونه في وجوه البر ، ويضعونه في مواضع الخير». ^(٤)

وسأبين هذه الصفات الأربع فيما يلي .

أ (الوجل :

أولاً: تعريف الوجل :

أ - تعريف الوجل في اللغة :

الوجل مصدر وجل يوجل وجلاً بالفتح : الفرع والخوف.^(٥)

(١) انظر: تفسير التفسير (المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل) / (١٠٢/٣).

(٢) سورة الحج ، الآيتان (٣٤ ، ٣٥) .

(٣) تقدمت ترجمته في (٧٣) من هذه الرسالة.

(٤) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير / (٣/ ٦٤٧ ، ٦٤٨) .

(٥) انظر : لسان العرب / (١١/ ٧٢٢) .

ب- تعريف الوجل في الاصطلاح :

هو: «رجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه، وعقوبته، أو لرؤيته»^(١).
وجعل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - الوجل بمعنى الخوف^(٢).
ومما يدل على ذلك أن عائشة - رضي الله عنها - قالت : «سألتُ رسول الله - ﷺ - عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ...﴾»^(٣) قالت عائشة: «أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ » قال : (لا يا بنت الصديق ، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ، وهم يخافون أن لا يقبل منهم ﴿أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾)^(٤) .^(٥)

ثانياً: درجات الخوف من الله :

الخوف من الله على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : الخوف من العقوبة ، وهو الخوف الذي يصح به الإيمان ؛ وهو خوف العامة ، وهو يتولد من تصديق الوعيد وذكر الجناية ، ومراقبة العقابة بحيث لا ينساها .

الدرجة الثانية : خوف المكر في جريان الأنفاس المستغرقة في اليقظة المشوبة بالحلاوة ، فإن من حصلت له اليقظة بلا غفلة ، واستغرقت أنفاسه فيها ، استحلى ذلك ؛ لهذا ينبغي عليه أن يخاف المكر وانقلاب الحال ، وسلب هذه اليقظة .

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين / (٢/ ١٣٨) .

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية / (١٩/٧) .

(٣) سورة المؤمنون ، الآية (٦٠) .

(٤) سورة المؤمنون ، الآية (٦١) .

(٥) أخرجه الإمام الترمذي في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله - ﷺ - ، باب ومن سورة المؤمنين ، ح

(٣١٧٥) ، وقال العلامة المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني عن الحديث : «صحيح» ، انظر: سنن

الترمذي (الجامع الصحيح) / (ص ٧١٤) .

الدرجة الثالثة : وهي درجة الخاصة ، وليس فيها خشية الخوف ؛ وإنما هيبة الجلال ، وذلك لأن وحشة الخوف إنما يكون مع الانقطاع والإساءة ، وأهل الخصوص أهل وصول وقرب من الله ، فليس خوفهم كخوف المسيئين المنقطعين ؛ لأن الله - عز وجل - معهم بصفة الإقبال عليه ، وهذا بخلاف هيبة الجلال ، فإنها متعلقة بذاته وصفاته ، وكلما كان عبده له أعرف وإليه أقرب ، كانت هيبتة وإجلاله في قلبه أعظم .^(١)

ثالثاً: من ثمرات الخوف من الله :

الخوف ليس مقصوداً لذاته ؛ بل مقصودٌ لغيره ؛ وله ثمرات كبرى ، فالخوف الحمود الصادق : ما حال بين صاحبه ومحارم الله ، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط.^(٢)

ومن ثمراته أنه يقمع الشهوات ، ويكدر اللذات ، فتصير المعاصي المحبوبة عند الإنسان مكروهة ، فتحترق الشهوات بالخوف ، وتتأدب الجوارح ، ويذل القلب ويستكين ، ويفارقه الكبر والحقد والحسد ، ويصير مستوعب الهمم لخوفه ، والنظر في خطر عاقبته ، فلا يتفرغ لغيره ، ولا يكون له شغل إلا المراقبة ، والمحاسبة ، والمجاهدة ، فلا شغل له إلا ما وقع فيه من الأعمال ، فقوة المراقبة والمحاسبة بحسب قوة الخوف ، وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله - تعالى - وصفاته ، وبعيوب النفس ، وما بين يديها من الأخطار والأهوال.^(٣)

رابعاً: من صفات الداعي المخبى إلى الله في سورة الحج الخوف من الله:

الخوف من الله هي الصفة الأولى التي يتصف بها المخبون ، قال - تعالى - : ﴿...وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٢١﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ...﴾^(٤)

(١) انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين / (٢ / ١٤١) وما بعدها .

(٢) انظر : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز / (٢ / ٥٧٧) .

(٣) انظر : مختصر منهاج القاصدين / (ص ٣٣٢) .

(٤) سورة الحج ، الآيتان (٣٤ ، ٣٥) .

فالخوف من الله هو حال العارفين بالله ، الخائفين من سطوته وعقوبته ، وذلك لقوة يقينهم ومراعاتهم لربهم وكأنهم بين يديه ، وليس كما يفعله بعض المبتدعة والجهال من الصراخ والعيول ، والزعم أن ذلك من أجل الوجل والخشوع عند ذكر آيات الله !!

ولم يكن هذا هدي رسول الله - ﷺ - ، ومن بعده أصحابه - رضوا عنه - ، وهم أعرف الناس بالله - تعالى - ، وأخوفهم منه وأكثرهم تعظيماً لجلاله ، وإنما كانت حالهم عند المواعظ الفهم عن الله ، والبكاء خوفاً من الله .^(١)

والداعي إلى الله المخبت له يوجل قلبه عند ذكر الله ، فيذكر سلطانه - سبحانه - وتعالى - ، وعظيم شأنه ، ويرتجف ويهتز وجدانه هيبة وإجلالاً لمولاه رب السموات والأرض ، وخوفه من ربه لا يؤدي به إلى القنوط واليأس ، وإنما يدفعه إلى مراقبة حاله ، ومحاسبة نفسه ، وإلى الجد في الدعوة إلى الله ؛ لإنقاذ البشرية من استحقاق عذاب الله .

ب) الصبر :

أولاً: تعريف الصبر :

أ- تعريف الصبر في اللغة :

صَبَرَ يَصْبِرُ ، فهو صَابِرٌ وَصَبِيرٌ وَصَبُورٌ ، وَتَصَبَّرَ وَاصْطَبَرَ وَاصْبَرَ .

وأصل الصبر : الحبس ، وهو نقيض الجزع .^(٢)

» والصبر : التجلد وحسن الاحتمال .

والصبر عن المحبوب : حبس النفس عنه .

والصبر عن المكروه : احتماله دون جزع .^(٣)

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن / (١٢ / ٤٠) .

(٢) انظر : القاموس المحيط / (ص ٤٢١ ، ٤٢٢) .

(٣) المعجم الوسيط / (ص ٥٠٦) .

ب- تعريف الصبر في الاصطلاح :

هو : «حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع ، أو عما يقتضيان حبسها عنه»^(١).

ثانياً: أنواع الصبر :

للصبر ثلاثة أنواع :

١- الصبر على طاعة الله .

٢- الصبر عن معصية الله .

٣- الصبر على أقدار الله .

فالأولان : الصبر على ما يتعلق بالكسب .

والثالث : الصبر على ما لا كسب للعبد فيه.^(٢)

ثالثاً: حاجة الداعية إلى الصبر :

أكثر الناس حاجة للصبر من يحمل رسالة الدعوة إلى الله ، وإلى صراطه المستقيم ، والنصح والإرشاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والاضطرار بمهامها . فالسأم والملل والضجر يجعل الداعية يئس من فائدة قيامه برسالته ، فيكف عن أدائها ، أو يتهاون في القيام بها ، وربما يجد نفسه بعد حين يطول أو يقصر منساقاً مع مؤثرات البيئة التي يعيش فيها ، ومتنازلاً عن بعض مبادئه التي دعا إليها . فالداعية إذا لم يكن حاملاً لرسالته بصورة عملية نشيطة ، صابراً على ما يواجهه من عوائق ، فإنه يتحول تلقائياً إلى مدافع ، ثم إلى مراقب غير مدافع ، ثم إلى متأثر شيئاً فشيئاً ، وقد يصل إلى مسامر متابع ، ومن هنا تظهر حكمة الله العلي الجليل بأمر رسله - عليهم الصلاة والسلام - والدعاة إلى الله ، والآمرين بالمعروف والنهي عن المنكر ، بالصبر في قيامهم بوظائفهم ومهامهم.^(٣)

(١) مفردات ألفاظ القرآن / (ص ٤٧٤) .

(٢) انظر : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز / (٣/ ٣٧٥) .

(٣) انظر : فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر / (١/ ١٢٦) ، تأليف : أ.د. عبد الرحمن بن حسن بن حنكة الميداني .

فالداعي إلى الله يحتاج إلى الصبر في دعوته في ثلاثة أحوال :

- ١- قبل الدعوة بتصحيح النية والإخلاص ، وتجنب دواعي الرياء والسمعة وعقد العزم على الوفاء بالواجب ، وطلب العلم.
- ٢- أثناء الدعوة فيلزم الصبر عن دواعي التقصير والتفريط ، ويلزم الصبر على استصحاب ذكر النية ، وعلى حضور القلب بين يدي الله - تعالى - ، ولا ينساه في أمره .

٣- بعد الدعوة وذلك من وجوه :

- أ- أن يصبر نفسه عن الإتيان بما يبطل عمله ، فليس الشأن الإتيان بالطاعة، وإنما الشأن في حفظها مما يبطلها .
- ب- أن يصبر عن رؤيتها والعُجب بها ، والتكبر والتعظم بها ، فإن هذا أضر عليه من كثير من المعاصي الظاهرة .
- ج- أن يصبر عن نقلها من ديوان السر إلى ديوان العلانية ، فإن العبد يعمل العمل سراً بينه وبين الله - سبحانه - فيكتب في ديوان السر ، فإن تحدث به نقل إلى ديوان العلانية.^(١)

رابعاً: من صفات الداعي المخبت إلى الله في سورة الحج الصبر على البلاء:

- يُن المولى -جل شأنه- في قوله -تعالى- : ﴿...وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ...﴾^(٢) نوع الصبر وأنه صبر على أقدار الله مما يصيب الإنسان من البلاء والمرض والمصائب، ونحو ذلك .
- والابتلاء سنة ماضية ، ويكون بالسراء والضراء ، ولا بد أن يُبتلى الإنسان بما يسره وبما يسوؤه ، فهو محتاج إلى أن يكون صابراً شكوراً في شأنه كله ؛ وذلك لأن

(١) انظر : عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين / (ص ٦٢ ، ٦٣) . للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي الشهير بابن قيم الجوزية ، تحقيق: محمد بن عبد الملك الزغبى.

(٢) سورة الحج ، الآية (٣٥) .

النفس لا تزكو ولا تصلح حتى تُمتحَن بالبلاء كالذهب الذي لا يخلص جوده من رديئه حتى يفتن بالنار.

والناس إذا أرسلت إليهم الرسل بين أمرين ، إما أن يقول أحدهم: آمنا ، وإما أن لا يقول: آمنا ؛ بل يستمر على عمل السيئات ، فمن آمن بالرسول وأطاعهم عادوه وآذوه فابتلى بما يؤله ، وإن لم يؤمن بهم عوقب فحصل ما يؤله أعظم وأدوم ، فلا بد من حصول الألم لكل نفس ، سواء آمنت أم كفرت ، لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداء ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة ، والكافر تحصل له النعمة ابتداء ثم يصير إلى الألم.^(١)

والداعي المخبت إلى الله يتعرض في مسيرته الدعوية لأنواع شتى من البلاء ، وهو أشد الناس حاجة إلى الصبر والثبات ، حتى يتم الله أمره ، ويحقق له هدفه .

وقد ابتلى الله أنبياءه - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - فصبروا ولم يستعجلوا ، فكانت العاقبة أن مكَّن الله لهم في الأرض ، قال - تعالى - : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزِّ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ﴾.^(٢)

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - رحمه الله - : « إن الإنسان إذا ابتلى فعليه أن يصبر ويثبت ولا ينكل حتى يكون من الرجال الموقنين القائمين بالواجبات ، ولا بد في جميع ذلك من الصبر ؛ ولهذا كان الصبر واجباً باتفاق المسلمين على أداء الواجبات ، وترك المحظورات ، ويدخل في ذلك الصبر على المصائب أن يجزع فيها ، والصبر عن اتباع أهواء النفوس فيما نهى الله عنه ».^(٣)

ج (إقامة الصلاة :

الصلاة صلة بالله - تعالى - ، وقرب منه ، وأنس به - سبحانه وتعالى - ، وهي

(١) انظر : الفوائد / (ص ٢٠٨ - ٢١٠) ، للإمام شمس الدين محمد أبي بكر بن قيم الجوزية .

(٢) سورة الأحقاف ، الآية (٣٥) .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية / (١٠ / ٣٨ ، ٣٩) .

مصدر متجدد للطاقة الروحية ، وزاد للنفس ، قد توزعت أوقاتها على الليل والنهار حتى لا يحرم المسلم من الزاد في كل الأحوال والأوقات ، في السلم والحرب ، وفي السفر والإقامة ، في الصحة والمرض ، وهذا من فضل الله على عباده .

ففي الصلاة استرواح وخلوص من مشاغل الحياة وعنائها ، يقف المسلم بين يدي مولاه في خشوع وخضوع ، وركوع وسجود ، يقرأ ويسمع كلام الله ، ويدعوه ، ويستغفره ، وحين يقبل على الصلاة بقلب نقي ونية خالصة يفيض الله عليه من أنواره ، وهدايته ، وسكينته ، ورحمته ، ما يعينه على مجاهدة الحياة بكل اطمئنان واستقرار نفسي ، شاعراً بمعية الله أينما سار ، وحيثما حل ، مطمئناً إلى جنب الله ، متوكلاً عليه ، مفوضاً أمره إليه.^(١)

لهذا كان من أعظم صفات الداعي المحبب إلى الله إقامة الصلاة في وقتها ، وبصفتها ، وأدائها بخشوع واطمئنان ، قال -تعالى- : ﴿...وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ...^(٢)

فإذا كانت صلته بالله قوية ، ومناجاته لربه صادقة ، وصلاته تامة ، كان بلوغ غايته أمراً أكيداً ، فتحقيق الصلاة بشروطها ، وأركانها ، وواجباتها ، يؤدي إلى تحقيق المعنى المراد منها بالعبودية لله وحده لا شريك له -سبحانه- ، وبالبعد عن الفحشاء والمنكر ، قال -تعالى- : ﴿...إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ...﴾^(٣) كما أنها تُعوِّد الداعي إلى الله على الدقة في تنظيم الوقت ، وإتقان العمل ، والمداومة عليه ، والصبر عليه.

وحين يلجأ إليها ينشد العون والخلاص عندما تداهم الخطوب ، يجد فيها راحة النفس ، وسلوة القلب ، وزاداً عظيماً يعين على مشقة السير ، وقد كان رسول الله

(١) انظر: من فقه الدعوة (٢/٥٤).

(٢) سورة الحج ، الآيتان (٣٤ ، ٣٥).

(٣) سورة العنكبوت ، الآية (٤٥).

- ﷺ - يفرع إليها كلما أهمه أمر، وكان - ﷺ - يقول: (قم يا بلال فأرحنا بالصلاة).^(١)

د) الإنفاق من رزق الله :

أولاً: تعريف الإنفاق :

أ- تعريف الإنفاق في اللغة :

الإنفاق مصدر أنفق ينفق إنفاقاً.

ونفق مال الرجل ودرهمه وطعامه نفقاً ونفاقاً ونفق : نقص وقل ، وقيل : فني

وذهب .

ونفق الشيء نفقاً : نفد.^(٢)

والإنفاق هو : بذل المال ونحوه في وجه من الوجوه.^(٣)

ب- تعريف الإنفاق في الاصطلاح :

بذل المال الطيب في الطاعات والمباحات.^(٤)

ثانياً: فضل الإنفاق من رزق الله:

لقد حثت الشريعة الإسلامية على الإنفاق في سبيل الله في جميع وجوهه وطرقه ،

وربت على ذلك الجزاء والأجر والثواب والعقاب ، ومن ذلك:

أ- الترغيب بالإنفاق من رزق الله بوعده المنفقين بحقيقتين من حقائق السنن

الربانية الثابتة التي ذكرها المولى في قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿الشَّيْطَانُ

يَعِدُّكُمْ أَلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُّكُمْ مَغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ

(١) أخرجه الإمام أبو داود في كتاب الأدب ، باب صلاة العتمة ، ح (٤٩٨٦) ، وصححه العلامة المحدث

الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، انظر: سنن أبي داود / (ص ٧٤٧). وسبق الكلام عن إقامة الصلاة عند

الحديث عن الدعوة إلى الله في مجال الشريعة : (ص ٦٣-٦٧).

(٢) انظر : لسان العرب / (١٠ / ٣٥٧ ، ٣٥٨).

(٣) انظر: المعجم الوسيط / (ص ٩٤٢).

(٤) انظر : دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين / (٢ / ٥١٤) ، للشيخ محمد بن علان الصديقي الشافعي

الأشعري المكي .

وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾

وذلك من حيث :

١- إن الله تبارك و-تعالى- وعد المنفقين في سبيله أن يعوض عليهم ،
ويزيدهم من فضله ، فمن شأن الاقتناع بهذه الحقيقة أن يولد في الأنفس
حب البذل والعطاء في سبيل الله ، ومن نظر في سنن الكون رأى ذلك بيناً
واضحاً .

٢- أن الله - تعالى - وعد الذين ينفقون في سبيله أن يغفر لهم ، ويستر
حالمهم ، لو ضَعُفَتْ نفوسهم وسقطوا في بعض المعاصي ، وارتكبوا بعض
الفواحش ، وفي هذا الغفران تطهير وتركية ، وفي ستر حالهم تكريم لهم
عند الحاجة التي تلجئهم إلى المسألة. (٢)

ب- التنفير من التقدير ، والبخل ، وكنز المال خوفاً من زواله ونفاده .

قال -تعالى- : ﴿...وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ يَوْمَ يُجْمَعُ عَلَيْهَا فِي نَارٍ جَهَنَّمَ
فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا
مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿١١﴾ ۝﴾ (٣)

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال : (ما من يوم يصبح العباد
فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول
الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً) . (٤)

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٦٨) .

(٢) انظر : الأخلاق الإسلامية وأسسها / (٢ / ٤٣٠) .

(٣) سورة التوبة ، الآيتان (٣٤ ، ٣٥) .

(٤) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الزكاة ، باب قول الله -تعالى- : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿١﴾ وَصَدَّقَ
بِالْحُسْنَى ﴿٢﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٣﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٤﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٥﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿٦﴾ ۝﴾
[الليل ، الآيات (٥ - ١٠)] ، اللهم أعط منفق مال خلفاً ، ح (١٤٤٢) ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الزكاة ،
باب في المنفق والممسك ، ح (٥٧) . انظر : موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ١١٣ ، ٨٣٧) .

ج- ترتيب الأجر المضاعف إلى أضعاف كثيرة ، جزاء للإنفاق من رزق الله ، وترغيباً بالبذل والعطاء ، قال -تعالى- : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُلْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ ﴾^(١).

ثالثاً: شروط الإنفاق من رزق الله:

الإنفاق من رزق الله يشترط فيه شرطان ، فقد قال -تعالى- : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَتًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ﴾^(٢).

فالأول : أن يكون الإنفاق في سبيل الله خالصاً لوجهه -تعالى- ، لا رياء ولا طمعاً بمغانم ومنافع دنيوية ، ولا يكون في سبيل الله إلا إذا كان موافقاً لشريعة الله لعباده .

الثاني : ألا يتبع المنفق نفقته بالمن والأذى ، ويكون المن بتحدث المعطي بعطائه أمام من أعطاه ، أو أمام غيره من الناس ، إشعاراً بالفضل عليه . أما الأذى في العطاء فله صور كثيرة منها ما يكون بالمن ومنها ما يكون بغيره ، مثل إشعار الآخذ بنزول مكانته ، أو إهائته عند إعطائه ، أو الاستعلاء عليه والاستكبار ، ونحو ذلك ، وهذا كله مما يفسد الإنفاق ويحبط ثوابه.^(٣)

رابعاً: من صفات الداعي المخبث إلى الله في سورة الحج الإنفاق من رزق الله:

الإنفاق من رزق الله - تعالى - هي الصفة الرابعة التي اتصف بها المخبتون إلى الله ويتأكد هذا الأمر في حق الداعي إلى الله ، فهو قدوة للمدعوين في أداء الواجبات من النفقات ، وبذل المستحبات منها .

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٦١) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٦٢) .

(٣) انظر : الأخلاق الإسلامية وأسسها/ (٢/ ٤١٩ ، ٤٢٠) .

فقلوه - تعالى - : ﴿...وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾^(١) ، يشمل جميع أنواع النفقات الواجبة ، كالزكاة والكفارة والنفقة على الزوجات والمماليك والأقارب ، والنفقات المستحبة ، كالصدقة بجميع وجوهها .

وأتى - سبحانه - بـ ﴿...مِمَّا﴾ المفيدة للتبويض ليعلم المرء سهولة ما أمر الله به ورغب فيه ، وأنه جزء يسير مما رزق الله ، وليس للعبد في تحصيله قدرة ، لولا تيسير الله له ، ورزقه إياه.^(٢)

والإنفاق من رزق الله يدعم الروابط الأسرية والاجتماعية بوثاق متين من المحبة والتعاون والتلاحم ، وفيه إحسان للآخرين ، وتحسس لاحتياجاتهم ، وتلمس لهمومهم وأوجاعهم ، وهذا يزيد الداعي إلى الله قرباً من الآخرين ، ورفعاً ومنزلةً في قلوبهم ، مما يؤدي بهم إلى الاستماع إليه ، وقبول كلامه .

كما أن الإنفاق من رزق الله من صفات أهل الكرم ، وأصحاب النفوس العالية ، الذين لا يألون جُهدهم في إنفاق أموالهم في وجوه البر والخير ؛ شكراً لله على نعمه ؛ فإن ذلك كله من الله - جل شأنه - ، وبذله فيما يرضي الله يزيده نماء وبركة ، ويعود على صاحبه بغفران الذنوب ، ومضاعفة الأجور منه - تعالى - .

ومما سبق يتضح أن صفة الإخبات من الصفات الضرورية التي ينبغي للداعي إلى الله أن يتصف بها ، فهي تشتمل على أربع صفات أساسية وهي : الخوف من الله ، والصبر على البلاء ، وإقامة الصلاة ، والإنفاق من رزق الله ، وكلها أمور لا غنى للداعية عنها في شأنه كله .

(١) سورة الحج ، الآية (٣٥) .

(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المثلثان / (ص ٥٣) .

المطلب الخامس : ترك قول الزور .

أولاً تعريف الزور :

أ- تعريف الزور في اللغة :

الزور : الكذب والباطل ، وقيل : شهادة الباطل .
ورجل زورٌ ، وقوم زورٌ ، وكلام مُزَوَّرٌ و مُتَزَوَّرٌ : مموه بكذب .
والتزوير : تزيين الكذب .^(١)

وزور الشيء : أصلحه وقومه ، وأتقنه وحسنه وزينه .

يقال : زور الكلام : زخرفه وموهه .^(٢)

ب- تعريف الزور في الاصطلاح :

الزور هو وصف الشيء على خلاف ما هو به ، وقد يضاف إلى القول فيشمل الكذب والباطل ، وقد يضاف إلى الشهادة فيختص بها .^(٣)
وشهادة الزور هي : « الشهادة بالكذب ليتوصل بها إلى الباطل من إتلاف نفس ، أو أخذ مال ، أو تحليل حرام ، أو تحريم حلال » .^(٤)

ثانياً : حكم قول الزور :

قول الزور من كبائر الذنوب ، فعن عبد الرحمن بن أبي بكرة ،^(٥) عن أبيه^(٦)

(١) انظر : لسان العرب / (٤/ ٣٣٦ ، ٣٣٧) .

(٢) انظر : المعجم الوسيط / (ص ٤٠٦) .

(٣) انظر : فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري / (١٠/ ٤٢٦) .

(٤) المصدر السابق / (١٠/ ٤٢٦) .

(٥) عبد الرحمن بن أبي بكرة نفع بن الحارث الثقفي ، (١٤-٩٦هـ) ، أول مولود ولد في الإسلام بالبصرة ، بصري ، تابعي ، ثقة ، له أحاديث ورواية . انظر : تهذيب التهذيب / (٢/ ٤٩٢ ، ٤٩٣) .

(٦) نفع بن الحارث ، ويقال ابن مسروح ، من فضلاء الصحابة ، سكن البصرة ، وأنجب أولاداً لهم شهرة ، اشتهر بكنيته ، وكان تدلّى إلى النبي ﷺ من حصن الطائف ببكرة فاشتهر بأبي بكرة ، روى عن النبي ﷺ ، وروى عنه أولاده ، توفي بالبصرة سنة خمسين ، وقيل : إحدى وخمسين ، وقيل : اثنين وخمسين .

انظر : الإصابة في تمييز الصحابة / (٦/ ٣٦٩) ، تهذيب التهذيب / (٤/ ٢٣٨ ، ٢٣٩) .

-رضي الله عنهما - قال : « قال رسول الله - ﷺ - : (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟) -ثلاثاً- قلنا : بلى يا رسول الله . قال: (الإشراك بالله وعقوق الوالدين) ، وكان متكئاً فجلس ، فقال : (ألا وقول الزور ، وشهادة الزور ، ألا وقول الزور ، وشهادة الزور) فما زال يقيؤها حتى قلت : لا يسكت»^(١).

قال الإمام ابن دقيق العيد^(٢) -رحمه الله- : « اهتمامه - عليه السلام - بأمر شهادة الزور أو قول الزور: يحتمل أن تكون لأنها أسهل وقوعاً على الناس ، والتهاون بها أكثر ، فمفسدتها أيسر وقوعاً ، ألا ترى أن المذكور معها : هو الإشراك بالله ؟ ولا يقع فيه مسلم ، وعقوق الوالدين : والطبع صارف عنه ، أما قول الزور: فإن الحوامل عليه كثيرة ، كالعداوة وغيرها ، فاحتيج إلى الاهتمام بتعظيمها ، وليس ذلك لعظمها بالنسبة إلى ما ذكر معها»^(٣).

ويدخل في قول الزور شهادة الزور ، قال الإمام أبو بكر الجصاص^(٤) -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى - : ﴿ ... وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾^(٥) : « الزور الكذب ، وذلك عام في سائر وجوه الكذب ، وأعظمها الكفر بالله والكذب على الله - عز وجل - ، وقد دخل فيه شهادة الزور»^(٦).

(١) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأدب ، باب عقوق الوالدين من الكبائر ، ح (٥٩٧٦) ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب الكبائر وأكبرها ، ح (١٤٣). انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة)/ (ص ٥٠٦ ، ٦٩٣).

(٢) محمد بن علي بن وهب بن مطيع ، (٦٢٥-٧٠٢هـ) ، أبو الفتح ، تقي الدين القشيري ، المعروف بابن دقيق العيد ، من أكابر العلماء بالأصول ، قاضٍ ، مجتهد ، ولي قضاء الديار المصرية ، له تصانيف ، منها: « إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام » ، و« تحفة اللبيب في شرح التقريب » . انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب / (٥/٦ ، ٦) الأعلام / (٦/ ٢٨٣).

(٣) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام/ (ص ٦٧٩) ، للحافظ أبي الفتح تقي الدين محمد بن علي بن وهب القشيري ، الشهير بابن دقيق العيد ، تحقيق : أحمد بن محمد شاكر.

(٤) تقدمت ترجمته في (ص ٥٨) من هذه الرسالة.

(٥) سورة الحج ، الآية (٣٠).

(٦) أحكام القرآن / (٥/ ٧٧) ، لحجة الإسلام الإمام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي .

وقد عُذلت شهادة الزور بالشرك بالله، فعن خُرَيم بن فاتك الأسدي^(١) -رضي الله عنه - أن رسول الله -ﷺ - صلى صلاة الصبح فلما انصرف قام قائماً ، فقال: (عُذلت شهادة الزور بالشرك بالله) ثلاث مرات، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾^(٢) ، إلى آخر الآية.^(٣)

وقد ذكر الإمام الذهبي^(٤) - رحمه الله - أن شاهد الزور قد ارتكب عدة عظام :

- ١ - الكذب والافتراء .
- ٢ - أنه ظلم الذي شهد عليه حتى أخذ بشهادته ماله ، أو عرضه ، أو روحه .
- ٣ - أنه ظلم الذي شهد له ، بأن ساق إليه المال الحرام ، فأخذه بشهادته فوجبت له النار .
- ٤ - أنه أباح ما حرم الله - تعالى - وعصمه من المال ، والدم ، والعرض.^(٥)

ثالثاً: من صفات الداعي إلى الله في سورة الحج ترك قول الزور:

قال - تعالى - : ﴿...فَأَجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾^(٦) . في هذه الآية نهي الله - سبحانه وتعالى - عباده عن قول الزور ، لأن أمره عظيم ، وشأنه خطير ، وأثره كبير ، وتركه وتجنبه من أهم الصفات التي ينبغي للداعي إلى الله - خاصة - أن يتصف بها ، لأنه مُبلغ عن الله - تعالى - وعن رسوله -ﷺ - ، وإذا اعتاد الناس منه الكذب فضلاً عن شهادة الزور وقوله ، أدى بهم ذلك إلى تلقي قوله بالشك والريبة والإعراض عموماً ، وبالتشكيك بما يُبلّغه من أصول الإسلام وشرائعه خصوصاً .

(١) تقدمت ترجمته في (ص ٢٨) من هذه الرسالة.

(٢) سورة الحج ، الآية (٣٠) .

(٣) سبق تخريج هذا الحديث في (ص ٢٨) من هذه الرسالة.

(٤) تقدمت ترجمته في (ص ١٠٣) من هذه الرسالة.

(٥) انظر : الكبائر/ (ص ٧٩) .

(٦) سورة الحج ، الآية (٣٠).

وقول الزور سبب لبغض الله - تعالى - للعبد ، وغضبه ونقمته عليه ؛ لارتكابه ما نهى الله عنه ، وإتيانه كبيرة من كبائر الذنوب ، كما أنه يورث العداوة والبغضاء بين الناس ، ويؤدي لخفاء الحقيقة ، وأكل الحقوق بالباطل ، والداعي إلى الله يسعى إلى كشف الحق ، وإقامة العدل ، وذلك لا يكون إلا بمراقبة الله ، وتحري الصدق ، واجتناب قول الزور ، وهذا ما يجب على الداعي إلى الله أن يفعله ، ويدعو الناس إليه .

المطلب السادس : ترك الجدال المذموم .

أولاً: تعريف الجدال :

أ- تعريف الجدال في اللغة :

جَدَلَ الشيء : صلب ، فهو جَدِلٌ ، وجَدَل .
وجَدَلَ جَدَلًا : اشتدت خُصُومَتُهُ ، فهو جَدِلٌ ، ومِجْدَلٌ ، ومِجْدَالٌ .
وجادل الرجل مجادلة وجدالاً : ناقشه وخاصمه .
والجَدَل : طريقة في المناقشة والاستدلال ، صورها الفلاسفة بصور مختلفة .^(١)
وجدله يَجْدِلُهُ وَيَجْدِلُهُ : أحكم قتله .
والجَدَلُ : اللدد في الخصومة والقدرة عليها .^(٢)

ب- تعريف الجدال في الاصطلاح :

هو : « دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة ، أو شبهة ، أو يقصد به تصحيح كلامه ، وهو الخصومة في الحقيقة » .^(٣)

ثانياً: حكم الجدال :

يكون الجدال محموداً إذا كان لإظهار الحق وتقريره ، قال - تعالى - : ﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... ﴾ .^(٤)
ويكون مذموماً إذا كان لنصرة الباطل وإخفاء الحق ، ومنه قول الله - تعالى - :
﴿ ... وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ... ﴾ .^(٥)

(١) انظر : المعجم الوسيط / (ص ١١١) .

(٢) انظر : القاموس المحيط / (ص ٩٧٥ ، ٩٧٦) .

(٣) التعريفات / (ص ٨٨) .

(٤) سورة النحل ، الآية (١٢٥) .

(٥) سورة الكهف ، الآية (٥٦) .

وعدَّ الإمام الذهبي^(١) - رحمه الله - هذا النوع من كبائر الذنوب.^(٢)

ثالثاً: ذم الجدل بالباطل في سورة الحج:

من البواعث للإنسان على الجدل بالباطل اتباعه أهواء نفسه ، وشهواته ، وإرادته تغطية ذلك بحجة كلامية مزورة ، وقد يعلم في داخل نفسه بطلان ما يقول لكنه يكابر ويجادل ، وهذا الباعث قد كشف الله عنه بقوله - تعالى - : ﴿ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۚ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ ﴾^(٣).

أي يريد الإنسان الانطلاق الفاجر الواسع في الشهوات واتباع الأهواء فينكر يوم القيامة وينكر الجزاء، ويجعل الحياة قاصرة على هذه الحياة الدنيا، ويجادل بالباطل.^(٤) وفي سورة الحج جاء ذم الجدل بالباطل في قوله - تعالى - : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ۖ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابٍ أَلْسَعِيرٍ ۖ ﴾^(٥).

فقد ذكر المولى - جل وعلا- في هذه الآية الكريمة أن من الناس من يجادل في الله بغير علم ، ويخاصم في الله بأن ينسب إليه ما لا يليق بجلاله وكماله ، كالذي يدعي له الأولاد والشركاء ، ويقول أن القرآن أساطير الأولين ، وذلك من كفار مكة الذين جادلوا في الله ذلك الجدل الباطل بغير مستند من علم عقلي ولا نقلي ، ومع جدالهم في الله ذلك الجدل الباطل يتبعون كل شيطان عاتٍ طاغٍ من شياطين الإنس والجن ، وقد كتب الله عليه كتابة قدر وقضاء أن من صار ولياً لهذا الشيطان المذكور ، فإنه يضلّه عن طريق الجنة إلى النار الشديدة الوقود.^(٦)

(١) تقدمت ترجمته في (ص ١٠٣) من هذه الرسالة.

(٢) انظر: الكبائر / (ص ١٩١) .

(٣) سورة القيامة ، الآيتان (٥ ، ٦) .

(٤) انظر : الأخلاق الإسلامية وأسسها / (١ / ٣٦٥) .

(٥) سورة الحج ، الآيتان (٣ ، ٤) .

(٦) انظر : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن / (١٥ / ٥) ، للشيخ : محمد الأمين بن محمد المختار الحكي

الشنقيطي .

وتكرر ذم الجدل بالباطل في سورة الحج أيضاً في قوله -تعالى- : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ ۖ ۝٨ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ۖ ۝٩ ۖ ۝١٠ ﴾ .^(١)

قال ابن عطية^(٢) - رحمه الله - : «كرر هذه على وجه التوبيخ ، فكأنه يقول هذه الأمثال في غاية الوضوح والبيان ومن الناس مع ذلك من يجادل» .^(٣)

ويدخل فيما تضمنته هذه الآية والتي قبلها من الوعيد والذم : أهل البدع والضلال ، المعرضين عن الحق المتبعين للباطل ، يتركون ما أنزل الله على رسوله -ﷺ- من الحق المبين ، ويتبعون أقوال رؤساء الضلالة الدعاة إلى البدع والأهواء والآراء ، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .^(٤)

رابعاً : من صفات الداعي إلى الله في سورة الحج ترك الجدل المذهوم :

ينبغي للداعي إلى الله أن يتجنب الجدل والمراء والخصومة في عرض دعوته امتثالاً لقوله -تعالى- : ﴿ وَإِنْ جَدَلْتُمْ مَعَهُ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۖ ۝١٦ ﴾ .^(٥)

ولما جاء عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت : قال رسول الله -ﷺ- : (أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم) .^(٦)

فالجدال المذموم يورث العداوة ، ويؤدي إلى المكابرة والمغالطة والعناد ، وإلى خفاء الحقيقة ، وتشويهها ، وكره الناس لها .

(١) سورة الحج ، الآيتان (٨ ، ٩) .

(٢) تقدمت ترجمته في (ص ٢٣) من هذه الرسالة .

(٣) البحر المحيط / (٦ / ٣٢٩) .

(٤) انظر : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن / (١٦ / ٥) .

(٥) سورة الحج ، الآية (٦٨) .

(٦) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأحكام ، باب الألد الخصم ، وهو الدائم في الخصومة ، لُذُّ أعوجاً ،

ح (٧١٨٨) ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب العلم ، باب في الألد الخصم ، ح (٥) . انظر : موسوعة

الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ٥٩٩ ، ١١٤٢) .

كما أن الجدال المذموم يدل على الأنانية والجهل وضعف العقل ، فإن هدف الجدال كشف الحقيقة ، وإقناع الآخرين بها ، في حين أن الجدال المذموم يقوم على الانتصار للنفس ، والتعصب للرأي سواء أكان على الحق أم الباطل .

والداعي إلى الله من سلاحه لنشر الدعوة إلى الله الجدال بالتي هي أحسن ، وعن طريق الاستدلال المنطقي ، والحوار الهادئ ، يصل إلى الحق بأسلوب واضح .

قال - تعالى - : ﴿ آدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١) .

وقد كان الرسل - عليهم الصلاة والسلام - يجادلون أقوامهم بالتي هي أحسن ، ويجتهدون في تفنيد شبههم ، وإيضاح الحق الذي جاءوا به ، قال - تعالى - : ﴿ قَالُوا يَنْتُحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٢) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ (٣) .

في حين أن الجدال المذموم من صفات رؤوس الكفر والطغيان ، الذين أعماهم الكبر والاستعلاء عن رؤية الحق ، فيلجؤون إلى الجهر بالسوء ، والتعدي والظلم بالجدال بغير علم ، واتباع كل شيطان مريد .

ولشرف ما يدعو إليه الداعي إلى الله ، وعظمته ، ينبغي له أن يتجنب الجدال المذموم ، ويترفع عن البذيء من القول ، ويحرص على الحوار الهادئ ، والجدال المحمود في دعوته .

وهذا تتضح أبرز الأمور التي وردت في سورة الحج مما ينبغي للداعية أن يراعيها في دعوته ؛ وهي تتضمن الإدراك الشامل لمهمته في الدعوة إلى الله ، والإعداد المكثف من أجل القيام بها ، وأهم الصفات التي ينبغي له أن يتحلى بها .

(١) سورة النحل ، الآية (١٢٥) .

(٢) سورة هود ، الآيتان (٣٢ ، ٣٣) .

الفصل الثالث:

المدعو إلى الله في سورة الحج

ويشتمل على بحثين :

المبحث الأول : أصناف المدعوين إلى الله في سورة الحج.

المبحث الثاني : أحوال المدعوين إلى الله في سورة الحج.

المبحث الأول: أصناف المدعوين إلى الله في سورة الحج .

توطئة :

المدعوون إلى الله في سورة الحج ستة أصناف ، وهم:

١ - المؤمنون .

٢ - اليهود .

٣ - الصابئون .

٤ - النصارى .

٥ - المجوس .

٦ - المشركون .

وهؤلاء يجمعهم قول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (١).

وأصل هذا التصنيف يقوم على دياناتهم ومللهم ، فمنهم صنف واحد على الهدى وبقيتهم على الضلالة .

قال قتادة (٢) - رحمه الله - عند تفسير هذه الآية : « الأديان ستة ، فخمسة للشيطان ، ودين لله - عز وجل - » (٣).

(١) سورة الحج ، الآية (١٧) .

(٢) تقدمت ترجمته في (ص ٢٣) من هذه الرسالة .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير سورة الحج ، برقم (١٣٨٠٧) . انظر : تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول

الله - ﷺ - والصحابة والتابعين / (٨ / ٢٤٧٨) .

المطلب الأول : المؤمنون .

أولاً: التعريف بالمؤمنين:

هم المصدقون لمحمد -ﷺ- فيما أخبر ، والمطيعون له فيما أمر ، والمنكفون عما عنه زجر .

وسميت أمة محمد -ﷺ- مؤمنين لكثرة إيمانهم ، وشدة إيقانهم ؛ ولأنهم يؤمنون بجميع الأنبياء الماضين والغيوب الآتية .^(١)

ولفظ المؤمنين يجوز أن يكون مشتركاً بين أهل التقوى والصلاح من جهة ، وبين المسلمين جميعاً من جهة ثانية ، وحمل اللفظ على المسلمين جميعاً يعم المتقين والفاستقين ، فإن اللفظ إذا دار بين الاشتراك والعموم ، وجب حمله على العموم ، الذي يشمل المعاني المشتركة ، ولا يجوز حمله على المشترك الخاص إلا بقريضة توجب ذلك ، كما أن حمل النصوص الشرعية على أهل التقوى والصلاح دون غيرهم من المسلمين أمر متعذر ، لأنه يقتضي دوام البحث عن عدالة المسلمين جميعاً ، وقد قال -تعالى- : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا... ﴾ .^(٢) .^(٣)

ويدخل في هذه الأمة كل من آمن بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد -ﷺ- نبياً ورسولاً .

فإن نبينا محمداً -ﷺ- بُعث للخلق كافة ، وخُتِمت به النبوة والرسالة ، ومن بلغته دعوته فقد قامت عليه الحجة ، ووجب عليه اتباعه .

ثانياً: عقيدة المؤمنين :

هي عقيدة أهل السنة والجماعة وهي : الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ،

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم / (١/٩٠) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٨٦) .

(٣) انظر : فقه الإيمان على منهج السلف الصالح / (ص٣٢) ، للدكتور : وميض بن رمزي بن صديق العمري ، تقديم ومراجعة : أ.د. عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر .

واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره.^(١)

ثالثاً: سمات المؤمنين:

للمؤمنين سمات عديدة ، وقد ورد في سورة الحج أبرزها وأشملها ، وهي:

١- توحيد الله ، وعدم الإشراك به :

إن أبرز سمة للمؤمنين بالله توحيدهم وعدم الإشراك به ، فهو أصل إيمانهم واعتقادهم ، وبدونه لا يكونوا مؤمنين ، قال - تعالى - : ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا

تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٣﴾﴾.

وقال - تعالى - : ﴿حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ

فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ أَلْرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٤﴾﴾.

٢- عبادة الله - سبحانه وتعالى - ، وفعل الخير :

إن التعبد لله - تعالى - بما أمر به من أبرز سمات عبادة المؤمنين ، والحرص على فعل

الخير عموماً من صفاتهم اللازمة التي تنبثق من إيمانهم برهم ، قال - تعالى - : ﴿يَتَأْتِيهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤﴾﴾.

رابعاً: مراتب الإيمان بالله:

للإيمان بالله ثلاث مراتب باعتبار تحقيق ما يقتضيه ، وهذه المراتب هي :

أولاً : مرتبة الظالم لنفسه ، وهو المفرط في فعل بعض الواجبات ، المرتكب لبعض

المحرمات.

ثانياً : مرتبة المقتصد ، وهو المؤدي للواجبات ، التارك للمحرمات ، وقد يترك

المستحبات ويفعل بعض المكروهات.

(١) انظر : عقيدة أهل السنة والجماعة / (ص ٥) ، لفضيلة الشيخ: محمد بن صالح العثيمين.

(٢) سورة الحج ، الآية (٢٦).

(٣) سورة الحج ، الآية (٣١).

(٤) سورة الحج ، الآية (٧٧).

ثالثاً : مرتبة السابق للخيرات ، وهي أعلى المراتب ، وهو الفاعل للواجبات والمستحبات ، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات. ^(١)

قال - تعالى - : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ ^(٢).

خامساً: من آثار الإيمان بالله:

وردت في سورة الحج آثار عظمى للإيمان بالله - سبحانه وتعالى - ، ومن ذلك:

١- جزاؤهم بالجنة ، وهي جزاء المؤمنين بالله ، وفيها من النعيم المقيم والسعادة الحقيقية ما لا يخطر على قلب بشر :

قال - تعالى - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ ^(٣).

وقال - سبحانه - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ ^(٤).

وقال - تعالى - : ﴿ أَلَمْ لِكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ ^(٥).

٢- غفران الذنوب والخطايا ، وحصول الرزق الكريم :

قال - تعالى - : ﴿ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ ^(٦).

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم / (٣/٥١٦)

(٢) سورة فاطر ، الآية (٣٢).

(٣) سورة الحج ، الآية (١٤).

(٤) سورة الحج ، الآية (٢٣).

(٥) سورة الحج ، الآية (٥٦).

(٦) سورة الحج ، الآية (٥٠).

وقال - سبحانه - : ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (١) لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ۞ (١)

٣ - تحقيق الطمأنينة ، والهداية إلى صراط الله المستقيم :

قال - تعالى - : ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢) ۞ (٢)

وقال - تعالى - : ﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾ (٣) ۞ (٣)

٤ - تعظيم حرمة الله وشعائره (٤) :

قال - تعالى - : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ... ﴾ (٥) ۞ (٥)

وقال - سبحانه - : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْبَرِ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (٦) ۞ (٦)

٥ - ولاية الله - سبحانه وتعالى - للمؤمنين :

قال - تعالى - : ﴿ ...وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ (٧) ۞ (٧)

٦ - دفاع الله عن المؤمنين ، ونصرهم على أعدائهم (٨) :

قال - تعالى - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ (٩) ۞ ﴿ أُوذِيَ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (١٠) ۞ الَّذِينَ أُخْرِجُوا

(١) سورة الحج ، الآيتان (٥٨ ، ٥٩) .

(٢) سورة الحج ، الآية (٥٤) .

(٣) سورة الحج ، الآية (٢٤) .

(٤) انظر : (ص ١٣٤-١٣٨) من هذه الرسالة .

(٥) سورة الحج ، الآية (٣٠) .

(٦) سورة الحج ، الآية (٣٢) .

(٧) سورة الحج ، الآية (٧٨) .

(٨) انظر : (ص ١١٩ ، ١٢٠) من هذه الرسالة .

مِنْ دِيرِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ
لَهَدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ
مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١﴾

إلى غير ذلك من الآثار ، فإن في الإيمان بالله حياة الروح والجسد ، وبقدر إيمان
العبد بربه ، وتحقيقه لعبوديته ، يرى آثار ذلك ثماراً طيبة لا ينالها إلا مؤمن ، ولا يحرم
منها إلا مكابر.

(١) سورة الحج، الآيات (٣٨ - ٤٠).

المطلب الثاني: اليهود.

أولاً: التحريف باليهود:

هم أمة موسى - عليه الصلاة والسلام - .

لزمهم هذا الاسم لقول موسى - عليه الصلاة والسلام - : ﴿... إِنَّا هُذَنَّا إِلَيْكَ...﴾^(١) ،
أي رجعنا وتضرعنا.^(٢)

وفي القرآن الكريم ورد تسميتهم ببني إسرائيل ، وإسرائيل هو لقب يعقوب ابن
إسحاق بن إبراهيم - عليهم الصلاة والسلام - وبنوا إسرائيل هم ذريته .
وحيثما يرد تسميتهم باليهود ، والذين هادوا ؛ لأنهم تسموا باليهود في عصورهم
المتأخرة .

فهم بنوا إسرائيل إشارة إلى اسمهم ونسبهم وتاريخهم القديم زمن موسى - عليه
الصلاة والسلام - وبعده بعدة قرون ، وهم اليهود بالإشارة إلى اسمهم المتأخر ، خاصة
بعد ظهور عيسى - عليه الصلاة والسلام - ، وتمييزهم عن أتباعه النصاري .
فاسم اليهود أشمل من بني إسرائيل لأنه يطلق على كل الذين اعتقدوا الديانة اليهودية
من بني إسرائيل أو غيرهم ، في حين أن بني إسرائيل وهم ذرية يعقوب - عليه الصلاة
والسلام - قد يكون منهم اليهودي ، أو النصاري ، أو المسلم ، وسواهم.^(٣)

ثانياً: دين اليهود:

ديانتهم اليهودية ، وهي الديانة التي أنزلها الله - سبحانه وتعالى - على نبيه موسى
- عليه الصلاة والسلام - ، ثم أصابها التحريف والتبديل ، ثم نسخت بدين الإسلام .

(١) سورة الأعراف ، الآية (١٥٦) .

(٢) انظر: الملل والنحل / (١/ ٢١٠) ، للإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني ، تحقيق:
محمد سيد كيلاني .

(٣) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة / (ص ١٨، ١٩) ، تأليف: أ.د. ناصر بن عبد الله الففاري ،
أ.د. ناصر بن عبد الكريم العقل .

أما كتابهم فهو التوراة ، وهو أول كتاب نزل من السماء ، وأنزل على موسى - عليه الصلاة والسلام - أيضاً الألواح على شبه مختصر ما في التوراة .
واليهود تدعي أن الشريعة لا تكون إلا واحدة ، وهي ابتدأت بموسى - عليه الصلاة والسلام - وتمت به .^(١)

ثالثاً : فِرَق اليهود :

افترق اليهود فرقاً كثيرة ، من أشهرها :

١ - الفريسيون :

سميت هذه الفرقة بالفريسيين ؛ أي : المنزلون والمنشقون ، ولا يُعرف بالضبط مَنْ الذي سماهم بهذا الاسم ، ومتى كان ذلك ؟ أما الفريسيون أنفسهم فيطلقون على أفراد جماعتهم اسم [الأحبار] أو [الأخوة في الله] .
تؤمن هذه الفرقة بالبعث ، والملائكة ، واليوم الآخر ، وأكثرهم يعيشون في مظهر الزهد والتصوف ، ويهتمون بالتوراة كثيراً ، كما يهتمون بالتلمود ، ويعتقدون بأن للحاخامات سلطة عليا ، وأنهم معصومون عن الخطأ .^(٢)

٢ - القراؤون :

لما تدهور شأن الفريسيين بظهور فسادهم وابتزازهم لأموال الناس ، ورث القراؤون نفوذهم .
والقراؤون لا يعترفون إلا بالعهد القديم كتاباً مقدساً ، ولا يعترفون بالتلمود ، وهم يقولون بالإجتهد على عكس الفريسيين .^(٣)

(١) انظر: الملل والنحل/ (١/ ٢١٠ ، ٢١١) .

(٢) انظر: اليهودية / (ص ٢٢٧) ، تأليف: د. أحمد شلي ، اليهودية والمسيحية / (ص ١٨٥ - ١٨٩) ، تأليف:

د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، الأديان المعاصرة / (ص ٧٤) ، تأليف: راشد عبدالله الفرحان .

(٣) انظر: اليهودية / (ص ٢٣١ ، ٢٣٢) ، الأديان المعاصرة / (ص ٧٥) .

٣- الصدوقيون :

تؤمن هذه الفرقة بأسفار العهد القديم ، إلا أنها لا ترى القدسية المطلقة للتوراة ، كم أنهم ينكرون التلمود ، وينكرون وجود الملائكة والشياطين ، ولا يؤمنون بالبعث واليوم الآخر ، وينكرون الحساب والجنة والنار ، ويرون أن الدنيا هي دار العمل والجزاء.^(١)

٤- المتعصبون :

تتفق هذه الفرقة مع الفرسيين في أكثر عقائدهم ، لكنهم اتسموا بالعدوانية ، وعدم التسامح ضد المواطنين الذين اتهموا باللا دينية ، أو بقبول الخضوع لغير اليهود ، والموت عنهم أسهل من طاعة غير اليهود ، ولم يعترفوا بأي سلطان عليهم سوى سلطان الله - تعالى - .^(٢)

رابعاً: مصادر اليهود الفكرية :

أهم المصادر التي يضفي اليهود عليها القداسة اليوم ، ويستمدون منها التوجيه ثلاثة مصادر^(٣) :

أولاً : العهد القديم :

يطلق العهد القديم على مجموعة الكتب التي يقدسها اليهود ، ويعتبرونها وحياً سماوياً ، ويراد بكلمة العهد : الميثاق ؛ كأن هذه الكتب تمثل ميثاقاً أخذه الله عليهم ، أما كلمة القديم فهي للتمييز عن العهد الجديد ، وهو التراث المقدس للنصارى من الأناجيل الأربعة وملحقاتها.^(٤)

(١) انظر: اليهودية / (ص ٢٣١، ٢٣٠) ، اليهودية والمسيحية / (ص ١٨٩-١٩٢) .

(٢) انظر: اليهودية / (ص ٢٣٣) .

(٣) انظر : المصدر السابق / (ص ٢٣٧) .

(٤) انظر : العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية / (ص ١٥٤) ، للدكتور : سعد الدين السيد صالح .

وينقسم العهد القديم إلى ثلاثة أقسام :

١- التوراة ، وهي الشريعة المكتوبة ، وتشمل خمسة أسفار :

- سفر التكوين ، ويحتوي على خلق العالم ومراحله ، وتاريخ ظهور الإنسان على الأرض من آدم -عليه الصلاة والسلام- وحواء ثم طوفان نوح -عليه الصلاة والسلام- ، ومن ثم عمارة الأرض من جديد ، كما يشمل ولادة إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- وأحواله .
- سفر الخروج ، وفيه قصة بني إسرائيل في مصر بعد يوسف - عليه الصلاة والسلام- وما حصل لهم من الاضطهاد إلى أن ظهر موسى - عليه الصلاة والسلام- وخرج بهم من مصر .
- سفر اللاويين ، وهو عبارة عن تشريعات وأحكام ووصايا في شأن الزواج والأطعمة المحرمة والندور والأعياد ، ونحو ذلك .
- سفر العدد ، وسمي بذلك لأنه حافل بالعدد والتقسيم لأسباط بني إسرائيل .
- سفر التثنية ، ومعناه الإعادة والتكرار ، وفيه أعيدت الوصايا والتشريعات والكلام عن الأحكام ، ونحو ذلك.^(١)

٢- أسفار الأنبياء ، وهي نوعان :

- أسفار الأنبياء المتقدمين ، وتشمل ستة أسفار.
- أسفار الأنبياء المتأخرين ، وتشمل خمسة عشر سفرًا.

٣- الكتابات ، وهي ثلاثة أنواع:

- الكتب العظيمة ، وتشمل ثلاثة أسفار.
- المجالات الخمس ، وتشمل أربعة أسفار.

(١) انظر : المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم / (ص ١١١) ، د. محمد بن علي البار ، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند / (ص ١٣٤) وما بعدها ، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية / (ص ١٥٦، ١٥٧) ، اليهودية / (ص ٢٣٨) .

● الكتب ، وتشمل ستة أسفار.

ومجموع هذه الأسفار تسعة وثلاثون سفرًا .^(١)

ثانياً : التلمود :

«وهو كتاب تعليم الشرائع ، والعقائد ، والأخلاق اليهودية» .^(٢)

وهو عبارة عن روايات شفوية تناقلها الحاخامات من جيل إلى جيل ، حتى دونت خوفاً عليها من الضياع ، وبضعها اليهود في منزلة التوراة ، بل بعضهم يضع هذه الروايات الشفوية في منزلة أسمى من التوراة .^(٣)

وينقسم التلمود إلى جزئين مهمين :

١- المشناة ، وهو الأصل والمتمن .

٢- جمارا ، وهو شرح المشناة .^(٤)

ثالثاً : بروتوكولات حكماء صهيون:

« وهي المخطط التفصيلي للسيطرة على العالم بواسطة منظمة يهودية سرية بأساليب

متعددة» .^(٥)

فهي محاضر جلسات وقرارات ، أعدت في مؤتمر سري في نهاية القرن التاسع عشر ، هدفها إقامة وحدة عالمية تخضع لسلطان اليهود ، وتديرها حكومة يهودية ، دون الاعتبار للقيم والأخلاق والفضائل في سبيل الوصول إلى هذه الغاية ، كما تحوي خططاً

(١) انظر : المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم / (ص ١٦١) ، اليهودية / (ص ٢٣٨ ، ٢٣٩) .

(٢) العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية / (ص ١٨٥) .

(٣) انظر : اليهودية / (ص ٢٧٠ ، ٢٧١) .

(٤) انظر : التلمود تاريخه وتعاليمه / (ص ١١) لظفر الإسلام خان ، الأسفار المقدسة قبل الإسلام / (ص ٤٢ ، ٤٣) .

للدكتور : صابر طعيمة ، اليهودية / (ص ٢٧٠) .

(٥) العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية / (ص ٢١٠) .

إباحية وفوضوية وإرهابية ، تهدف إلى نشر الفساد والانحلال في البشرية.^(١)

خامساً: من قبائح اليهود :

لليهود قبائح منكورة ، تدل على سوء المعتقد ، وخبث السريرة ، ومن ذلك :

١ - جرأتهم وتطاوهم على الله - سبحانه وتعالى - ومن ذلك :

أ- تشبيههم الخالق بالخلق ، والذي حملهم على هذا شيطان :

• جهلهم بالخالق.

• أرادوا ما يسكن إليه الحس لغلبة الحس عليهم وبُعد العقل عنهم.^(٢)

ب- قولهم : ﴿...إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ...﴾.^(٣)

وقولهم : ﴿...عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ...﴾،^(٤) وقولهم : ﴿...نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ...﴾،^(٥)

وغير ذلك.

٢ - ميلهم للوثنية رغم المعجزات والبراهين والدلائل التي تدل على وحدانية الله ،

فهذه الروح الوثنية جعلتهم لا يراعون حرمة لبي الله موسى - عليه الصلاة

والسلام- ولا لأخيه هارون - عليه الصلاة والسلام- ، إذ انحرفوا إلى عبادة

الأصنام في حياة هذين النبيين الكريمين.^(٦)

٣ - قتلهم الأنبياء بغير حق ، وتطاوهم على الأنبياء بالقذف والافتراء ، ووصمهم

بأبشع التهم.^(٧)

(١) انظر : اليهودية / (ص ٢٧٦).

(٢) انظر: تلبس إبليس / (ص ٦٩، ٧٠)، للحافظ الإمام جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي البغدادي.

(٣) سورة آل عمران ، الآية (١٨١).

(٤) سورة التوبة ، الآية (٣٠).

(٥) سورة المائدة ، الآية (١٨).

(٦) انظر: الميزان في مقارنة الأديان / (ص ٢٤) ، للمستشار : محمد عزت الطهطاوي.

(٧) انظر : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى / (ص ٢٤٨) ، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر

المعروف بابن قيم الجوزية ، خرّج أحاديثه وعلّق عليه: مصطفى أبو النصر الشلي.

٤- كتمان العلم وعدم العمل به ، قال- تعالى - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ
الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ
الْمَلَائِكَةُ ۚ ﴾ ^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « إن كفر اليهود أصله من جهة عدم
العمل بعلمهم ، فهم يعلمون الحق ولا يتبعونه عملاً » ^(٢).

٥- الإفساد في الأرض ، ونشر الفوضى والانحلال ، وإشاعة الفاحشة والرذيلة ،
واتصافهم بعدد لا حصر له من الصفات الذميمة ، والأخلاق الرديئة.
وغير ذلك من الأمور التي توضح خبث اليهود ، وسوء معتقداتهم ، وقبح سيرتهم
من قديم الأزل وحتى يومنا هذا.

(١) سورة البقرة ، الآية (١٥٩).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم / (٦٧/١) ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ،
تحقيق: أ.د. ناصر بن عبد الكريم العقل.

المطلب الثالث: الصابئون.

أولاً: التعريف بالصابئة :

اختلف أهل العلم في تعريف الصابئة ، قال الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - :
« هذه أمة من الأمم الكبار ، وقد اختلف الناس فيهم اختلافاً كثيراً ، بحسب ما وصل إليهم من معرفة دينهم » .^(١)

فأظهر أقوال أهل العلم والباحثين ، من القدماء والمعاصرين أنهم نوعان ؛ لكل نوع تعريف خاص به ، وهما كما يلي:

الأول: الصابئة الحنفاء ، وهم قوم يعبدون الله وحده ولا يشركون به شيئاً ،
ويؤمنون بأن الله محدث لهذا العالم ، ويقرون بمعاد الأبدان .

وهؤلاء يدينون بالتوراة والإنجيل قبل النسخ والتبديل ، والذين كانوا قبل نزول
التوراة والإنجيل كانوا على ملة إبراهيم - عليه السلام - .^(٢)

الثاني: الصابئة المشركون ، وهم قوم يعظمون الكواكب السبعة ، والبروج الإثني
عشر ، ويصورونها في هياكلهم .

ولهذه الكواكب عندهم هياكل مخصوصة ، وهي المتعبدات الكبار ، كالكنائس
للنصارى ، والبيع لليهود ، فلهم هيكل كبير للشمس ، وهيكل للقمر ، وهيكل للزهرة ،
وهيكل للمشتري ، وهيكل للمريخ ، وهيكل لعطارد ، وهيكل لزحل .^(٣)

وقالوا : « إنا نحتاج في معرفة الله - تعالى - ، ومعرفة طاعته وأوامره وأحكامه إلى
متوسط ، لكن ذلك المتوسط يجب أن يكون روحانياً لا جسمانياً ، وذلك لزكاء

(١) إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان / (٢/ ١٨٢) ، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية .

(٢) انظر: الرد على المنطقيين / (ص ٢٨٨، ٢٨٩) ، لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية .

(٣) انظر: إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان / (٢/ ١٨٢، ١٨٣) .

الروحانيات وطهارتها ، وقربها من رب الأرباب ، والجسماني بشر مثلنا : يأكل مما نأكل ، ويشرب مما نشرب ، يماثلنا في المادة والصورة». ^(١)

قال الإمام الشهرستاني ^(٢) - رحمه الله -: « وإنما مدار مذهبهم على التعصب للروحانيين ، كما أن مدار مذهب الخنفاء هو التعصب للبشر الجسمانيين ، والصابئة تدعي أن مذهبها هو الاكتساب ، والخنفاء تدعي أن مذهبها هو الفطرة ، فدعوة الصابئة إلى الاكتساب ، ودعوة الخنفاء إلى الفطرة». ^(٣)

ومما يدل على أن من الصابئة خنفاء ومشركين:

أن الله - جلَّ شأنه - أثنى عليهم في كتابه ، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّةَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ^(٤).

فأثنى على من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً من هذه الملل الأربع : المؤمنين ، واليهود ، والنصارى ، والصابئين ، ولم يذكر المجوس والمشركون فإنه ليس فيهم مؤمن ، فلهذا قال - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّبِيَّةَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ^(٥)، فذكر هذه الملل الست ، وأخبر أنه يفصل بينهم يوم القيامة ، ولم يذكر في الست من كان مؤمناً ، وإنما ذكر ذلك في الأربع فقط. ^(٦)

(١) الملل والنحل / (١/٢٣٠، ٢٣١).

(٢) محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني ، (٤٦٧-٥٤٨ هـ) ، أبو الفتح ، شيخ أهل الكلام والحكمة ، كان كثير المحفوظ ، قوي الفهم ، مليح الوعظ ، من تصانيفه : « نهاية الإقدام في علم الكلام » ، و« الملل والنحل » . انظر: سير أعلام النبلاء / (٢٠٠/٢٨٦-٢٨٨).

(٣) الملل والنحل / (٢/٥).

(٤) سورة البقرة ، الآية (٦٢).

(٥) سورة الحج ، الآية (١٧).

(٦) انظر: الرد على المنطقيين / (ص ٢٨٨).

ثانياً: أصل دين الصابئة :

يزعم الصابئة أنهم يأخذون بمحاسن ديانات العالم ومذاهبهم ، ويخرجون من قبيح ما هم عليه قولاً وعملاً ، ولهذا سمو صابئة ، أي خارجيين ، فقد خرجوا عن تقييدهم بجملة كل دين وتفصيله إلا ما رأوا فيه من الحق ، ومن هنا كانت قريش تسمي النبي -ﷺ- الصابئ ، وأصحابه الصابئة .

ولهذا كان أكثر هذه الأمة من الفلاسفة ، لأن الفلاسفة يأخذون من كل دين - بزعمهم - محاسن ما دلت عليه العقول.^(١)

ثالثاً: من معتقدات وشرائع الصابئة :

أولاً: الصابئة الحنفاء :

هؤلاء متمسكون بالإسلام المشترك ، وهو عبادة الله وحده ، وإيجاب الصدق والعدل ، وتحريم الفواحش والظلم ، ونحو ذلك ، مما اتفقت الرسل - عليهم السلام - على وجوبه وتحريمه ، فإن هذا داخل في الإسلام العام الذي لا يقبل الله ديناً غيره.^(٢)

ثانياً : الصابئة المشركون :

لهؤلاء طوائف مختلفة وعقائد وشرائع متنوعة ، ومن معتقداتهم وشرائعهم :

١- أن للكواكب عندهم عبادات ودعوات مخصوصة يصورونها في تلك الهياكل ، ويتخذون لها أصناماً تحصنها ، ويقربون لها القرابين ، ولها صلوات خمس في اليوم واللييلة.

٢- أنهم يقرون أن للعالم صانعاً فاطراً حكيماً ، مقدساً عن العيوب والنقائص.

٣- أن من هؤلاء من يقرُّ بالنبوة جملة ، ويتوقف في التفصيل ، ومنهم من يقرُّ بها جملة وتفصيلاً ، ومنهم من ينكرها جملةً وتفصيلاً.

٤- أنهم يرون أن الأرواح الخبيثة تصعد إلى الكواكب الثابتة وإلى الضياء ، وأن

(١) انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان / (٢/ ١٨٣، ١٨٤).

(٢) انظر: الرد على المنطقيين / (ص ٤٥٥).

الشريرة تنزل إلى أسفل الأرضين وإلى الظلمة.

٥ - أن منهم من يرى أن هذا العالم لا يفنى ، وأن الثواب والعقاب في التناسخ.^(١)

رابعاً: فرق الصابئة :

للصابئة فرق متعددة ، أبرزها ما يلي:

١ - أصحاب الهياكل :

وهم أصحاب الروحانيات الذين قالوا لا بد للإنسان من متوسط ، ولا بد للمتوسط من أن يُرى فيتوجه إليه ويتقرب به ويستفاد منه ؛ لذا فزعوا إلى الهياكل ، وهي الكواكب السبعة ، فعبدها من دون الله .^(٢)

٢ - أصحاب الأشخاص :

وهم الذين اتخذوا الأصنام أشخاصاً على مثال الهياكل السبعة ، وسموها آلهة ، وحجتهم أن المتوسط لا بد أن يكون موجوداً في كل وقت ، بخلاف السيّارات السبع فإنها لا تظهر في كل وقت ، فهم عبدة الأوثان.^(٣)

٣ - الحلولية :

وهذه الفرقة زعمت أن الإله المعبود واحد في ذاته، وأنه أبدع أجرام الأفلاك ، وجعل الكواكب مدبرات في العالم السفلي.^(٤)

٤ - الصابئة الحرثانية :

وهذه الفرقة انتحلت هذا الاسم خوفاً من قتل المأمون لهم ، وهم في ترعوز،^(٥)

(١) انظر: إغاثة اللفهان من مصاديد الشيطان/ (٢/ ١٨٣، ١٨٤)، تلبس إبليس/ (ص ٧٣، ٧٤).

(٢) انظر: الملل والنحل/ (٢/ ٤٩)، أبكار الأفكار في أصول الدين/ (٢/ ٢٦٥)، للإمام أبي الحسن علي بن محمد الملقب بسيف الدين الآمدي ، تحقيق : أ.د. أحمد محمد المهدي .

(٣) انظر: الملل والنحل/ (٢/ ٥٠)، أبكار الأفكار في أصول الدين/ (٢/ ٢٦٧).

(٤) انظر : أبكار الأفكار في أصول الدين/ (٢/ ٢٦٧).

(٥) ترعوز: قرية مشهورة قرب حرّان من بناء الصابئة ، وكان لهم فيها هيكل باسم كوكب الزهرة ، ومعنى ترعُ عوز بلغة الصابئة : باب الزهرة . انظر : معجم البلدان/ (٢/ ٢٢٢).

وسلمسين،^(١) القريتين المشهورتين العظيمتين بالقرب من حرّان^(٢). ويرى الصابئة الحرثانية أن الصانع المعبود واحد وكثير ، فهو واحد في الذات والأصل والأزل ، وكثير في الأشخاص التي يظهر بها في المديرات السبع ، والأشخاص الأرضية.^(٣)

٥- الصابئة الفلاسفة :

وهم فرقة لا يعتقدون شريعة معينة ، ولا يلتزمون مذهباً معيناً خاصاً ، بل يؤمنون بروحانية الكواكب فقط ، ويأخذون من محاسن ما دلت عليه العقول ، سواء وافق ذلك الأديان أم لم يوافقها.

٦- الصابئة المعتدلون :

وهم الذي يسوون بين الأديان ، يقتبسون الفضائل ، ويلتزمون الحدود ، ويُحرمون المحرمات ، ويؤمنون ببعض بشارات الأنبياء ، ويتشددون كثيراً في الطهارات.

٧- الصابئة المنكرون :

وهم الذين لا يدينون بشيء في هذا الكون ، وإنما يؤمنون بوجود الصانع الحكيم.^(٤)

خامساً: الصابئة في الوقت الحاضر :

الصابئة المندائية هي الصابئة الوحيدة الباقية إلى اليوم والتي تعتبر يحيى - عليه السلام- نبياً لها ، ويقدس أصحابها الكواكب والنجوم ويعظمونها ، ويُعتبر الاتجاه نحو

(١) سَلَمْسَيْن: اسمها سلم سين ، أي : صنم القمر ، وهي قرية قرب حرّان . انظر : معجم البلدان/ (٣/ ٢٤٠).

(٢) حرّان: مدينة قديمة فتحت في أيام عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ، وتقع قرب منابع نهر " البليخ " أحد روافد نهر الفرات في جنوب شرق تركيا على حدود سوريا - وهي حالياً تسمى (أورفة) - ، وهي قصبة الصابئة وموئل دينهم. انظر: معجم البلدان/ (٢/ ٢٣٥) ، دائرة المعارف الإسلامية/ (٧/ ٣٥٤) ، إعداد : مجموعة من المستشرقين ، ترجمة: أحمد الشنتناوي ، وآخرون ، الموسوعة العربية الميسرة/ (ص ٦٩٥) ، إشراف : محمد شفيق غربال.

(٣) انظر: الفهرست / (ص ٤٤٥) ، للإمام محمد بن اسحاق الوراق البغدادي المعروف بابن النديم ، الملل والنحل/ (٢/ ٥٤).

(٤) انظر: تاريخ الصابئة المندائيين / (ص ٣٥) ، تأليف : محمد بن عمر حمادة.

نجم القطب الشمالي والتعميد في الماء الجاري من أهم معالم هذه الديانة، التي يميز أغلب الفقهاء أخذ الجزية من معتنقيها أسوة بأهل الكتاب.

وينتشر الصابئة المندائيون اليوم على الضفاف السفلى من نهري دجلة والفرات في العراق ، كما ينتشرون في إيران على ضفاف الأنهار ، والمدن الساحلية.^(١)

والصابئة المندائيون يعتقدون أنهم يتبعون تعاليم آدم — عليه الصلاة والسلام—، ولديهم كتاب الكنسزا — أي صُحف آدم— ، غير أن تقادم العهد على الرسول الأول للدين ، ونشوء بعض المذاهب الزائفة والأديان الوثنية ، كل هذه أدخلت تعاليم غريبة على الدين ، فجاء يحيى — عليه الصلاة والسلام— ليخلص الدين من هذه المذاهب الدخيلة ، ويكون رسولاً ونبياً خاصاً بهم.^(٢)

كما أنهم الجماعة الدينية الوحيدة التي يحتل لديها التعميد مكانة روحانية وإلهية خاصة ، ويمارس على نطاق واسع ، فإن جميع الشعائر الدينية عندهم تبدأ بمراسم التعميد ، ويتم ذلك على أيدي رجال الدين بدخول المتعمد في الماء الجاري بكامل لباسه ، وترديد ما يقوله رجل الدين الصابئ ؛ لهذا يولون الماء الجاري أهمية كبرى ويتجنبون تلويثه إذ يُعد ذلك من المعاصي.^(٣)

هذا فيما يتعلق بالصنف الثالث من أصناف المدعوين إلى الله في سورة الحج وهم الصابئون.

(١) انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة/ (٢/ ٧٢٤ ، ٧٣٢) ، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني.

(٢) انظر : الصابئون في حاضرم وماضيهم/ (ص ٥٥) ، للسيد عبدالرزاق الحسيني.

(٣) انظر : الصابئة المندائيون/ (ص ٢٤-٢٦) ، تأليف: سليم برنجي ، ترجمة: جابر أحمد.

المطلب الرابع: النصارى.

أولاً: التعريف بالنصارى:

هم أتباع المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته - عليه السلام -^(١).
سموا بالنصارى نسبة إلى بلدة الناصرة في فلسطين ، وهي التي ولد فيها المسيح - عليه الصلاة والسلام - ، أو إشارة إلى نصرهم لعيسى - عليه السلام - ، وتناصرهم فيما بينهم ، وهذا يخص المؤمنين منهم في أول الأمر ، ثم أطلق عليهم كلهم على وجه التغليب.

قال - تعالى - : ﴿... قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ...﴾^(٢).

وفي العصور المتأخرة سُموا بالمسيحيين نسبة إلى المسيح عيسى ابن مريم - عليه السلام - ، وهم يفضلون أن يُسموا بالمسيحيين إمعاناً منهم في الانتساب إلى المسيح وتخلصاً من مقت المسلمين لاسم النصارى الذي جاء ذمه في القرآن الكريم والسنة النبوية.^(٣)

ثانياً: دين النصارى:

ديانتهم النصرانية وهي الدين المنزل من الله - تعالى - على عيسى - عليه السلام - لكنها غيرت وبُدلت وحُرِفَت نصوصها ، وتعددت أناجيلها ، وتحول اتباعها عن التوحيد إلى الشرك ثم تُسَخِتْ بالإسلام ، فأصبحت باطلة لتحريفها ولنسخها كاليهودية.
وتعد النصرانية امتداداً لليهودية لأن عيسى - عليه السلام - أرسل إلى بني إسرائيل مجدداً في شريعة موسى - عليه السلام - ، ومصححاً لما حرفة اليهود منها ، وليحل لهم بعض الطيبات التي حرمت عليهم.

قال - تعالى - عن عيسى - عليه السلام - : ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾^(٤) وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنبَى قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ

(١) انظر: الملل والنحل / (١/ ٢٢٠).

(٢) سورة الصف ، الآية (١٤).

(٣) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة / (ص ٦٤، ٦٥).

مِنَ الظَّالِمِينَ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفَخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ ﴿١٢﴾ (١). (٢)

وكتاب النصارى الإنجيل المنزل على المسيح - عليه السلام-، وهو لا يتضمن أحكاماً ولا يستبطن حلالاً ولا حراماً ، ولكنه رموز وأمثال ، ومواعظ ومزاجر ، وما سواها من الشرائع والأحكام فمحالة على التوراة. (٣)

ثالثاً: أصول عقيدة النصارى:

تقوم عقيدة النصارى اليوم على ثلاثة عناصر ، وبدون الإيمان بها لا يكون المرء نصرانياً ، وهي:

أولاً : التثليث ، بالقول بالوهمية الأب وهو الله -تعالى- ، وألوهية الابن وهو المسيح عيسى-عليه السلام-، وألوهية الروح القدس (٤).

ثانياً : تجسيد الابن وظهوره بظهور البشر ، ليُصلب تكفيراً للخطيئة التي ارتكبتها آدم أبو البشر.

ثالثاً : أن الإله الأب ترك للإله الابن حساب الناس على خطاياهم ، فالإله الابن حينما ظهر بمظهر الإنسان كان أقرب لفهم الإنسان. (٥)

(١) سورة آل عمران ، الآيات (٤٨ - ٥٠).

(٢) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة / (ص ٦٤ ، ٦٥).

(٣) انظر: الملل والنحل / (١/ ٢٠٩).

(٤) الروح القدس عند النصارى هو الذي حلَّ على مريم -عليها السلام- لدى بشارتها بعيسى-عليه السلام-، وعلى المسيح في العماد ، وعلى الرسل بعد صعود المسيح إلى السماء ، وقد اختلفوا في تحديده . انظر: المسيحية / (ص ١٥٦) ، د. أحمد شلبي. وهو في القرآن الكريم جبريل -عليه السلام- ، قال -تعالى-: ﴿... وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ...﴾ [البقرة: ٨٧] ، قال الإمام العلامة ابن كثير -رحمه الله-: « روح القدس هو جبريل -عليه السلام- ». انظر: تفسير القرآن العظيم / (١/ ١٠٦).

(٥) انظر: المسيحية / (ص ١٣١).

رابعاً: أسباب ضلال النصارى:

أسباب ضلال النصارى يعود إلى ثلاثة أمور ، وهي على النحو التالي:

الأول : عدوهم عن الألفاظ الصريحة المحكمة إلى الألفاظ المتشابهة المجملة المنقولة عن الأنبياء - عليهم السلام-، فكلما سمعوا لفظاً لهم فيه شبهة تمسكوا به وحملوه على مذهبهم وإن لم يكن هذا اللفظ دليلاً على ذلك ، والألفاظ الصريحة المخالفة لذلك إما أن يفوضوها ، وإما أن يتأولوها.

الثاني: ظنهم الخوارق آيات وهي من أحوال الشياطين ، مثل إخبار الشياطين للكهان بأمور غائبة ، ولا بد لهم مع ذلك من كذب ، ومثل بعض التصرفات التي تقع من الشياطين.

الثالث: تصديق الأخبار المنقولة إليهم ، وهي كذب.^(١)

خامساً: فرق النصارى:

اختلفت النصارى إلى فرق عديدة ، وكبار فرقهم التي توجد اليوم ثلاث ، وهي:

١- الملكية (الكاثوليك):

من أقوالهم : إن الله ثلاثة أشياء : أب وابن وروح القدس ، كلها لم تزل ، وأن عيسى عليه السلام - إله تام كالله ، وإنسان تام كله ، ليس أحدهما غير الآخر ، وأن الإنسان هو الذي صُلب وقُتل ، وأن الإله منه لم ينله شيء من ذلك ، وأن مريم ولدت الإله والإنسان ، وأمهما معاً شيء واحد ابن الله - تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.^(٢)

وتسمى كنيستهم بالكنيسة الكاثوليكية أو الغربية ؛ وسميت غربية لامتداد نفوذها إلى الغرب في بلاد إيطاليا وبلجيكيا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال ، وإن كان لها أتباع فيما

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح/ (٣١٥/٢) ، لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد ابن عبدالحليم بن تيمية ، تحقيق وتعليق: د. علي بن حسن بن ناصر، د. عبدالعزيز بن إبراهيم العسكر، د. حمدان ابن محمد الحمدان.

(٢) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل/ (١١٠/١) ، (١١١).

عدا ذلك من البلدان.^(١)

٢ - اليعقوبية (الأرثوذكس):

وهم من قال إن المسيح هو الله - تعالى - نفسه ، وأن الله مات وصُلب وقُتل ، وأن العالم بقي ثلاثة أيام بلا مدبر ، والفلك بلا مدبر ، ثم قام ورجع كما كان ، وعنهم أخبر القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ...﴾.^(٢) (٣) وتسمى كنيستهم بالكنيسة الأرثوذكسية أو الشرقية أو اليونانية ؛ لأن أكثر أتباعها من البلاد الشرقية كروسيا والبلقان واليونان ، وكان مقرها الأصلي القسطنطينية.^(٤)

٣ - المعارضون (البروتستانت):

وأصحاب هذه الفرقة يتبعون الإنجيل دون غيره ، ويفهمونه بأنفسهم ، ولا يخضعون لفهم سواهم له ، وهم بهذا الاتجاه يعارضون من يرى أن فهم الإنجيل وفقاً على رجال الكنيسة ، كما ينكرون إعطاء الغفران للناس من الكنيسة ، إلا أنهم لا يختلفون مع الفرق الأخرى في عقيدة التثليث ، وألوهية المسيح وبنوته وصلبه وتكفيره عن خطيئة البشر الأزلية التي ارتكبها آدم - عليه السلام -.

وتسمى كنيستهم بالكنيسة الإنجيلية ، وتنتشر في ألمانيا وإنجلترا والدانمرك وهولندا وسويسرا والنرويج وأمريكا الشمالية.^(٥)

سادساً: من قبائح ضلالات النصارى:

لِلنصارى قبائح وضلالات عظيمة لا يرضى بها عقل ولا معرفة ، ومنها:

١ - تنقص الخالق وسبُّه ، ورميه بالعظائم ، ومن ذلك:

أ- اعتقادهم اتخاذ الله - سبحانه وتعالى - الولد ، قال - تعالى -: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ

(١) انظر: المسيحية/ (ص ٢٣٨).

(٢) سورة المائدة ، الآية (٧٢).

(٣) انظر: الملل والنحل/ (١/ ٢٢٥) ، الفصل في الملل والأهواء والنحل/ (١/ ١١١).

(٤) انظر: المسيحية/ (ص ٢٣٩).

(٥) انظر: المسيحية/ (ص ٢٤١ ، ٢٤٢) ، اليهودية والمسيحية/ (ص ٤٠٧ - ٤١٠).

اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَنِينٌ ﴿١٦﴾. (١)
وهذا شتم لله - تعالى - فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي - ﷺ -
قال : (قال الله : كذّبي ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمي ولم يكن له
ذلك ، فأما تكذيبه إياي فزعم أي لا أقدر أن أعيده كما كان ، وأما شتمه إياي
فقوله : لي ولدٌ ، فسبحاني أن أتخذ صاحبةً أو ولدًا.) (٢)

ب- أنهم نسبوا إليه - سبحانه - الظلم ، حيث زعموا أنه سجن أنبياءه ورسله
وأوليائه في الجحيم ، بسبب خطيئة أبيهم آدم.

ج- أنهم نسبوا إليه - تعالى - السفه ، حيث خلصهم من العذاب بتمكينه أعداءه
من نفسه ، حتى قتلوه ، وصلبوه ، وأراقوا دمه.

د- أنهم نسبوا إليه العجز ، حيث عمّزوه أن يخلصهم من العذاب بغير هذه
الحيلة.

هـ- أنهم نسبوا إليه النقص ، حيث سلّط أعداءه على نفسه وابنه ففعلوا به ما
فعلوا - تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً -.

٢- الغلو في المخلوق ، حيث جعلوه شريك الخالق وجزءاً منه ، وإلهاً آخر معه ،
وأنفوا أن يكون له عبداً.

٣- جمعهم بين الشرك وعيب الإله ، وتنقصه ، وتنقص نبهم ، وعييه ، ومفارقة
دينه بالكلية ، فلم يتمسكوا بشيء مما كان عليه المسيح لا في صلاتهم ولا في
صيامهم ولا في أعيادهم ؛ بل هم في ذلك أتباع كل ناعق ، مستحيون لكل
مبطل ، أدخلوا في الشريعة ما ليس منها ، وتركوا ما أتت به.

(١) سورة البقرة ، الآية (١١٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب قوله - سبحانه - تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ ... ﴾ ،

[سورة البقرة ، الآية : ١١٦] ، ح (٤٤٨٢). انظر : موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ٣٦٨).

٤ - انحراف أئمة دينهم ورهبانهم إلى الحيل والخداع ؛ ليقتنصوا بها عقول العوام ، ويتوصلوا بالتمويه والتلبيس إلى استمالتهم وانقيادهم ، واستدرار أموالهم .

٥ - تعظيم الصليب ، وجعله شعار دينهم ، ولو كان لهذه الأمة أدنى مسكة من عقل ، لكان ينبغي لهم أن ينبذوا الصليب من أجل معبودهم وإلههم حين صُلب عليه ! .

٦ - شدة اختلافهم وفرقتهم وحيرتهم وضلالهم ، فالمتقدمون منهم الذين هم قريبو العهد بالمسيح لا يثبت لهم قدم ، ولا يستقر لهم قول ، فلو سألت أهل البيت الواحد عن دينهم ومعتقدهم في ربهم ونبيلهم لأجابك الرجل بجواب ، وامرأته بجواب ، وابنه بجواب ، والخادم بجواب ، فما ظنك بمن في عصرنا هذا ، وهم نخالة الماضي ، وقد طال عليهم الأمد ، وبَعُدَ عهدهم بالمسيح ودينه؟^(١)

إلى غير ذلك من القبايح والضلالات التي عرف بها النصارى حتى يومنا هذا ، كما أن تحبطهم وعدم ثباتهم على قول واحد في عقيدتهم مما ينبغي للداعي إلى الله أن يحاجهم فيه للدلالة على بطلان عقيدتهم وانحرافها .

(١) انظر : إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان (٢٠٦/٢) وما بعدها .

المطلب الخامس: المجوس.

أولاً: التعريف بالمجوس:

هم أهل دين يثبت إلهين ، إلهاً للخير ، وإلهاً للشر ، ويتشعبون شعباً ترجع إلى هذين الأصلين.^(١)

والمجوسية من أديان الفرس القديمة - إيران حالياً - ، وقد أصبحت من تراث الفرس.^(٢)

ويسمى المجوس الأصل الأول: النور ، والأصل الثاني: الظلمة، وبالفارسية: [يزدان] ، و[أهرمن] ، ومسائلهم كلها تدور على قاعدتين اثنتين:

الأولى: بيان سبب امتزاج النور بالظلمة.

والثانية: بيان سبب خلاص النور من الظلمة ، وجعلوا الامتزاج مبدأ ، والخلاص معاداً.^(٣)

ثانياً: فرق المجوس:

للمجوس فرقتان رئيستان ، وهما كالتالي:

الفرقة الأولى: المجوس الأصليون :

وهؤلاء يعتقدون بأصلين اثنين ، مدبرين يقسمان الخير والشر ، والنفع والضرر ، والصلاح والفساد ، وهما النور والظلمة ، إلا أن النور أزلي قديم ، والظلمة محدثة.^(٤)

ومن طوائف هذه الفرقة :

١ - الكيومرثية :

وهذه الطائفة ترى أن سبب خلق [أهرمن] أن [يزدان] فكر في نفسه أنه لو كان لي منازع فكيف يكون؟ وهذه الفكرة كانت رديئة غير مناسبة لطبيعة النور فحدث الظلام

(١) انظر: التحرير والتنوير/ (١٦/ ٢٢٣).

(٢) انظر: وجاء دور المجوس / (ص ٣٠ ، ٣١) ، تأليف : عبدالله محمد الغريب.

(٣) انظر: الملل والنحل/ (١/ ٢٣٢).

(٤) انظر : المصدر السابق/ (١/ ٢٣٢، ٢٣٣).

من هذه الفكرة ، وسمي [أهرمن] ، وكان مطبوعاً على الشر والفساد فخرج على النور يغالبه. ^(١)

٢- الزروانية :

هذه الطائفة ترى أن النور أبدع أشخاصاً من نور ، كلها روحانية لكن الشخص الأعظم الذي اسمه [زروان] شك في شيء من الأشياء ، فحدث [أهرمن] الشيطان ، يعني إبليس من ذلك الشك. ^(٢)

٣- الزردشتية :

هذه الطائفة ترى أن الله — تعالى — خالق النور والظلمة ومبدعهما ، وهو واحد لا شريك له ، ولا ضد ، ولا ند ، ولا يجوز أن يُنسب إليه وجود الظلمة ، كما قالت الزروانية ، وأن النور والظلمة أصلان متضادان وهما مبدأ موجودات العالم ، وحصلت التراكيب من امتزاجهما. ^(٣)

الفرقة الثانية : الشنوية :

وهذه الفرقة تعتقد بالاثنتين الأزلين ، يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان ، بخلاف المجوس التي كانت ترى حدوث الظلام ، وأزلية النور. ^(٤)
ومن طوائف هذه الفرقة:

١- المانوية :

ترى هذه الطائفة أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين ، أحدهما نور والآخر

(١) انظر : الملل والنحل / (٢٣٣/١) ، التحرير والتنوير / (٢٢٣/١٦) ، تلييس إبليس / (ص ٧٤) ، الداعي إلى الإسلام / (ص ٢٧١) ، للإمام أبي البركات عبدالرحمن بن محمد الأنباري النحوي ، تحقيق: سيد حسين باغجوان.

(٢) انظر : الملل والنحل / (٢٣٤/١) ، أبكار الأفكار في أصول الدين / (٢٧٩/٢).

(٣) انظر : وجاء دور المجوس / (ص ٢١ ، ٢٢) ، الملل والنحل / (٢٣٦/١) ، (٢٣٧).

(٤) انظر : الملل والنحل / (٢٤٤/١).

ظلمة ، وأنها أزيلان لم يزالا ، ولن يزالا ، وأنكروا وجود شيء إلا من أصل قديم ، ثم اختلفوا في المزاج وسببه ، والخلاص وسببه.^(١)

٢- المزكية:

قول هذه الطائفة كقول كثير من المانوية في الكونين والأصلين ، إلا أنهم يقولون : أن النور يفعل بالقصد والاختيار ، وهو عالم حساس ، والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق ، وهو جاهل أعمى ، وأن المزاج والخلاص كان على الاتفاق والخبط ، لا بالقصد والاختيار .

ومن مذهبهم النهي عن المخالفة ، والمباغضة ، والقتال ، وإباحة النساء ، والأموال ، وجعل الناس شركاء فيهما ، كاشتراكهم في الماء والنار والكلاء.^(٢)

٣- الديصانية:

تعتقد هذه الطائفة بأصلين : نوراً وظلاماً ، فالنور يفعل الخير قصداً واختياراً ، والظلام يفعل الشر طبعاً واضطراراً ، واختلفوا في المزاج والخلاص.^(٣)

٤- المرقيونية :

تستتر هذه الطائفة بالنصرانية ، وترى أن أصل العالم ثلاثة: نور ، وظلمة ، وأصل ثالث ، معدل بينهما لتضادهما ؛ فإن المتنافرين المتضادين لا يمتزجان إلا بجامع ، وذكروا أن الجامع دون النور في المرتبة ، وفوق الظلمة ، وحصل من هذا الاجتماع والامتزاج هذا العالم .^(٤)

(١) انظر: الملل والنحل / (٢٤٤/١) ، أبحاث الأفكار في أصول الدين / (٢٧٦/٢) ، وجاء دور المحوس / (ص ٢٥ ، ٢٦) . وللاستزادة انظر: الفهرست / (ص ٤٥٦) وما بعدها .

(٢) انظر: الملل والنحل / (٢٤٩/١) ، أبحاث الأفكار في أصول الدين / (٢٧٧/٢) .

(٣) انظر: الملل والنحل / (٢٥٠/١) ، أبحاث الأفكار في أصول الدين / (٢٧٧/٢) .

(٤) انظر: الداعي إلى الإسلام / (ص ٢٢٢) ، الملل والنحل / (٢٥٢/١) ، أبحاث الأفكار في أصول الدين / (٢٧٧/٢) ، الفهرست / (ص ٤٧٤ ، ٤٧٥) .

٥ - الكينوية:

هذه الطائفة ترى أن أصول العالم ثلاثة: النار ، والأرض ، والماء ، ومنها حدثت الموجودات ، وهؤلاء يتعصبون للنار ، ويرونها بطبعها خيرة ، والماء ضدها ، والأرض متوسطة.^(١)

ومنهم الصيامية وهم قوم أمسكوا عن طيبات الرزق ، وتجردوا لعبادة الله ، وتوجهوا في عباداتهم إلى النيران ، تعظيماً لها ، وأمسكوا عن النكاح والذبائح. ومنهم -أيضاً- التناسخية وهم من يرى تناسخ الأرواح في الأجساد ، والانتقال من شخص إلى شخص ، وما يلقاه الإنسان من راحة ، وتعب ، ودعة ، ونصب ، فمرتب على ما أسلفه من قبل ، وهو في بدن شخص آخر جزاء على ذلك.^(٢)

ثالثاً: ذم معتقدات المجوس:

مما سبق تتضح معتقدات ومذاهب المجوس والتي هي غاية في السخف والسماجة ، يُفني أهلها أعمارهم فيها بلا دليل عقلي ولا شرعي ، وهي تؤدي بهم إلى الهلاك والخسران في الدنيا والآخرة .

يقول الإمام العلامة ابن قيم الجوزية -رحمه الله-: « ولولا أن الله -سبحانه- يحكي عن المشركين والكفار أقوالاً أسخف من هذا وأبطل لاستحى العاقل من حكاية مثل هذا ، ولكن الله -سبحانه- سنّ لنا حكاية أقوال أعدائه ، وفي ذلك من قوة الإيمان وظهور جلالته ومعرفة قدره وتمام نعمة الله -تعالى- على أهله به ، ومعرفة قدر خذلانه للعبد ، وإلى أي شيء يصيره الخذلان حتى يصير ضحكة لكل عاقل ، فأبي ضلال وأي خذلان أعجب من أن يُفني عمره في النظر والبحث وهذا غاية علمه بالله -عز وجل- وبالمبدأ والمعاد !!».^(٣)

(١) انظر: أبيكار الأفكار في أصول الدين/ (٢/ ٢٧٨).

(٢) انظر : الملل والنحل/ (١/ ٢٥٣).

(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان/ (٢/ ١٧٩).

وقال الإمام الحافظ ابن الجوزي^(١) - رحمه الله - : «وهذه الخرافات لولا التفرج فيما صنعه إبليس بالعقول ما كان لذكرها فائدة ولا معنى». ^(٢)

أما معرفة هذه المعتقدات للداعية فإنها من فقهه لواقعه ، من وجهين رئيسين :
الأول : أنها تساعد على تصور أسس الانحراف الفكري والعقدي عند المدعوين على اختلافهم ، للوقاية من وقوعه ، أو القضاء على بواذره عند ظهوره.
الثاني : أنها تعرفه بواقع المدعوين من حوله ، فتبين له عقيدة وطريقة تفكير المدعو ، ومن ثم تساعد على اختيار السبل المناسبة لدعوته.

(١) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ، جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي ، الإمام العلامة ، الحافظ المفسر ، ولد سنة تسع ، أو عشر وخمس مئة ، كان رأساً في الوعظ ، والتفسير ، والتاريخ ، ذا تفنن وفهم وذكاء وحفظ واستحضار ، وإكباب على الجمع والتصنيف ، من مصنفاته : «الوجوه والنظائر» ، و«تذكرة الأريب» ، و«صيد الخاطر» ، توفي سنة سبع وتسعين وخمس مئة . انظر : سير أعلام النبلاء / (٢١) / ٣٦٥ - (٣٨٤).

(٢) تلبس إبليس / (ص ٧٦).

المطلب السادس: المشركون.

أولاً: التعريف بالمشركين:

المشركون قوم اعتقدوا وجود شريك لله - تعالى - في الإلهية ، يعبدونه كما يعبدون الله - سبحانه وتعالى - .^(١)

وهم عبدة الأصنام والأوثان ، يعظمونها ويتقربون إليها ، ويصرفون أوجهها من العبادة لها من دون الله ، ولا يرضون عنها بديلاً.

ثانياً: الإشراف بالله من أعظم الفتن:

أكثر أهل الأرض مفتونون بعبادة الأصنام والأوثان ، ولم يتخلص من عبادتها إلا الحنفاء ، أتباع ملة إمام الحنفاء إبراهيم - عليه السلام - الذي قال - تعالى - على لسانه : ﴿...وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ إِلَّاصْنَامًا﴾^(٢).

فالإشراف بالله من أعظم الفتن ، فمن أجل هذه الأصنام والأوثان بذل المشركون نفوسهم وأموالهم وأبناءهم دونها ، وهم يشاهدون مصارع إخوانهم وما حل بهم ، فلا يزيدهم ذلك إلا حُباً لها وتعظيماً لها ، بل ويوصي بعضهم بعضاً بالصبر عليها ، وتحمل أنواع المكاره في نصرتها ، وعبادتها ، وهم يسمعون أخبار الأمم التي فتننت بعبادتها ، وما حل بهم من عاجل العقوبات ، فلا يثنيهم ذلك عنها.

ومن أجل ذلك أباح الله - عز وجل - لرسوله - ﷺ - وأتباعه من الحنفاء دماء هؤلاء وأموالهم ونساءهم وأبنائهم ، وأمرهم بتطهير الأرض منهم حيث وجدوا ، وذمهم بسائر أنواع الذم ، وتوعدهم بأعظم العقوبة ، فهؤلاء في شق ورسل الله - تعالى - كلهم في شق آخر.^(٣)

(١) انظر : تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد/ (ص ٢٨)، للشيخ : سليمان بن عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب.

(٢) سورة إبراهيم ، الآية (٣٥).

(٣) انظر : إغاثة اللهفان من مصاديد الشيطان/ (٢/ ١٦٣، ١٦٤).

وهذا البلاء والضنك والضييق ، لا يزيدهم إلا حرصاً عليها وتقرباً لها ، وهذا من أعظم تلاعب الشيطان وكيد بهم ، فإنهم بهذه العبادة لا ينالون نفعاً ولا ضرراً ، بل ضللاً وهلاكاً ، قال -تعالى- : ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾^(١).

ثالثاً: أصل الإشراك بالله :

للإشراك بالله أصلان رئيسان ، وهما :

١- تعظيم الموتى وقبور الصالحين :

ومن ذلك حدث أول شرك في البشرية ، وهو شرك قوم نوح ، قال -تعالى- : ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾^(٢). فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنهما : «أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تُعبد ، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عُبدت»^(٣). وتعظيم الموتى وقبور الصالحين من الغلو في المخلوق ، وإعطاؤه فوق منزلته ، حتى يجعل لهم حظاً من الإلهية ، بتشبيهه بالله -سبحانه- وإن لم يُشَبَّه به من كل وجه.

٢- عبادة الكواكب :

كان المشركون يصنعون للأصنام طلاسماً للكواكب من مادة تناسب ما يرونه من طبيعة ذلك الكوكب ، ويتحرون الوقت المناسب لصنعة ذلك الطلسم ، ثم يتكلمون عليه بالشرك والكفر ، ثم تأتي الشياطين وتدخل في الأصنام وتخطبهم منها ، وتخبرهم ببعض الغيبات وتدلهم على بعض ما يخفى عليهم ، وهم لا يشاهدون الشياطين ،

(١) سورة الحج ، الآية (١٢).

(٢) سورة نوح ، الآية (٢٣).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في كتاب التفسير ، باب ﴿...وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ ،

برقم (٤٩٢٠). انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ٤٢٣).

فجهلهم يجعلهم يظنون أن الصنم نفسه هو المتكلم المخاطب ، فإذا سمع الخطاب من الصنم اتخذته إلهاً ، ولا يسأل عما وراء ذلك.^(١)

رابعاً: من آثار الإشراف بالله:

للإشراف بالله آثار عظيمة على المشركين ، ورد في سورة الحج بعضها ، فمن ذلك:

١ - مجازاتهم بنار جهنم يوم القيامة :

وهذا من أعظم الآثار التي يتركها الإشراف بالله - تعالى - ، فإن الشرك لا يغفره الله إلا بالتوبة منه ، وهو ذنب يستوجب عقاب فاعله.

قال - سبحانه وتعالى -: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۖ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ۚ وَلَهُمْ مَقْلِعٌ مِّنْ حَدِيدٍ ۖ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝﴾^(٢).

وكان أبو ذر^(٣) - رضي الله عنه - يقسم قسماً أنها نزلت في الذين بارزوا يوم بدر ؛ من المسلمين : علي ، وحمة ، وعبدة بن الحارث^(٤) - رضي الله عنه - ، ومن المشركين : عتبة^(٥)

(١) انظر: الرد على المنطقيين / (ص ٢٨٥ ، ٢٨٦) ، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان / (١٦١/٢) وما بعدها.

(٢) سورة الحج ، الآيات (١٩ - ٢٢).

(٣) جندب بن جنادة بن سكن ، أبو ذر الغفاري ، من السابقين إلى الإسلام ، روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، مضت بدر وأحد ولم تنهياً له الهجرة إلا بعد ذلك ، زاهد عالم ، توفي بالربذة سنة إحدى وثلاثين ، وقيل في التي بعدها ، وعليه الأكثر. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة / (١٠٩-١٠٥/٧).

(٤) عبدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف القرشي ، أسلم قديماً ، وكان مع النبي - صلى الله عليه وسلم - بمكة ، ثم هاجر ، وشهد بدرأ ، وبارز فيها شيبه بن ربيعة ، فضرب شيبه عبدة على ساقه ، فحمل حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - على شيبه فقتلاه ، واحتملا عبدة ، فمات بعد ذلك بالصفراء . انظر: الإصابة في تمييز الصحابة / (٣٥٣ ، ٣٥٢/٤).

(٥) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، أبو الوليد ، كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية ، كان موصوفاً بالرأي والحلم والفضل ، وخطيباً ، نافذ القول ، انقضت حرب الفجار على يديه ، قتله حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - يوم بدر . انظر: نسب قريش / (ص ١٥٢) ، لأبي عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري ، عناية وتصحيح وتعليق : أ. ليفي بروفنسال ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب / (٢٤١/١) ، للسيد محمود شكري الألوسي البغدادي ، عناية وضبط وتصحيح : محمد بهجة الأثري ، الأعلام / (٢٠٠/٤).

وشيبة^(١) ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة^(٢) .^(٣)

وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَذَابُ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَتَّبِعُ الْمَصِيرُ ﴾^(٤) .

٢- تعجيل العقاب والعذاب في الدنيا :

قال - تعالى - : ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ ﴿ فَكَأَيِّنْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْعَثُ الْمُعْتَلَّةَ وَفَصَّرَ مُشِيدٍ ﴾^(٥) .

ورغم ما هم عليه من قبيح العمل نجدهم يستعجلون العذاب ، قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ ﴿ وَكَأَيِّنْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴾^(٦) .

(١) شيبه بن ربيعة بن عبد شمس ، من زعماء قريش في الجاهلية ، ممن دأب أن يصد الناس عن النبي - ﷺ - في أيام موسم الحج ، ومن أخرج المسلمين من مكة ، قتله حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - يوم بدر . انظر : نسب قريش / (ص ١٥٢) ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب / (١/ ٢٤١) ، الأعلام / (٣/ ١٨١) .

(٢) الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، من سادات قريش ، قتله علي بن أبي طالب يوم بدر . انظر : المحبر / (ص ١٧٥) ، لأبي جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي ، رواية : أبي سعيد الحسن ابن الحسين السكري ، تصحيح وعناية : د. إيلزة ليختن شتير ، نسب قريش / (ص ١٥٣) .

(٣) أخرجه الإمام مسلم في كتاب التفسير ، باب قوله - تعالى - : ﴿ هَذَا خِطْمَانِ أَخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ... ﴾ ، ح (٣٤) ، وأخرجه الإمام البخاري في كتاب التفسير ، باب قوله : ﴿ هَذَا خِطْمَانِ أَخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ... ﴾ ، ح (٤٧٤٣) ، انظر : موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ١٢٠٢ ، ٣٩٩) .

(٤) سورة الحج ، الآية (٧٢) .

(٥) سورة الحج ، الآيات (٤٢ - ٤٥) .

(٦) سورة الحج ، الآيتان (٤٧ ، ٤٨) .

٣- عمى البصيرة عن رؤية آثار الشرك السيئة:

قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ۖ ﴾^(١)

٤- قسوة القلب ، وحيرته واضطرابه :

قال - تعالى - : ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۖ ﴾^(٢)

قال العلامة ابن كثير^(٣) - رحمه الله - عن القاسية قلوبهم : «هم المشركون»^(٤).

٥- الهلاك ، والتعرض للآفات والبلايا:

قال - تعالى - : ﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ۖ ﴾^(٥)

٦- خذلان الله - سبحانه وتعالى - للمشركين :

قال - تعالى - : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ۖ ﴾^(٦)

فأصنامهم وأوثانهم لن تغني عنهم من الله شيئاً ، ولن تدفع عنهم عذابه وعقابه ، فإن النصر إنما تكون من عند الله وحده لا شريك له .

إلى غير ذلك من الآثار ، فإن الشرك بالله داء عظيم ، وبلاء جسيم ، يعمي بصير العبد عن رؤية الحق وما يؤدي إليه الباطل ، مما يجعله يستمر على ضلاله حتى يأذن الله بهلاكه ، وهو في غفلاته سادر يحسب أنه يحسن صنعا .

ومما سبق تتضح أصناف المدعوين إلى الله في سورة الحج .

(١) سورة الحج ، الآية (٤٦) .

(٢) سورة الحج ، الآية (٥٣) .

(٣) تقدمت ترجمته في (ص ٤٧) من هذه الرسالة .

(٤) تفسير القرآن العظيم / (٣/ ٢١٨) .

(٥) سورة الحج ، الآية (٣١) .

(٦) سورة الحج ، الآية (٧١) .

المبحث الثاني: أحوال المدعوين إلى الله في سورة الحج .

توطئة:

للمدعو إلى الله - تعالى - في سورة الحج ثلاثة أحوال ، ترتبط ارتباطاً مباشراً بحال قلبه عند تعرضه للفتن ، وقد بينها المولى - جل شأنه - في قوله - تعالى - : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٢٥ ﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ٢٦ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٢٧ ﴾ .^(١)

سبب نزول هذه الآيات:

ذكر المفسرون أنها لما نزلت سورة النجم وقرأها رسول الله - ﷺ - حتى بلغ: ﴿ أَقْرَأَيْتُمْ أَزْوَاجَ النَّجْمِ ١ ﴾ ، وَمَنْزُورَ الثَّالِثَةِ الْاُخْرَى ٢ ﴾ ،^(٢) ألقى الشيطان عندها كلمات حين ذكر الله الطواغيت ، فقال : { وَإِنَّ لَهُنَّ الْغُرَانِيقَ الْعُلَى ، وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَهِيَ الَّتِي تُرْتَجَى } ، - وكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته - فوقع هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة ، وتباشروا بها أن محمداً يذكر آلهتهم بخير ، ولما بلغ رسول الله - ﷺ - آخر سورة النجم سجد وسجد معه كل من حضره من مسلم أو مشرك ، وقد فشت هذه الكلمة في الناس حتى بلغت أرض الحبشة ومن بها من المسلمين ، وتحدثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم ، ولما رأى المشركون أن النبي - ﷺ - لا يزال يعيب آلهتهم ، ازدادوا تضيقاً وتنكياً بالمؤمنين ، فأحزن ذلك النبي - ﷺ - ؛ فنزلت الآيات تسلياً له.^(٣)

(١) سورة الحج ، الآيات (٥٢ - ٥٤) .

(٢) سورة النجم ، الآيتان (١٩ ، ٢٠) .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم / (٣ / ٢١٧) .

وقد تعددت روايات المفسرين وتأويلاتهم لهذه القصة ، ومنهم من ذكر أن النبي ﷺ قال هذه الكلمات سهواً وخطأً ، لما كان يتمنى هدايتهم ! وفي هذا القول غلط كبير ، فإن هذه القصة لم يثبت وقوعها من سند صحيح .

قال الإمام العلامة ابن كثير^(١) - رحمه الله - : « قد ذكر كثير من المفسرين هنا قصة الغرائيق ، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ظناً منهم أن مشركي قريش قد أسلموا ، ولكنها من طرق كلها مرسلة ، ولم أرها مسندة من وجه صحيح »^(٢).

كما أن مما يؤيد بطلان نسبة ذلك للنبي ﷺ - ما يأتي :

١ - أن معنى تمسنى : حدث ، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال في قوله - تعالى - : «... إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ...» أي : « إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه ، فيبطل الله ما يلقي الشيطان ، ويحكم آياته »^(٣).

٢ - أن رسول الله ﷺ - معصوم عن الإتيان بمثل ذلك ، قال القاضي عياض^(٤) - رحمه الله - عن رسول الله ﷺ - : « وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم من الإخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به ، لا قصداً ولا عمداً ، ولا سهواً ولا غلطاً »^(٥).

(١) تقدمت ترجمته في (ص ٤٧) من هذه الرسالة.

(٢) تفسير القرآن العظيم / (٣/ ٢١٧).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في أول كتاب التفسير ، سورة الحج . انظر : موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ٣٩٨).

(٤) عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي الأندلسي ، (٤٧٦-٥٤٤هـ) ، أبو الفضل ، استبحر من العلوم وجمع وألف ، وهو من أهل العلم والفن والذكاء والفهم ، ولَّى القضاء وله خمس وثلاثون سنة ، من كتبه : «العقيدة» ، و«جامع التاريخ» . انظر : سير أعلام النبلاء / (٢٠/ ٢١٢-٢١٨).

(٥) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ - / (٢/ ٢٨٥) ، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي ، تحقيق : محمد أمين قره علي ، وآخرون.

فالذي يظهر أن النبي -ﷺ- كان كما أمره ربه يرتل القرآن ترتيباً ، ويفصّل الآي تفصيلاً في قراءته ، فترصد الشيطان لتلك السكّنات ، ودس فيها مما اختلقه من تلك الكلمات ، محاكياً نعمة النبي -ﷺ- بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار ، فظنّوها من قول النبي -ﷺ- وأشاعوها.^(١)

قال الإمام الشوكاني^(٢) - رحمه الله - : « فحاصل معنى الآية: أن الشيطان أوقع في مسامع المشركين ذلك من دون أن يتكلم به رسول الله -ﷺ- ولا جرى على لسانه فتكون هذه الآية تسليّة لرسول الله -ﷺ- أي : لا يُهلّلك ذلك ولا يحزنك ، فقد أصاب مثل هذا من قبلك من المرسلين والأنبياء ». ^(٣)

ففي وقوع هذه الفتنة حكمة إلهية عظيمة ، تُبين أحوال المدعو إلى الله تجاه هذه الفتنة.

يقول الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - : « أخبر الله - سبحانه - أنه جعل ما ألقاه الشيطان في أمانة الرسول محنة واختباراً لعباده ، فافتتن به فريقان ، وهم الذين في قلوبهم مرض ، والقاسية قلوبهم ، وعلم المؤمنون أن القرآن والرسول حق ، وأن إلقاء الشيطان باطل ، فأمنوا بذلك ، وأحبّت له قلوبهم ، فهذه غاية مطلوبة مقصودة بهذا القضاء والقدر ». ^(٤)

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن / (٥٥/١٢).

(٢) تقدمت ترجمته في (ص ٧٣) من هذه الرسالة.

(٣) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير / (٦٦٢/٣).

(٤) الضوء المنير على التفسير / (٢٩١/٤). جمعة: علي الحمد المحمد الصالح من كتب الإمام شمس الدين أبي

عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ، المعروف بابن قيم الجوزية.

المطلب الأول: حال أولي القلوب المريضة.

أولاً: تعريف القلب المريض:

هو القلب الذي حصل له نوع فساد ، فسد به تصوره ، وإرادته .
فساد تصوره بالشبهات التي تعرض له حتى لا يرى الحق ، أو يراه على خلاف ما هو عليه ، وفساد إرادته بحيث يبغيض الحق النافع ، ويحب الباطل الضار.^(١)
قال - تعالى -: ﴿ ... لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ... ﴾.^(٢)
والمرض دون الموت ، والقلب يموت بالجهل المطلق ، ويمرض بنوع من الجهل ، فله موت ومرض ، وحياة وشفاء ، وحياته وموته ومرضه وشفائه أعظم من حياة البدن وموته ومرضه وشفائه ، فهذا مرض القلب إذا وردت عليه شبهة أو شهوة قوّت مرضه ، وإن حصلت له حكمة وموعظة كانت من أسباب صلاحه وشفائه ، فمن في قلبه مرض لا يموت قلبه كموت قلوب الكفار والمنافقين ، وهو أيضاً ليس صحيحاً صالحاً كصلاح قلوب المؤمنين ؛ بل فيه مرض شبه وشهوات.^(٣)

ثانياً: من علامات مرض القلب :

من علامات مرض القلب التردد والشك ، قال - تعالى -: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾.^(٤)

فمريض القلب يقابل الدعوة بالتردد والشك ، لا قبول المطمئن بصدق دعوة الإسلام ، ولا يُعرض عنها إعراضاً تاماً ، ولكنه يضع نفسه في معرض الموازنة بين موروثة القديم ودين الإسلام ، فهو يقبل دعوة الإسلام ، ويدخل في عداد متبعيه ، لكنه

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية / (١٠/٩٣).

(٢) سورة الحج ، الآية (٥٣).

(٣) انظر: المصدر السابق / (١٠/٩٤، ٩٥).

(٤) سورة الحج ، الآية (١١).

يرقب ما ينتابه بعد دخوله هذا الدين ، فإن أصابه خير عَقِبَ ذلك علم أن ما كان عليه سابقاً ليس بحق وأن آلهته لا تقدر على شيء ؛ لأنها لو قدرت لانتقامت منه على نبد عبادتها ، وإن أصابه شر من شرور الدنيا العارضة في الحياة ، والمسببة عن أسباب عادية سخط على الإسلام وانخلع عنه ، وتوهم أن آلهته أصابته بسوء غضباً من مفارقتها عبادتها.^(١)

ثالثاً: سبب مرض القلب:

سبب مرض القلب ضعف الإيمان الموقع في الذنوب والمعاصي ، فالذنوب والمعاصي تصرف القلب عن صحته واستقامته إلى مرضه وانحرافه ، فلا يزال مريضاً معلولاً ، لا ينتفع بالأغذية التي بها حياته وصلاحه ، فإن تأثير الذنوب في القلوب كتأثير الأمراض في الأبدان ، بل الذنوب أمراض القلوب ودأؤها ، ولا دواء إلا تركها ، وقد أجمع السائرون إلى الله على أن القلوب لا تعطى منها حتى تصل إلى مولاها ، ولا تصل إلى مولاها حتى تكون صحيحة سليمة ، ولا يصح لها ذلك إلا بمخالفة هواها ، وترك الذنوب والمعاصي.^(٢)

رابعاً: علاج مرض القلب:

لمرض القلب علاج ناجع يَرُدُّ القلب إلى الصحة والسلامة ، ومن ذلك:

١ - تدبر القرآن الكريم وتلاوته ، فإن القرآن شفاء لما في الصدور ، ومن في قلبه أمراض الشبهات والشهوات ؛ ففيه من البينات ما يزيل الحق من الباطل ، فيزيل أمراض الشبهة المفسدة للعلم والتصور والإدراك ؛ بحيث يرى الأشياء على ما هي عليه ، وفيه من الحكمة والموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب والقصص التي فيها عبرة ما يُوجب صلاح القلب ، فيَرْغَبَ فيما ينفعه ، وَيَرْغَبَ عما يضره ، فيبقى القلب محباً للرشاد مبغضاً للغي ، بعد أن كان

(١) انظر: التحرير والتنوير/ (١٦/ ٢١٠، ٢١١).

(٢) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي/ (ص ١٢٧).

مريداً للغى مبغضاً للرشاد.

٢- الصّدقة ، فإنها لما كانت تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار صار القلب يزكو

بها ، ويطهر من الذنوب والمعاصي.

٣- ترك المعاصي ، فإنها بمنزلة الأخلاط الرديئة في البدن التي تورث المرض.

٤- محاسبة النفس ومخالفتها ، فإن سائر أمراض القلوب إنما تنشأ من جانب

النفس، فالمواد الفاسدة كلها إليها تنصب ، ثم تنبعث منها إلى الأعضاء ،

وأول ما تنال القلب.

٥- محاربة الشيطان ووساوسه ، وردّ كيده والاستعاذة من شره ، فإن كافة

أمراض القلوب وفسادها إنما ينشأ من وسوسته ومكائده ، ففي مراغمته

ومجاهدته دواء عظيم لمرض القلب.^(١)

فيجب على العاقل المبادرة إلى مداواة قلبه ، والحرص على ذلك ، فإن القلب أهم

عضو في الجسد ، وبصلاحه يصلح حال العبد في الدنيا والآخرة .

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية/ (١٠/٩٥ ، ٩٦) ، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان/

(١/٦٠، ٧٢).

المطلب الثاني: حال أولى القلوب القاسية.

أولاً: تعريف القلب القاسي:

هو القلب الذي لا يقبل ما يُث فيه ، ولا ينطبع فيه الحق ، ولا ترتسم فيه العلوم النافعة ، ولا يلين للقيام بالأعمال الصالحة.^(١)

فهذا القلب قاسي حجري يابس لا يلين للحق ولا يدعن له لأنه قلب ميت.
قال الإمام العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي^(٢) - رحمه الله - : «...وَالْقَاسِيَةُ قُلُوبُهُمْ...»^(٣) أي : الغليظة ؛ التي لا يؤثر فيها زجر ولا تذكير ، ولا تفهم عن الله وعن رسوله لقسوتها ، فإذا سمعوا ما ألقاه الشيطان جعلوه حجة لهم على باطلهم ، وجادلوا به وشاقوا الله ورسوله».^(٤)

ثانياً: علامة القلب القاسي:

القلب القاسي هو القلب الميت الذي لا حياة فيه ، فهو لا يعرف ربه ، ولا يعبد به بأمره وما يحبه ويرضاه ، بل هو واقف مع شهواته ولذاته ، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه ، وهو لا يبالي إذا فاز بشهوته ، رضي ربه أم سخط ، فهو متعبد لغير الله : حباً ، وخوفاً ، ورجاءً ، ورضاً ، وسخطاً ، وتعظيماً ، وذلاً ، إن أحب أحب لهواه ، وإن أبغض أبغض لهواه ، وإن أعطى أعطى لهواه ، وإن منَعَ منَعَ لهواه ، فهو آثر عنده وأحب إليه من رضا مولاه ، فالهوى إمامه ، والشهوة قائده ، والجهل سائقه ، والغفلة مركبه ، فهو بالفكر في تحصيل أغراضه الدنيوية مغمور ، وبسكرة الهوى وحب العاجلة مغمور ، يُنادى إلى الله والدار الآخرة من مكان بعيد ، ولا يستجيب للنصح ويتبع كل شيطان مرید ، الدنيا تسخطه وترضيه ، والهوى يُصممه عما سوى الباطل ويُعميه.^(٥)

(١) انظر : الضوء المنير على التفسير / (٢٩١/٤).

(٢) تقدمت ترجمته في (ص ٩٨) من هذه الرسالة.

(٣) سورة الحج ، الآية (٥٣).

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المثان / (ص ٥٤٢).

(٥) انظر : إغاثة اللهفان من مصادب الشيطان / (١٠، ٩/١).

ثالثاً: من آثار القلب القاسي على صاحبه:

للقلب القاسي الميت آثار سيئة على صاحبه ، ومنها ما يلي:

١ - التردد والشك المفضي إلى الهلاك:

قال - تعالى - : ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ۝ ﴾^(١).

فإن المرية والشك يستمران بأولئك القساة أصحاب الشقاق البعيد من القرآن ، هل هو كلام الله؟ هل هو حق؟ هل اتباعه نافع؟ حتى يأتيهم يوم القيامة فجأة ، أو يأتيهم عذاب يوم لا خير فيه لهم ، وعندها لا ينفع العلم ولا الإيمان.^(٢)

٢ - بُغض آيات الله - سبحانه وتعالى - :

قال - تعالى - : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونُ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِّنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشَرٌ مِّنَ الْمَصِيرِ ۝ ﴾^(٣).

فلما كانت قلوبهم قاسية ميتة ظهرت على وجوههم آثار ذلك عند تلاوة آيات الله - سبحانه وتعالى - بغضاً وكراهية للحق .

فالمنكر هو : «المساءة ، والتجهم ، والبسور ، والبطش ، الدال ذلك كله على سوء المعتقد وخبث السريرة ؛ لأن الوجه يظهر فيه الترح والفرح اللذان محلها القلب».^(٤)

٣ - عمى القلب عن رؤية الحق :

قال - سبحانه - : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ۝ ﴾^(٥).

(١) سورة الحج ، الآية (٥٥).

(٢) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير/ (٤٨٩/٣).

(٣) سورة الحج ، الآية (٧٢).

(٤) البحر المحيط / (٣٥٨/٦).

(٥) سورة الحج ، الآية (٤٦).

وهذا حثٌّ من الله - سبحانه وتعالى - لأولي القلوب القاسية على السفر ليروا مصارع من أهلكهم الله بكفرهم ، ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا ، ولكن عمى القلب يحول دون الاعتبار ورؤية الحق ، فإنه إذا أبصر ما في القلب وعمى ما في الرأس لم يضر ذلك الإنسان ، وإن أبصر ما في الرأس وعمى ما في القلب لم ينفعه ذلك ، فإن محل العلم القلب الذي في الصدر.^(١)

٤ - فقد الحياء :

والحياء مشتق من الحياة ، فإن القلب الحي يكون صاحبه حياً فيه حياء يمنعه من القبائح ، فالحي يدفع ما يؤذيه ؛ بخلاف الميت الذي لا حياة فيه ، فإنه يسمى وقحاً ، والوقاحة الصلابة ، وهو اليبس المخالف لرطوبة الحياة ؛ فإذا كان وقحاً يابساً صلب الوجه لم يكن في قلبه حياة توجب حياءه ، وامتناعه من القبح كالأرض اليابسة لا يؤثر فيها وطء الأقدام ، بخلاف الأرض الخضرة.^(٢)

إلى غير ذلك من الآثار السيئة ؛ التي يتركها القلب القاسي على صاحبه ، فتؤدي به إلى الخسران المبين .

(١) انظر: تفسير التفسير (المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل) / (١٠٥/٣).

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية / (١٠/١٠٩، ١١٠).

المطلب الثالث : حال أولي القلوب المخبتة.

أولاً: تعريف القلب المخبت :

هو القلب «الذي جمع الصلابة والصفاء واللين ، فيصير الحق بصفائه ، ويشتد فيه بصلابته ، ويرحم الخلق بلينه».(١)

قال - تعالى - : «وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢﴾».

فأولوا القلوب المخبتة الذين أوتوا العلم ، وهدوا إلى الصراط المستقيم ، هم المؤمنون القانتون الذين يعلمون أن القرآن كتاب محكم الآيات ، بعيد عن الشبهات ، وهو الحق من الله ، لا شك فيه تنزيل من حكيم حميد ، فيؤمنون به إيماناً صادقاً لا شبه فيه ، فتخبت له قلوبهم ، وتخشع ، وتسكن مخلصه مطمئنة.(٣)

ثانياً: علامات القلب المخبت:

بيّن الله - سبحانه وتعالى - حقيقة الإحبات ، ووصف المخبتين في سورة الحج في قوله - تعالى - : «...وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٧﴾».(٤)

قال الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - : « فذكر للمخبتين أربع علامات: وجل قلوبهم عند ذكره ، والوجل خوف مقرون بهيبة ومحبة ، وصبرهم على أقداره ، وإتيانهم بالصلاة قائمة الأركان ظاهراً وباطناً ، وإحسانهم إلى عباده بالإنفاق مما آتاهم ، وهذا إنما يتأتى للقلب المخبت».(٥)

(١) الضوء المنير على التفسير / (٤/ ٢٩٢).

(٢) سورة الحج ، الآية (٥٤).

(٣) انظر : التفسير الواضح / (١٧/ ٦٩).

(٤) سورة الحج ، الآيتان (٣٥، ٣٤).

(٥) الضوء المنير على التفسير / (٤/ ٢٩٤) ، وانظر : (ص ١٣٩ - ١٥١) من هذه الرسالة.

ثالثاً: أثر العلم النافع على القلب :

للعلم النافع أثرٌ عظيم على القلب، وهو عُدّة المؤمن وعتاده عند حدوث الفتن ، يُفَرِّق به بين الحق والباطل ، ويُجَنِّبه ورود مواطن الهلاك.

قال الإمام العلامة ابن كثير^(١) - رحمه الله - عند تفسير قوله - تعالى - : ﴿وَلْيَعْلَمْ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ...﴾^(٢) :

« أي : وليعلم الذين أُوتوا العلم النافع الذي يفرقون به بين الحق والباطل ، والمؤمنون بالله ورسوله أن ما أوحيناه إليك هو الحق من ربك الذي أنزله بعلمه وحفظه ، وحرسه أن يختلط به و غيره ».^(٣)

فصاحب العلم النافع يُفَرِّق بين إلهام المَلَك وإلقاء الشيطان ، من عدة وجوه :

١ - أن ما كان لله موافقاً لمرضاته وما جاء به رسوله - ﷺ - فهو من الملك ، وما كان لغيره غير موافق لمرضاته فهو من إلقاء الشيطان.

٢ - أن ما أثمر إقبالاً على الله ، وإنابة إليه ، وذكراً له ، وهمة صاعدة إليه ، فهو من إلقاء المَلَك ، وما أثمر ضد ذلك فهو من الشيطان.

٣ - أن ما أورث أنساً ونوراً في القلب ، وانشراحاً في الصدر فهو من الملك ، وما أورث ضد ذلك فهو من الشيطان.

٤ - أن ما أورث سَكينة وطمأنينة فهو من المَلَك ، وما أورث قلقاً وانزعاجاً واضطراباً فهو من الشيطان.^(٤)

رابعاً: من آثار القلب المخبت على صاحبه :

للقلب المخبت السليم الصحيح آثار حسنة على صاحبه ، منها ما يلي :

(١) تقدمت ترجمته في (ص ٤٧) من هذه الرسالة.

(٢) سورة الحج ، الآية (٥٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم / (٣/ ٢١٨).

(٤) انظر: الضوء المنير على التفسير / (٤/ ٢٩٦).

١ - تحقيق العبودية لله وحده :

فإن القلب السليم هو الذي سَلِمَ من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه ، ومن كل شبهة تعارض خبره ، فسَلِمَ من عبودية ما سواه ، وسَلِمَ من تحكيم غير رسوله .
فسَلِمَ في محبة الله مع تحكيمه لرسول - ﷺ - في خوفه ورجائه والتوكل عليه ،
والإنابة إليه ، والذل له ، وإيثار مرضاته في كل حال ، والتباعد عن سخطه بكل طريق ، وهذه هي حقيقة العبودية التي لا تصلح إلا لله وحده. ^(١)

٢ - فهم آيات الله - سبحانه وتعالى - :

قال - تعالى - : ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ۝ ﴾ ^(٢) .
وقد وعد الله - سبحانه - أولي القلوب المحبته المؤمنة بالهداية ، في قوله : ﴿ وَلِيَعْلَمَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ
ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ ﴾ ^(٣) .

فكان فهم آيات الله سبباً في نجاحهم من الوقوع في الفتنة .

٣ - إدراك الحق وإيثاره على غيره :

فالقلب الحي المحبته فيه قوتان : قوة العلم والتمييز ، وقوة الإرادة والحب ، وكمال
وصلاحه باستعمالهما بما يعود عليه بصلاحه وسعادته ، فكمالهما باستعمال قوة العلم في
إدراك الحق ومعرفته والتمييز بينه وبين الباطل ، وباستعمال قوة الإرادة والمحبته في طلب
الحق ومحبته وإيثاره على الباطل. ^(٤)

وبذلك يتبين أن أصناف المدعوين إلى الله وأحوالهم من الأمور التي وردت في سورة
الحج ، ومما ينبغي على الداعية أن يحرص على معرفتها ، ومراعاتها في دعوته إلى الله .

(١) انظر : إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان / (١/٨) .

(٢) سورة الحج ، الآية (١٦) .

(٣) سورة الحج ، الآية (٥٤) .

(٤) انظر : إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان / (١/٢٠) .

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

الفصل الرابع:

وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : وسائل الدعوة إلى الله في سورة الحج .

المبحث الثاني : أساليب الدعوة إلى الله في سورة الحج .

المبحث الثالث : مبادئ الدعوة إلى الله في سورة الحج .

الدعوة إلى الله في سورة الحج — (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

المبحث الأول: وسائل الدعوة إلى الله في سورة الحج.

توطئة:

وسائل الدعوة إلى الله من أشرف الوسائل التي أمر الله عباده باتخاذها ؛ لأنها تُبلغ دين الله ، وتُسهل على الداعي دعوة الناس إلى ربهم ، وإلى الإيمان بنبيهم ، وإلى التمسك بدينهم .

والداعي إلى الله مأمور باتخاذ الوسائل المناسبة التي توصله إلى غايته السامية بحسب ما يقتضيه الحال ، وشرف هذه الوسائل وأهميتها منبثق من الغاية التي يسعى الداعي إلى الله إلى تحقيقها من خلالها.

ولكي تؤدي هذه الوسائل وظيفتها ، فإنها لا بد أن تكون مستمدة من كتاب الله - سبحانه وتعالى - وسنة نبيه - ﷺ - فهما الأصل الشرعي في كل ما يحتاجه الداعي إلى الله في دعوته.

وفي سورة الحج جاءت وسائل الدعوة إلى الله - تعالى - على نوعين :
الوسيلة الأولى: وسيلة التبليغ بالقول ، وهي الوسيلة الرئيسة في تبليغ الدعوة إلى الله.
الوسيلة الثانية: وسيلة التبليغ بالعمل ، وبها تتحقق الكثير من أهداف الدعوة إلى الله.

المطلب الأول: وسيلة التبليغ بالقول.

أولاً: تعريف القول :

« هو كل لفظ مُفهمٍ نطق به اللسان ، ويقابله الصمت والسكوت ».^(١)

ثانياً : أهمية وسيلة التبليغ بالقول:

تتضح أهمية وسيلة التبليغ بالقول من وجوه عدة ، وذلك كما يلي:

١- أنها وسيلة أصلية يمتلكها كل إنسان ، إلا من حرم من الكلام بسبب عاهة ونحوها.

٢- أنها وسيلة سهلة ميسرة ، لا تحتاج إلى استعداد خاص وتكلف واضح أو إمكانات معينة ، فرب كلمات قليلة تؤدي ما لا تؤديه أي وسيلة أخرى.

٣- أن التبليغ بالقول هو الوسيلة الأولى التي استخدمها الرسل والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - في دعوتهم إلى أقوامهم ، قال - تعالى - مخاطباً نبيه محمداً ﷺ - : ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾^(٢) ، وقال - تعالى - : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(٣) .^(٤)

٤- أنها وسيلة رئيسة يتفرع عنها العديد من الوسائل الفرعية المهمة والتي تعتمد وترتكز عليها ، كالخطبة والمحاضرة ، ... ونحو ذلك.

٥- أنها وسيلة شاملة للعديد من الأساليب الدعوية المؤثرة كالموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب ، قال - تعالى - : ﴿ وَإِذَا تُلِّقَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قُلْ

(١) المدخل إلى علم الدعوة / (ص ٣١١).

(٢) سورة الحج ، الآية (٤٩).

(٣) سورة إبراهيم ، الآية (٤).

(٤) انظر: المدخل إلى علم الدعوة / (ص ٣١١).

الدعوة إلى الله في سورة الحج — (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

أَفَأَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾^(١)
ومثل المجادلة والتي هي أحسن ، قال -تعالى- : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُم بِلَاتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(٢) ﴿٧٣﴾

وقال -تعالى- : ﴿وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٣) ﴿٧٤﴾

- ٦- أنها وسيلة تناسب أصنافاً شتى من المدعوين ، وتؤثر فيهم تأثيراً إيجابياً كبيراً
على الرغم من اختلاف أحوالهم ، وذلك لما تقدمه من تنوع واسع في المعالجة.
٧- أن وسيلة التبليغ بالقول من الوسائل المهمة في تحقيق أهداف الدعوة على
اختلافها وتنوعها.

ثالثاً : ضوابط وسيلة القول :

لوسيلة القول ضوابط تضبطها حتى تؤدي وظيفتها الدعوية ، وذلك كما يلي :

- ١- أن يكون القول مشروعاً صادقاً ، لا كذب فيه ولا معصية ، ويطابق العمل
ولا يخالفه.

قال -تعالى- : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ
لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾^(٤) ﴿٧٥﴾
وقال -تعالى- : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٥) ﴿٧٦﴾
عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٥) ﴿٧٧﴾

(١) سورة الحج ، الآية (٧٢).

(٢) سورة النحل ، الآية (١٢٥).

(٣) سورة الحج ، الآية (٦٨).

(٤) سورة النحل ، الآية (١١٦).

(٥) سورة الصف ، الآيتان (٢ ، ٣).

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع/ وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

- ٢- أن يكون القول لينا لطيفاً حسناً ، خالياً من الغلظة والشدة.
قال -تعالى- : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ۝ ﴾^(١).
- ٣- أن يكون القول مفيداً ، ولا يكون مجرد ألفاظ وكلمات لا غرض فيها ولا معنى.
٤- أن يكون القول واضحاً بيناً لا غموض فيه ولا إهمام ، مفهوماً عند السامع ؛ لأن الغرض من الكلام إيصال المعاني المطلوبة إلى المدعو.
قال -تعالى- : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِيَ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ﴾^(٢).
- ٥- أن يكون القول بعيداً عن التعكير بالتشديق وتكلف الفصاحة ، واستعمال وحشي اللغة ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم.
فعن عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما- أن رسول الله -ﷺ- قال: (إن الله ييغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة)^(٣).
- ٦- أن يكون الكلام خالياً من الألفاظ المستحدثة التي تحتل حقاً وباطلاً ، وخطأً وصواباً ، حتى لا يعلق المعنى الباطل في ذهن المستمع.
- ٧- أن لا يكون القول مصاغاً في صيغة أمر أو استكبار أو استعلاء على المدعو.
قال -تعالى- : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ... ﴾^(٤).

(١) سورة طه ، الآية (٤٤).

(٢) سورة إبراهيم ، الآية (٤).

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في كتاب الأدب عن رسول الله -ﷺ- ، باب ما جاء في الفصاحة والبيان، ح(٢٨٥٣) ، وأخرجه الإمام أبو داود في كتاب الأدب ، باب ما جاء في المنشد في الكلام، ح(٥٠٠٥) ، وقال الشيخ المحدث العلامة محمد ناصر الدين الألباني عن الحديث: « صحيح » ، انظر: سنن الترمذي (الجامع الصحيح) / (ص٦٣٧) ، سنن أبي داود / (ص٧٤٩).

(٤) سورة آل عمران ، الآية (١٥٩).

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

٨- أن يحتوى القول على فكرة ذات هدف وغاية قريبة من مخيلة الناس ، أو

يشتمل على أمر محبوب لديهم .

كقوله - تعالى - : ﴿... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ

وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ...﴾ . (١) . (٢)

وبمراعاة ضوابط القول يكون لكلام الداعي إلى الله أثره المنشود ، خاصة وأن وسيلة

القول من الوسائل السهلة و الميسرة التي يمتلكها كل داعية في الغالب .

(١) سورة الطلاق ، الآيتان (٢ ، ٣) .

(٢) انظر: أصول الدعوة / (ص ٤٧١) ، الدعوة إلى الله (الرسالة ، الوسيلة ، الهدف) / (ص ٢٦٢) ، تأليف

الدكتور: توفيق الواعي ، المدخل إلى علم الدعوة / (ص ٣١٢) .

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

المطلب الثاني: وسيلة التبليغ بالعمل.

أولاً: تعريف وسيلة التبليغ بالعمل:

هو كل فعل مادي مشروع يؤدي إلى تبليغ الدعوة إلى الله بطريقة عملية تطبيقية.

ثانياً: أهمية وسيلة التبليغ بالعمل:

تتضح أهمية وسيلة تبليغ الدعوة إلى الله بالعمل ، من خلال ما يلي:

١ - أن وسيلة التبليغ بالعمل من وسائل تبليغ الرسل -عليهم الصلاة والسلام-

للدعوة إلى الله ، ومن ذلك الجهاد في سبيل الله ، قال -تعالى- : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن

نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا

أَسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (١).

وقال -تعالى- : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ... ﴾ (٢).

٢ - أنه يترتب على تبليغ الدعوة إلى الله بالعمل الأجر العظيم من الله ، قال

- سبحانه وتعالى - : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّن

ذَكَرٍ أَوْ أُنْشَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي

سَبِيلِي وَقُتِلُوا وَقَتِلُوا لِأَكْفَرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا يُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا

الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ (٣).

٣ - أن وسيلة التبليغ بالعمل تحقق العديد من أهداف الدعوة التي لا يمكن لوسيلة

التبليغ بالقول تحقيقها ، ومن ذلك بناء المساجد والمدارس التي تؤدي إلى تحقيق

الكثير من أهداف الدعوة لأزمان متعددة.

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٤٦).

(٢) سورة الحج ، الآية (٧٨).

(٣) سورة آل عمران ، الآية (١٩٥).

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

ثالثاً : أنواع وسيلة التبليغ بالعمل :

وسيلة تبليغ الدعوة بالعمل من الوسائل الدعوية المهمة ، وقد وجاءت في سورة الحج على نوعين :

النوع الأول : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

قال - سبحانه تعالى - : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ ^(١).

ويكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من وسائل التبليغ بالعمل بأمرين :

أ- فعل المعروف :

الأمر بالمعروف لفظ واسع لا يقتصر على الأمر بالمعروف قولاً ، بل يشمل فعل المعروف عملاً ، فإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باللسان فإنه يدخل في وسيلة التبليغ بالقول ، وإذا كان بالعمل فإنه يدخل في وسيلة التبليغ بالعمل ، ومن ذلك بناء المساجد ، والمدارس ، ودور تحفيظ القرآن الكريم ، ومنه - أيضاً - تعليم المسلمين بعض شعائر دينهم عملياً ، وإقامة النشاطات العلمية العملية ، وزيارة المرضى وقضاء حاجاتهم ، وغير ذلك مما لا يكون إلا بالعمل.

فكل معروف يؤدي إلى تبليغ الدعوة إلى الله بوسائل عملية فهو من وسائل التبليغ بالعمل.

ب- إزالة المنكر :

لكي يكون إزالة المنكر من وسائل التبليغ بالعمل يشترط فيه أن يكون باليد ، وإذا أزيل المنكر باللسان فإن ذلك يكون من وسائل التبليغ بالقول .

فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - ، أن رسول الله - ﷺ - قال : (من رأى منكم منكراً

(١) سورة الحج ، الآية (٤١).

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع/ وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

فليغيره بيده ، فإن لم يستطيع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان^(١).
وذلك مثل كسر الملاهي ، وإراقة الخمر ، وخلع الحرير وخاتم الذهب من الرجل ، وإخراج الغاصب من الدار المغصوبة بالدفع والجبر ، وما يجري مجراه من المعاصي التي لا تزال إلا باليد ، وينبغي أن يُراعى في ذلك أمران:

الأول : أن لا يباشر المحتسب التغيير بيده إلا إذا احتاج إلى ذلك ، فإن أمكن أن يحمل المحتسب عليه إزالة المنكر بنفسه فعل ، فإن الاحتساب باليد يحتاج إلى اجتهاد وحكمة في مراعاة المصلحة والمفسدة ، فإذا كُفي ذلك كان أولى له.

الثاني: أن يقتصر في تغيير المنكر على القدر المحتاج إليه ، فإن زيادة الأذى مستغنى عنها ، فقد يفضي إلى منكر أشد منه^(٢).

النوع الثاني: الجهاد في سبيل الله:

الجهاد في سبيل الله من أعظم وسائل تبليغ الدعوة إلى الله بالعمل ، فالغاية من تعبئة الجيوش وسير الجنود وقاتل الأعداء هي إعلاء كلمة الله ؛ ولهذا قيّد الجهاد بكلمة في سبيل الله ؛ فلاجل عبادة الله وحده تسفك الدماء ، وتؤخذ الأموال ، وتستباح الحرمات ، قال - تعالى - : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ... ﴾^(٣).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه ، وحسابه على الله)^(٤).

يقول الشيخ حسن البنا - رحمه الله - : « فرض الله الجهاد على المسلمين لا أداة للعدوان ولا وسيلة للمطامع الشخصية ، ولكن حماية للدعوة وضماناً للسلام ، وأداء

(١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، وأن الإيمان يزيد وينقص ، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب ، ح (٧٨). انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ٦٨٨).

(٢) انظر : إحياء علوم الدين / (٢/ ٤٠٧) ، وللاستزادة انظر : الدعوة إلى الله (الرسالة ، الوسيلة ، الهدف) / (ص ٣٤٤).

(٣) سورة الحج ، الآية (٧٨).

(٤) سبق تفريغ هذا الحديث في (ص ٦٧) من هذه الرسالة.

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

للمرسلة الكبرى ، التي حمل عبأها المسلمون ، رسالة هداية الناس إلى الحق والعدل .^(١) وحتى تحقق هذه الوسيلة هدفها السامي لا بد أن تتبع وصية رسول الله - ﷺ - في هذا الشأن ، فعن سليمان بن بريدة^(٢) عن أبيه^(٣) - ﷺ - قال : كان رسول الله - ﷺ - إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله - عز وجل - ومن معه من المسلمين خيراً ، ثم قال : (اغزوا باسم الله ، وفي سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا فلا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال - فأيتهن أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ... ، فإن أبوا أن يتحولوا منها ، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ... ، فإن هم أبوا فسلهم الجزية ، فإن هم أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم ، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم...)^(٤).

فوسيلة تبليغ الدعوة إلى الله بالجهاد في سبيله تحقق هدفها بإعلاء كلمة الله بإحدى أمور ثلاثة:

الأمر الأول : قبول الدعوة إلى الله بالدخول في الدين الإسلامي ، وهي الغاية الأساسية للجهاد في سبيل الله.

(١) من فقه الدعوة / (٢/ ٦٤٩).

(٢) سليمان بن بريدة بن الحصيب الأسلمي المروزي ، (١٥-١٠٥هـ) ، أخو عبدالله ، توأمان ، تابعي ثقة ، كان أصح رواية من أخيه وأوثق ، توفي في «فين» قرية من قرى مرو . انظر: تهذيب التهذيب / (٢/ ٨٥) ، (٨٦).

(٣) بريدة بن الحصيب بن عبدالله بن الحارث الأسلمي ، أسلم حين مرَّ به النبي - ﷺ - مهاجراً ، وقيل: أسلم بعد منصرف النبي - ﷺ - من بدر ، غزا مع رسول الله - ﷺ - ست عشرة غزوة ، مناقبه مشهورة ، غزا خراسان في زمن عثمان - ﷺ - ثم تحول إلى مرو فسكنها إلى أن مات في خلافة يزيد بن معاوية سنة ثلاث وستين . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة / (١/ ٤١٨).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب تأمير الإمام الأمراء على البعث ووصيته ، إياهم بآداب الغزو ، وغيرها ، ح (٣) . انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ٩٨٥).

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

الأمر الثاني : دفع الجزية ، وفي دفع الجزية عن ذلة وصغار من الأعداء مقابل حقن دمايتهم وحمايتهم إعلاء للدعوة إلى الله ، واعترافاً بعزة المسلمين ورفعاً شأنهم .
قال - تعالى - : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ .^(١)

الأمر الثالث : القتال لمن أبى الدخول في الإسلام ، وامتنع من دفع الجزية .
فحين يرفض الكافر النور والهدى ، وينفر من الاستجابة لحكم الإسلام بدفع الجزية ، يجب قتاله لكي يكون الدين كله لله ، قال - تعالى - : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ... ﴾ .^(٢)

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - رحمه الله - : « فكل من بلغته دعوة رسول الله ﷺ - إلى دين الله الذي بعثه به فلم يستجب له ، فإنه يجب قتاله » .^(٣)
وبهذا يتضح أن وسيلة تبليغ الدعوة بالقول والعمل عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ، من أبرز وسائل الدعوة إلى الله في سورة الحج .

(١) سورة التوبة ، الآية (٢٩) .

(٢) سورة الأنفال ، الآية (٣٩) .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٢٨/٣٤٩) .

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

المبحث الثاني: أساليب الدعوة إلى الله في سورة الحج .

توطئة:

يحتاج الداعي إلى الله في عرض دعوته إلى أساليب مختلفة ومتنوعة تناسب شتى المدعوين ، وتشمل العديد من الموضوعات الدعوية ، فالأسلوب عبارة عن القالب الذي يُقدم فيه موضوع الدعوة ، وحسن اختياره وعرضه يُسهّم إلى حدٍ كبير في التأثير على المدعو وتقبله ما يدعى له .

وفي القرآن الكريم عرضٌ لكثير من الأساليب الدعوية المؤثرة ، فلا يكاد يخلو نص قرآني من بعضها ، وفي سورة الحج اشتملت الآيات الكريمات على أساليب عدة ، وقد نجد الأسلوبين أو الثلاثة في آية واحدة .

ومن هذه الأساليب أسلوب نداء المدعو ومخاطبته بموضوع الدعوة ، ويتميز هذا الأسلوب بلفت انتباه المدعو لما يقوله الداعي إلى الله .

وكذلك أسلوب الاستفهام ، الذي يخرج عن غرضه الأصلي بطلب المعرفة إلى أغراض أخرى ، تلفت نظر المدعو إلى قضايا مهمة ، وتدعوه إلى تأملها .

وأسلوبا الترغيب والترهيب ، واللدان يدوران حول محوري الخوف والطمع في نفس المدعو .

وأيضاً أسلوب ضرب المثل ، وبه يُقَرَّب الداعي إلى الله القضية المطروحة إلى ذهن المدعو عن طريق التمثيل والتشبيه .

الدعوة إلى الله في سورة الحج — (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

المطلب الأول : أسلوب النداء.

أولاً: تعريف النداء:

أ- تعريف النداء في اللغة:

النداء والنداء: الصوت مثل الدعاء والرغاء ، وقد ناداه ، ونادى به ، وناداه مناداة ونداء ، أي : صاح به .

والنداء ممدود: الدعاء بصوت مرتفع.^(١)

ب- تعريف النداء في الاصطلاح:

هو طلب الإقبال من المخاطب بحرف من حروف النداء المعروفة.^(٢)

ثانياً : أهمية أسلوب النداء:

- ١- أن في النداء إقامة علاقة مع الطرف الآخر ، إما للحوار أو لأغراض أخرى تفهم من سياق الكلام.
- ٢- أن في النداء حثاً على الاهتمام بموضوع الكلام والدعوة للتبصر به ، مما يعطي المضمون قيمة رمية إليها المنادي.
- ٣- أن في النداء توجيه الأنظار للمنادي ، وتركيز الاهتمام حوله.
- ٤- أن فيه ضرباً من الإيجاز ، واختصاراً للكثير من الكلام.
- ٥- أن النداء يشتمل على كثير من التلوين الكلامي ، والالتفاف البليغ مما يُرغَّب في الاستمالة ، ويبعث الاطمئنان في نفس السامع ، ويقوي الحاجة إلى التفكير وتحليل المعنى.^(٣)

(١) انظر : لسان العرب / (٣١٥/١٥).

(٢) من بلاغة القرآن (المعاني ، البيان ، البديع) / (ص ٦٩) ، تأليف: د. محمد بن شعبان علوان ، د. نعمان ابن شعبان علوان .

(٣) انظر : النداء في اللغة والقرآن / (ص ١٦٠) ، للدكتور: أحمد بن محمد فارس.

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

ثالثاً : موضوعات آيات أسلوب النداء في سورة الحج :

ورد أسلوب النداء في سورة الحج في خمس آيات ، جاءت كلها مبدوءة بحرف النداء " يا " ، وموضوعاتها كالتالي :

أولاً : الأمر بتقوى الله - سبحانه وتعالى - :

صُدرت سورة الحج بنداء من أشرف النداءات وأهمها وأعظمها ؛ لأنه نداء إلهي كريم من رب العالمين إلى الناس أجمعين .

ونداء بهذه الأهمية يسترعي الانتباه لمعرفة مضمونه ، يقول الله - تعالى - : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۝ ١ ۝ ﴾ (١)

ففي هذه الآية الكريمة نداء من الله - سبحانه وتعالى - للناس بلزوم التقوى التي هي سبب كل فلاح و نجاة في الدنيا والآخرة ، فتقوى الله - سبحانه وتعالى - تحفظ العبد في شأنه كله ، وتبقيه على الخير والصلاح ، وتكفل له الخلاص من كل ضائقة ، والفرج من كل كربة ، قال - تعالى - : ﴿...وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝ ٢ ۝ ﴾ (٢)

وهذا الفرج ليس مقصوراً على كربات الدنيا ، فهو زاد وفرج لكربات أشد وأعظم وهي كربات يوم القيامة ، لهذا قال - سبحانه - : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ ٣ ۝ ﴾ (٣)

فالتقوى خير زاد لذلك اليوم ، الذي تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت ، ويموج الناس فيه كالسكارى لشدة أهواله ، ومن أجل هذا جاء النداء الإلهي بلزوم التقوى استعداداً له .

(١) سورة الحج ، الآيتان (١ ، ٢) .

(٢) سورة الطلاق ، الآية (٢) .

(٣) سورة الحج ، الآية (١) .

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

فأي نداء ألطف وأرحم من هذا النداء الذي ينادي به الله الناس ويدلهم فيه على سبب نجاحهم وخلاصهم ، إنه نداء من رب رحيم لعباده ؛ لهذا وجب الإصغاء إليه والأخذ به.

ثانياً : الأمر بعبادة الله - سبحانه وتعالى - :

من النداءات الإلهية الكريمة في سورة الحج نداء خاص للمؤمنين ، وهذا النداء جاء شاملاً لخيري الدنيا والآخرة ، يقول الله - تعالى - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٥٦﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٥٧﴾^(١)

فالمولى - جل شأنه - يخص عباده المؤمنين بنداء إلهي عظيم يدعو إلى الأخذ بأسباب الفلاح في الدنيا والآخرة ، وذلك بعبادة الله - سبحانه وتعالى - ، وفعل الخير عامة ، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، والجهاد في سبيل الله والاعتصام بالله وحده دون غيره . والمؤمن بالله ، يرجو الله ، ويسعى لرضاه ، والإصغاء لهذا النداء والعمل به مما يقتضيه إيمانه بمولاه .

ثالثاً : إثبات عجز ما يعبد من دون الله عن الخلق :

تأبى العقول الجاهلة إلا أن تثبت جهلها وضعف عقلها بعبادة ما سوى الله ، في حين أنها ترى عجزها وعدم نفعها وضرها .

والنداء الإلهي من رب العباد يؤكد هذا الأمر في مواضع شتى من القرآن الكريم ، وبأساليب عدة ، وفي سورة الحج جاء التأكيد على عجز هذه الآلهة الباطلة عن الخلق وذلك بنداء الناس أجمعين للاستماع والإصغاء لمثل يضربه الله - سبحانه وتعالى - - يبين

(١) سورة الحج ، الآيتان (٧٧ ، ٧٨) .

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

هذا المعنى ، قال - تعالى - : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الظَّالِمُ وَالتَّمْطَلُّوبُ ﴿٧٣﴾ 》^(١)

فأسلوب النداء في هذه الآية جاء متضمناً لأسلوب ضرب المثل للتأكيد على قضية مهمة ينبغي الانتباه لها ، فإن من أعظم الذنوب وأقبحها مساواة الخالق - جل شأنه - بشريك عاجز لا يملك نفعا ولا ضرا !!

إن استحقاق الله - سبحانه وتعالى - وحده للعبادة ، واستحالة وجود شريك له من القضايا المسلم بها عند أصحاب العقول السليمة ، ولكن الله - سبحانه وتعالى - بكمال لطفه ورحمته ينادي عباده بنداء إلهي يضرب فيه المثل ويخاطب العقل لتقرير هذه الحقيقة ؛ لطفاً بعباده لئلا يزيغوا ويهلكوا بسبب اعتقادات منحرفة ، لا تقوم على أي أساس عقلي أو شرعي .

رابعاً : إثبات عقيدة البعث والنشور :

أسلوب القرآن الكريم في مخاطبة الناس لإقامة حججه وبراهينه لا يختص بفئة من الناس ذات صفات معينة ، ذلك لأنه يخاطب البشرية في عموم أفرادها ، وكل فرد منهم يستطيع أن يأخذ من ذلك الخطاب الموجه بقدر ما أوتي من ذكاء وفطنة ، ومن ذلك قوله - تعالى - : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَقَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يَردُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ ﴿٧٤﴾ 》 ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى

(١) سورة الحج ، الآية (٧٣) .

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع/ وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٢﴾. (١)
فهذه الآيات الكريمات ، تمثل الأسلوب القرآني الواضح ، فهي تقوم على مقدمات صادقة ، ترتب عليها نتائج قطعية ، مع ما تمتاز به من السهولة والوضوح في إدراك ما تضمنته من غير كدٍّ ذهني أو إجهاد فكري ؛ وذلك لبعدها عن أقيسة المناطقة وتعقيدات الفلاسفة.

يقول -تعالى- موجهاً ندائه للذين يتشككون في أمر البعث فيستبعدون وقوعه بعد أن تفرقت الأجسام وتلاشت فذهبت في الأرض وصارت تراباً ، يقول لهؤلاء : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنْ أَلْبَعَثُ...﴾ أي : في شك من قدرتنا على إعادة هذه الأجسام المختلطة بالتراب ، استبعاداً لإمكان ذلك وشكاً في وقوعه ، فانظروا في بدء خلقكم الأول ، فإننا خلقناكم من تراب ، وذلك في ضمن خلق أبيكم آدم - عليه السلام- ، ثم جعلنا خلقكم من بعده من نطفة ماء ، ثم تحولت هذه النطفة إلى علقة أي: دم جامد ، ثم تحولت إلى مضغة لحم ، مخلقة ، أي متبينة الخلق مصورة ، وغير مخلقة لم يبين خلقها وصورتها ، تلك أطوار النطفة التي تمر بها في رحلتها إلى أن تصبح جنيناً يتحرك في ذلك القرار المكين ، ﴿...لِنُبَيِّنَ لَكُمْ...﴾ قدرتنا على الخلق والإعادة ، ﴿...وَنُقْرِئُ فِي الْأَرْحَامِ...﴾ من تلك النطفة بعد تمام الخلق ﴿...مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى...﴾ ، وهو وقت الوضع ﴿...ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً...﴾ أي : أطفالاً تنسمون الحياة ، مزودين بكل ما يلزمكم لمواجهة الحياة الجديدة ، ﴿...ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ...﴾ فتصبحوا أقوياء ، ﴿...وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً...﴾ فمنكم من يتوفى في أجله المعلوم ، ومنكم من يُعَمَّر حتى يبلغ من العمر أرذله تماماً مثل يوم خَلَقَهُ وبروز وجوده لهذه الحياة لا يعلم شيئاً.

فآيات الكريمات تخاطب المُنْكَرَ للبعث ، قائلة له : إن من كانت هذه قدرته في

(١) سورة الحج ، الآيات (٥-٧).

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

خلقتك ، وإنشائك في حياتك الأولى ، وفي أطوارها المتعددة التي مررت بها أيعجزها إحيائك بعد موتك ، وإعادتك بعد فنائك؟

كيف يكون ذلك وهو القادر على كل شيء وهو الخلاق العليم؟^(١)

فلا بد من النظر والتدبر في كيفية خلق الإنسان ، لأن فيه من دلائل القدرة الإلهية العظيمة ما يبهر العقول ، ويملأ القلوب إيماناً وخشوعاً وتبتلاً ، ويجعلها تقترب من ذلك النور الإلهي ، فتري الذي أنشأ وأبدع وخلق الإنسان من هذا الماء الدافق ، يتطور في نشأته وخلقته طوراً بعد طور ، وخلقاً من بعد خلق حتى يستخرجه طفلاً ، ثم ليبلغ أشده ، ثم يعود أدراجه إلى الشيخوخة ، وإلى الوهن والضعف ، ثم إلى حفرة ضيقة لا أنيس فيها ولا صديق ، ثم إلى بعث ونشور، فتمتلئ نفسه بهذه الصور المتلاحقة الباهرة، ويرى البعث والنشور رأي العين ، فيذهب من نفسه كل ريب في البعث والنشور عند رؤيته لبداية الخلق ، فإن الذي أخرجته من ماء دافق هو - سبحانه - على رجعه لقادر.^(٢)

خامساً : الأمر بالدعوة إلى الله:

قال - تعالى - : ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾^(٣).

في هذه الآية الكريمة يأمر المولى - سبحانه وتعالى - نبيه الكريم - ﷺ - باتباع أسلوب النداء في الدعوة إلى الله ، وذلك ببناء الناس وإخبارهم أنه رسول الله إليهم ، ينذرهم من عقابه ، ويبشر المحسنين منهم بثوابه.

وقد كان - عليه الصلاة والسلام - يتبع هذا الأسلوب في مواطن كثيرة ، ومن ذلك ما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي - ﷺ - خرج إلى البطحاء^(٤) فصعد إلى الجبل، فنادى : (يا صباحاه) ، فاجتمعت إليه قريش ، فقال : (أرايتم إن حدثتكم أن

(١) انظر: منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان / (٣٢٧-٣٢٩) ، للدكتور: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي .

(٢) انظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن / (ص ١١٥) ، للدكتور: محمد بن علي البار.

(٣) سورة الحج ، الآية (٤٩).

(٤) البطحاء: مسيل فيه دقيق الحصى ، وهي بطاح مكة. انظر: معجم البلدان / (١/٤٤٤).

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

العدو مصبحكم أو ممسيكم ، أكنتم تصدقوني؟ ، قالوا: « نعم » ، قال : (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد). فقال أبو لهب : « ألهذا جمعتنا؟ تباً لك » ، فأنزل الله - عز وجل - : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ ^(١) إِلَى آخِرِهَا. ^(٢)

هذه أبرز موضوعات آيات أسلوب النداء في سورة الحج .

(١) سورة المسد ، الآية (١).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في كتاب التفسير ، باب سورة ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ ﴾ ، ح (٤٩٧٢) ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب في قوله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ۝ ﴾ ، [الشعراء: ٢١٤] ، ح (٣٥٥) . انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ٤٣١ ، ٧١٦).

المطلب الثاني: أسلوب الاستفهام.

أولاً: تعريف الاستفهام:

أ- تعريف الاستفهام في اللغة:

الفهم : معرفتك الشيء بالقلب. وفهمت الشيء : عقلتة وعرفته.

واستفهمه : سأله أن يفهمه.

وقد استفهمني الشيء فأفهمته ، وفهمته تفهيماً^(١).

ويقال : استفهم من فلان عن الأمر : أي طلب أن يكشف عنه.^(٢)

ب- تعريف الاستفهام في الاصطلاح:

« طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل »^(٣)

ثانياً: أهمية أسلوب الاستفهام:

- ١- يعد أسلوب الاستفهام من الأساليب الدعوية المهمة ؛ لخروجه عن الغرض الأصلي بطلب الفهم والعلم إلى أغراض أخرى متعددة ، تناسب أصنافاً شتى من المدعوين ، وتعالج موضوعات مختلفة ومتنوعة.
- ٢- يوجه أسلوب الاستفهام انتباه المخاطب للقضية المستفهم عنها ، ويحثه على تصورها ، وتقريبها إلى ذهنه.
- ٣- أن أسلوب الاستفهام يثير في النفس تطلعاً لمعرفة الجواب ، وهذا أدعى إلى ثبات المعنى في ذهن المخاطب.
- ٤- أن أسلوب الاستفهام يوقظ العقل وينبه القلب ؛ لتدبر المعنى المراد من الاستفهام ، ويترك لهما مجالاً واسعاً غير محدود لتخيل المستفهم عنه.

(١) انظر: لسان العرب/ (١٢/٤٥٩).

(٢) انظر: المعجم الوسيط/ (ص ٧٠٤).

(٣) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها / (١٨١/١) ، د. أحمد مطلوب.

الدعوة إلى الله في سورة الحج — (الفصل الرابع/ وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

ثالثاً: من أغراض أسلوب الاستفهام في سورة الحج :

الغرض الأصلي للاستفهام هو طلب معرفة أمرٍ لم يكن معلوماً عند الطلب ، إلا أن الاستفهام يخرج عن غرضه الأصلي إلى أغراض أخرى ، وردت بعضها في سورة الحج ، وهي كما يلي:

١- الإنكار ، حين يُراد إنكار المستفهم عنه .

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ۖ ﴾^(١).

٢- التقرير ، حين يُطلب من المخاطب الإقرار بما بعد أداة الاستفهام ، أو إثباته.

قال - تعالى - : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۖ ﴾^(٢).

٣- التهكم والسخرية ، وهو إظهار السخرية وعدم المبالاة بالمسئول عنه ، وهو قريب من الإهانة والتحقير.

قال - تعالى - : ﴿ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ۖ ﴾^(٣).

٤- الوعيد والتهديد ، عندما يريد السائل تهديد المخاطب ، وتوعده بالاستفهام.

قال - تعالى - : ﴿ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ۖ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۖ ﴾^(٤) .^(٥)

(١) سورة الحج ، الآية (٤٦).

(٢) سورة الحج ، الآية (١٨).

(٣) سورة الحج ، الآية (١٥).

(٤) سورة الحج ، الآية (٤٤).

(٥) انظر : أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم / (ص ١٧ ، ١٨) ، تأليف : عبد الكريم بن محمود يوسف ، من بلاغة القرآن (المعاني ، البيان ، البديع) / (ص ٥٥) ، وما بعدها.

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع/ وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

رابعاً : موضوعات آيات أسلوب الاستفهام في سورة الحج :

ورد أسلوب الاستفهام في سورة الحج في ثمانية مواضع، جاءت موضوعاتها كالتالي:

أولاً : تقرير ربوبية الله - سبحانه وتعالى - وألوهيته :

الإيمان بوجود الله فطرة في النفس البشرية ، فمن البدهيات العقلية أن المصنوع لا بد له من صانع ، والموجود لا بد له من مُوجد ، وهذا الصانع لا بد أن يكون إلهاً عظيماً فريداً ، يفزع إليه الإنسان فطرياً في الملمات والكُرْبَات ؛ لاعتقاده أنه وحده القادر على كشف كربه، لكن قد تنحرف هذه الفطرة لأمر عديدة ، وظروف مختلفة فاقتضت رحمة الله - سبحانه وتعالى - وكمال عدله أن يرسل الرسل -عليهم الصلاة والسلام- هداة معلمين ، يخاطبون الناس ويدعونهم إلى الهدى ، وقد أنزل المولى - جل شأنه - القرآن الكريم على نبيه - عليه الصلاة والسلام- هدى ورحمة للعالمين ، فجاءت آياته تخاطب القلوب والعقول ، وتدعو إلى الإيمان بالله رباً وإلهاً ، وفي سورة الحج جاء تقرير هذه القضية بأسلوب الاستفهام عبر طريقين:

أ- تأكيد خضوع جميع المخلوقات لرب العالمين:

قال -تعالى- : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۝١٨﴾ (١).

ففي هذه الآية يؤكد المولى - جل شأنه - بأسلوب الاستفهام تفرده بالربوبية والألوهية ، فهو رب المخلوقات كلها ، وإلهها الذي تسجد له طوعاً وكرهاً ، خاضعة مسخرة لرب العالمين.

وسجود كل شيء مما يختص به ، من الملائكة في أقطار السماوات ، والحيوانات في جميع الجهات ، ومن الإنس والجن ، والدواب والطيور. (٢).

(١) سورة الحج ، الآية (١٨).

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم / (٣/ ٢٠٠).

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

وبأسلوب الاستفهام يتدبر القلب هذا المعنى ، فإذا حَشَدُ من الخلائق مما يدرك الإنسان ومما لا يدرك ، وإذا حشد من الأفلاك والأجرام مما يعلم الإنسان ومما لا يعلم ، وإذا حشد من الجبال والشجر والدواب في هذه الأرض التي يعيش عليها الإنسان ، إذ بتلك الحشود كلها في موكب خاشع تسجد كلها لله ، وتتجه إليه وحده دون سواه ، تتجه إليه في وحدة واتساق ، إلا ذلك الإنسان فهو وحده الذي يكون من بينه من يأبى السجود ، فيبدو الإنسان عجيباً في ذلك الموكب المتناسق.^(١)

فكثير من الناس يسجد لله طوعاً وعبادة ، وكثير منهم يأبى السجود ويرتضي الكفر فيحق عليه العذاب.

فإنه من يهنه الله يشقيه ، ولا مكرم له بالسعادة ، لأن الأمور كلها بيد الله يوفق من يشاء لطاعته ، ويخذل من يشاء ، ويشقي من أراد ، ويسعد من أحب ، فالله يفعل ما يشاء ؛ لأن الخلق خلقه والأمر أمره.^(٢)

ب- لفت الأنظار إلى آيات الله الكونية :

إن آيات الله في هذا الكون الفسيح تقف شاهدة على تفرده - سبحانه وتعالى - بالربوبية والألوهية ، فهذا الكون العجيب يضم بين جنباته العديد من الأسرار والغرائب والمعجزات التي تدل على صانع حكيم مبدع ، أتقن صنع كل شيء ، ولا زال العلم الحديث يحبو في سبيل الكشف عن بعض هذه الأسرار.

فمن آيات الله الكونية في سورة الحج ، والتي يلفت الخالق نظرنا إليها بأسلوب الاستفهام البديع ، ما يلي:

١- اخضرار الأرض بنزول المطر:

قال - تعالى -: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ

(١) انظر : في ظلال القرآن / (٤ / ٢٤١٤).

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن / (١٦ / ٤٨٨ ، ٤٨٩).

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١﴾.

في هذه الآية يلفت الخالق - سبحانه وتعالى - نظر عباده إلى حقيقة كونية مهمة ، وبلاستفهام نرى الحياة تدب وتظهر على هذه البسيطة بنزول المطر وخروج النبات منها .

ولنتأمل الحكمة البالغة في نزول المطر على الأرض من علو ليعم بسقيه وهادها وتلاها ، ومنخفضها ومرتفعها ، ولو كان رب هذه الأرض يسقيها من ناحية من نواحيها لما أتى الماء من ناحية المرتفعة منها إلا إذا اجتمع في السفلي وكثر ، وفي ذلك فساد ؛ فاقترضت حكمته أن سقاها من فوقها ، فينشئ السحاب وهي روايا الأرض ، ثم يرسل الرياح فتحمل الماء من البحر وتلقحها به ، ثم ينزل منه الماء على الأرض ، ولو أنه ساقه من البحر إلى الأرض جارياً على ظهرها لم يحصل عموم السقي إلا بتخريب كثير من الأرض ، فصاعده - سبحانه - إلى الجو بلطفه وقدرته ، ثم أنزله على الأرض ، بغاية من اللطف والحكمة. (٢)

ولهذا تحضر الأرض بعد نزول المطر، وتزهو بمختلف الثمار والحبوب والفواكه والزروع والأشجار رحمة من اللطيف الخبير لعباده ، فإذا المناظر البهيحة ، والأرزاق المختلفة ، والمصالح المتعددة تقف شاهدة على إبداع الصانع - جل شأنه - ، وتفرد به بالخلق والتدبير ، واستحقاقه للعبادة وحده دون سواه.

٢ - تسخير ما في الأرض للحياة البشرية:

تحتوي الأرض من العجائب والآيات ما يدل على قدرة الله وإتقانه في خلقها ، فقد سخرها - سبحانه - للإنسان بجميع ما فيها ، ومن ذلك أن جعلها فراشاً وقراراً لتكون مقر الحيوان ومساكنه ، وجعلها مهاداً ، ذلولاً توطأ بالأقدام ، وتضرب بالمعاول

(١) سورة الحج ، الآية (٦٣).

(٢) انظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة / (١/٢٢٣ ، ٢٢٤) ، للإمام أبي عبد الله محمد ابن أبي بكر الشهر باين قيم الجوزية.

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع/ وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

والفؤوس ، وتحمل على ظهرها الأبنية الثقيل ، فهي ذلول مسخرة لما يريد العبد منها ، وجعلها بساطاً ، وجعلها جامعة للأحياء تضمهم على ظهرها ، وللأموات تضمهم في بطنها ، وطحها ، فمدها وبسطها ، ووسّعها ودحاها ، فهيأها لما يُراد منها ؛ بأن أخرج منها ماءها ومرعاها ، وشق منها الأنهار ، وجعل فيها السبل الفجاج.^(١)

قال - تعالى - : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَأَلْفَلَكَ تَجَرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾.^(٢)

وأسلوب الاستفهام هنا يلفت نظر الإنسان إلى هذه الأرض كم من قوة وكم من ثروة سخرها الله له ، وهو غافل عن نعمة الله التي يتقلب بها في الليل والنهار ! لقد سخر الله ما في الأرض لهذا الإنسان فجعل نوااميسها موافقة لفطرته وطاقاته ، ولو اختلفت فطرة الإنسان وتركيبته عن نوااميس هذه الأرض لما استطاع الحياة عليها فضلاً عن الانتفاع بها وبما فيها ، ولو اختلف تركيبه الجسدي عن الدرجة التي يحتمل فيها جو هذه الأرض واستنشاق هوائها والتغذي بطعامها والارتواء بمائها لما عاش لحظة ، ولو اختلفت كثافة بدنه أو كثافة الأرض عما هي عليه ما استقرت قدماءه على الأرض ، ولطار في الهواء أو غاص في الثرى ، ولو خلا وجه هذه الأرض من الهواء أو كان أكثف مما هو عليه أو أخف لاحتقن الإنسان ، أو عجز عن استنشاق الهواء مادة الحياة .

ولقد سخر الله له ما في الأرض بما وهبه من إدراكات صالحة لاستغلال ثروات هذه الأرض ، وما أودعه الله إياها من ثروات وطاقات كامنة وظاهرة يكشف منها الإنسان الكنوز الواحدة تلو الأخرى إلى يومنا هذا.^(٣)

فكل ما فيها من الآيات يدل على وحدانية الله - سبحانه وتعالى - ، فإن التدبير

(١) انظر : التبيان في أقسام القرآن/ (ص ٣٧٢ ، ٣٧٣) ، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن قَيم الجوزية ، تقديم وتحقيق وتعليق : محمد شريف سُكر .

(٢) سورة الحج ، الآية (٦٥) .

(٣) انظر : في ظلال القرآن / (٤/ ٢٤٤٠ ، ٢٤٤١) .

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع/ وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

الدقيق في جميع شئونها يدل على حكمة إلهية متفردة ، ولهذا أكثر - تعالى - من ذكر الأرض في كتابه ودعا عباده إلى التأمل في خلقها وشأنها ، فذلك يقود إلى تقرير ربوبية الله - تعالى - وألوهيته .

٣- جريان الفلك في البحر:

قال - تعالى - : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَاءَ فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) .
من آيات الله في الآفاق عجائب السفن وسيرها في البحر تشقه وتمخره بلا قائد يقودها ولا سائق يسوقها ، وإنما قائدها وسائقها الرياح التي يسخرها الله لإجرائها فإذا حبس عنها القائد السائق ظلت راكدة على وجه الماء. (٢)

ولو أن الرياح كانت عاصفة لم يحصل مقصودها بالوصول إلى البر ، ولربما هلكت وتحطمت ، ولكنه الرؤوف الرحيم يسيّرهما بريح طيبة رحمة منه بعباده وفضلاً ، وفي عصرنا الحديث وقد أبدع الإنسان في تسخير الفلك لحاجته تظهر قدرة الله - سبحانه وتعالى - ، فهو الذي خلق النواميس التي تسمح بجريان الفلك في البحر ، وعلم الإنسان كيف يهتدي إلى هذه النواميس فيسخرها لمصلحته وينتفع بها هذا الانتفاع ، ولو اختلفت طبيعة البحر أو طبيعة الفلك ، أو لو اختلفت مدارك هذا الإنسان ، ما كان شيء من هذا الذي كان! (٣)

٤- إمساك السماء أن تقع على الأرض:

قال - تعالى - : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَاءَ فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٤) .

(١) سورة الحج ، الآية (٦٥) .

(٢) انظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة / (٢٠٥/١) .

(٣) انظر : في ظلال القرآن (٤/٢٤٤١) .

(٤) سورة الحج ، الآية (٦٥) .

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

يُراد بالسماء : ما قابل الأرض ، ويشمل ذلك العوالم العلوية كلها التي لا نحيط بها علماً ، كالكواكب السيّارة ، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله ، ومما يكشفه للناس في متعاقب الأزمان ، وبتدبير الله ، وعلمه ، وقدرته ، جعل للسماء نظاماً يمنعها من السقوط على الأرض.^(١)

والإنسان في الماضي كان يشاهد عالماً كبيراً قائماً بذاته في الفضاء ، مكوناً من الشمس والقمر والنجوم ، ولم ير لها أية سواري أو أعمدة ، وفي الوقت الحاضر يعلم أن الأجرام السماوية قائمة دون عمد في الفضاء ، بيد أن هناك عمداً غير مرئية تتمثل في قانون الجاذبية ، وهي التي تساعد كل هذه الأجرام على البقاء في أمكنتها المحددة.^(٢) فكل هذه الأجرام والكواكب والشموس والأقمار والمجموعات الشمسية والمجرات الفلكية متماسكة بقدرة الله - تعالى - ، لا تتحرك ولا تقع إلا بإذن الله فأمرها إليه عائد وشأنها إليه راجع .

وقانون الجذب من عظام نعمه الله - تعالى - ، به استقرت وحدات الوجود ، وبه تم كمالها ، فهو رباط قويم لا يُشاهد ، وممسك متين لا يُرى ، فالجذب قوة غير منظورة تشد إليها كل شيء ، فهي رباط عالمي فطري ، تربط العوالم بعضها ببعض ، فتتماسك وحداتها ، وأجزاؤها بمقادير متناسقة ، وموازين متوافقة بين طرفي السلب والإيجاب ، فتحافظ على مواقعها الخاصة في مداراتها الفلكية المحدودة ، حسب تقادير الله العليم الخبير ، فلا يكون بينها اضطراب ولا اختلال ولا تصادم ولا انفلات إلى مدار سواها.^(٣) فسبحان الله الذي له في كل شيء آية ، تدل على أنه واحد متفرد بالربوبية والألوهية.

(١) انظر : التحرير والتنوير / (١٦/٣٢٣).

(٢) انظر : الإسلام يتحدى / (ص ٢١٢، ٢١٣) ، تأليف: وحيد الدين خان ، تعريب: ظفر الإسلام خان ، مراجعة وتحقيق : د. عبدالصبور شاهين.

(٣) انظر: معالم القرآن في عوالم الأكوان / (ص ١٤٩) ، تأليف: أحمد محي الدين العجوز.

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

ثانياً: تقرير سعة علم الله - سبحانه وتعالى -:

إن تصور العبد لسعة علم الله - جل شأنه - من الركائز المهمة التي يقوم عليها إيمانه و يقينه ، فالمؤمن عندما يدرك أن الله - سبحانه وتعالى - يعلم أقواله وأفعاله ، وسيجزيه عليها إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، يدفعه ذلك إلى أن يحاسب نفسه ويراقب قوله وعمله ، خوفاً من الله - جل شأنه - حيث يقول : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (١).

يقول الإمام أبو جعفر الطبري (٢) - رحمه الله - : « يقول - تعالى - ذكره : ألم تعلم يا محمد أن الله يعلم كل ما في السموات السبع ، والأرضين السبع ، ولا يخفى عليه من ذلك شيء ، وهو حاكم بين خلقه يوم القيامة على علم منه بجميع ما عملوه في الدنيا ، فمجاز المحسن منهم بإحسانه ، والمسيء بإساءته » (٣).

فبأسلوب الاستفهام الذي يوقظ العقل ، ويثير في النفس تطلعاً لمعرفة الجواب ، يؤكد - سبحانه - على قضية مهمة ينبغي التنبه لها وتمثلها في الأمور كلها .

فالله - سبحانه - لا تخفى عليه خافية من ظواهر الأمور وبواطنها ، خفيها وجليها ، متقدمها ومتأخرها ، وهذا العلم المحيط بما في السماوات والأرض قد أثبتته الله في كتاب وهو اللوح المحفوظ ، فعن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال : « سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : (إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب ، قال : رب ، وماذا أكتب؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة) » (٤).

(١) سورة الحج ، الآية (٧٠).

(٢) تقدمت ترجمته في (ص ١٠٩) من هذه الرسالة.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن / (٦٢٩/١٦).

(٤) أخرجه الإمام أبو داود في كتاب السنة ، باب في القدر ، ح (٤٧٠٠) ، وأخرجه الإمام الترمذي في كتاب القدر عن رسول الله - ﷺ - ، ح (٢١٥٥) ، وفي كتاب تفسير القرآن عن رسول الله - ﷺ - ، باب ومن سورة « ن » ، ح (٣٣١٩) ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح غريب » ، وصححه المحدث العلامة: محمد ناصر الدين الألباني ، انظر : سنن أبي داود / (ص ٧٠٥) ، سنن الترمذي / (ص ٤٨٧ ، ٧٥٢).

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

وإن كان تصور ذلك لا يحاط به عند البشر فإن الله - سبحانه وتعالى - يسير عليه أن يحيط علماً بجميع الأشياء ، وأن يكتب ذلك في كتاب مطابق للواقع. ^(١)

والعقل البشري يصيبه الكلل من مجرد التأمل لبعض ما في السماء والأرض ، ومن تصور إحاطة الله بكل هذا الحشد من الأشياء والأشخاص والأعمال والنيات والخواطر والحركات في عالم المنظور وعالم الضمير ، ولكن هذا كله بالقياس إلى قدرة الله وعلمه شيء يسير. ^(٢)

وقضية بهذه الأهمية حريٌّ بالمؤمن أن يجعلها نصب عينيه ، فإن ذلك يحجزه عن سبيل القول والفعل ، ويحثه على العمل الصالح ، ومراقبة الله في أموره الظاهرة والباطنة.

ثالثاً : تأكيد نصر الله - سبحانه - لرسوله الكريم - ﷺ - :

عندما يشك المرء في حقائق واقعة لا محالة يحتاج إلى أسلوب قوي لزرجه وتقريعه ، وربما للتهكم فيما ذهب إليه من تصور باطل لا سند له.

ومن ذلك التشكيك بنصر الله لنبيه - عليه الصلاة والسلام - الذي هو حاصل في كل حال ، فإن الله - جل شأنه - أكد نصره لرسوله الكريم - ﷺ - بأسلوب بديع ، حيث يقول : ﴿ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴾ ^(٣).

فبين - سبحانه - أنه ناصر لرسوله - ﷺ - في الدنيا بإعلاء كلمته وإظهار دينه ، وفي الآخرة بإعلاء درجته ، وإدخال من صدقه جنات تجري من تحتها الأنهار ، والانتقام ممن كذبه ، وإذاقته عذاب الحريق ، لا يصرفه - سبحانه - عن ذلك صارف ، ولا يعطفه عنه عاطف ، فمن كان يغيظه ذلك من أعدائه وحساده ويظن أن لن يفعل - تعالى - فليبالغ في استفراغ المجهود ، وليتجاوز في الجد كل حدٍّ معهود ، فإن قصارى أمره خيبة

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المثنان / (ص ٥٤٥).

(٢) انظر : في ظلال القرآن / (٤/ ٢٤٤٣).

(٣) سورة الحج ، الآية (١٥).

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأسالبيها ومبادئها في سورة الحج)

مساعيه ، وبقاء ما يغیظه. (١)

فأسلوب الاستفهام في قوله - تعالى - : ﴿...هَلْ يُدْهِنُ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ...﴾ للتهكم بذلك المشكك ، والمعنى : من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً - ﷺ - في الدنيا والآخرة ، فليمدد بجبل إلى سماء بيته ثم ليختنق به ، ثم لينظر هل يشفي ذلك ما يجد في صدره من الغيظ؟ (٢)

قال الإمام البغوي (٣) - رحمه الله - : « وليس هذا على سبيل الحتم أن يفعله لأنه لا يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق والموت ، ولكنه كما يقال للحاسد إن لم ترض هذا فاختنق ومت غيظاً ». (٣)

فحسد هذا العدو لا فائدة فيه ، ولن يجني من ورائه شيئاً ، فالعاقبة للمتقين ، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

رابعاً : بيان عاقبة المكذبين للدعوة :

جرت سنة الله في خلقه أن يجازي المحسنين على إحسانهم ، ويعاقب المسيئين على إساءتهم ، وأعظم الإساءة أن يسئ العبد لخالقه ، فيكفر به ، ويعبد من دونه إلهاً آخراً ؛ ولهذا كانت عاقبة المكذبين للدعوة أشر العواقب.

وقد بين المولى - سبحانه - في سورة الحج عاقبة المكذبين للدعوة في الدنيا والآخرة بأسلوب الاستفهام ، وذلك كما يلي :

(١) انظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع الثاني / (١٧/١٦٦).

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم / (٣/١٩٩).

(٣) الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي ، (٤٣٦-٥١٦هـ) ، أبو محمد ، المفسر ، صاحب التصانيف ، نسبته إلى « بَغَا » من قرى خراسان ، يلقب بمحي السنة ، كان سيداً إماماً ، عالماً علامة ، زاهداً ، وكان أبوه يعمل الفراء ويبيعها ، بورك له في تصانيفه ، ومنها : « شرح السنة » ، و« معالم التنزيل » . انظر : سير أعلام النبلاء / (١٩/٤٣٩-٤٤٣) ، الأعلام / (٢/٢٥٩).

(٣) معالم التنزيل / (٣/٢٧٨).

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

أ- عاقبة المكذبين للدعوة في الدنيا :

قال - تعالى - : ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ۖ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۚ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ۚ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۚ ۝ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَبْرِئُ مُعْطَلَةٌ ۖ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ ۚ ۝ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَبِأَنَّهُمْ لَا تَعْمَىٰ الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَىٰ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ۚ ۝ ۱ ﴾ .^(١)

في هذه الآيات تسليية للنبي - ﷺ - عما يناله من أذى المشركين بالله ، وحث له على الصبر على ما يلحقه منهم من السب والتكذيب ، فإن كان هؤلاء المشركون قد كذبوه ، مع ما آتاهم من الحق والبرهان ، وما وعدهم من العذاب والهوان ، فتلك سنة إخوانهم من الأمم الخالية المكذبة لرسول الله - عليه الصلاة والسلام - من قوم نوح وقوم عاد وثمود وقوم إبراهيم ولوط وقوم شعيب ، كما كذب فرعون وقومه من القبط موسى - عليه السلام - ، فماذا كانت العاقبة ؟

لقد أمهل الله لأهل الكفر ، فلم يعاجلهم بالنقمة والعذاب ، ثم أحل بهم العقاب بعد الإملاء ، فانظر كيف غير الله ما كان بهم من نعمة ، وكيف عاقبهم بعد ما كان عليه من الإحسان إليهم ؟ ألم يبدلهم بالكثر قلة ، وبالحياة موتاً وهلاكاً ، وبالعمارة خراباً ؟ وهكذا تكون عاقبة المكذبين ، فكأين من قرية أهلكها الله ، وأفنى أهلها ، وأهلك واديتها ، لما كذبوا وظلموا بعبادة غير من ينبغي أن يُعبد ، وعصوا من لا ينبغي لهم أن يعصوه .^(٢)

وكما جاء أسلوب الاستفهام لتسليية النبي - ﷺ - لما يلقاه من قومه ببيان عاقبة المكذبين للدعوة ، فقد جاء - أيضاً - لحث أولئك المكذبين للسير في الأرض لرؤية عاقبة

(١) سورة الحج ، الآيات (٤٢ - ٤٦) .

(٢) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن / (١٦ / ٥٨٨ - ٥٩٠) .

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

من سبقهم من الأمم الخالية في الدنيا ، فقال - تعالى - : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (١) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (٢) وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمَلَّتْ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْنَاهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴾ (٣) (١) فهذا حثُّ لهم على أن يسافروا ليروا مصارع المهلكين من قبلهم فيعتبروا ، وهم وإن كانوا قد سافروا إلا أنهم لم يسافروا لذلك ، ففي السير في الأرض قد تكون لهم قلوب تعقل ما يجب أن يُعقل من التوحيد ؛ بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال ، أو آذان يسمعون بها ما يجب أن يُسمع من الوحي ، والتذكير بحال من شاهدوا آثارهم ، ولكنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور عن الاعتبار ، فليس الخلل في مشاعرهم وإنما ألفت عقولهم اتباع الهوى والاهتمام في التقليد. (٢)

فقد أغرق الله قوم نوح ، وأهل الأرض كلهم - إلا من كان في الفلك - حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال ، وسلط الريح العقيم على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض ، كأنهم أعجاز نخل خاوية ، ودمرت ما مرت عليه من ديارهم ، وحروثهم ، وزروعهم ، ودوابهم ، حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة ، وأرسل على ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم ، وماتوا عن آخرهم ، ورفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلاهم ، ثم قلبها عليهم ، فجعل عاليها سافلها ، فأهلكهم جميعاً ، ثم أتبعهم حجارة من السماء ، أمطرها عليهم ، فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمة غيرهم ، وأرسل على قوم شعيب سحائب العذاب كالظلل ، فلما صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم ناراً تلظى ، وأغرق فرعون وقومه في البحر ، وخسف بقارون وداره وماله وأهله ، وبعث على بني إسرائيل قوماً أولي بأس شديد ، فجاسوا خلال

(١) سورة الحج ، الآيات (٤٦-٤٨).

(٢) انظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل / (٩٢، ٩١/٢).

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأسااليبها ومبادئها في سورة الحج)

الديار ، وقتلوا الرجال ، وسبوا الذراري والنساء ، وأحرقوا الديار ، ونهبوا الأموال ، ثم بعثهم عليهم مرة ثانية فأهلكوا ما قدروا عليه ، وتبروا ما علوا تنبيراً .^(١)
وهذا العذاب عاقبة من كذب الدعوة إلى الله في الحياة الدنيا ، وإن فيه لعبرة لمن كان له قلب يتأمل سنة الله فيمن كذب رسله - عليهم الصلاة والسلام - .

ب- عاقبة المكذبين للدعوة في الآخرة :

يقول الله - تعالى - : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ ﴾ .^(٢)

عندما تسلي آيات الله الواضحات الدلالة على العقائد الحقّة والأحكام الصادقة ، تظهر علامات التجهّم والبسور والشر على أولئك المكذّبين ، ويكادون يبطشون ويشنون . بمن يتلوها من فرط الغيظ والغضب لأباطيل أخذوها تقليداً ، وهل جهالة أعظم وأطم من أن يعبدوا ما ليس لهم في عبادته أصل ، بل يقضي بطلانها العقل والنقل ، ويظهروا لمن يهديهم إلى الحق البين بالسلطان المبين مثل هذا المنكر الشنيع ؟

كلا ! ولهذا يأمر المولى - سبحانه وتعالى - نبيه - ﷺ - بأن يرد عليهم إقناطاً لهم عما يقصدونه من الإضرار بالمسلمين ، فيخبرهم بشر من ذلك الغيظ الذي فيهم وهو النار وعدها الله الذين كفروا .^(٣)

وفي أسلوب الاستفهام في الآية تقريع ووعيد للمكذّبين للدعوة ، وكفى بالنار عاقبة سيئة لتكذيب الدعوة إلى الله في الحياة الآخرة ؛ ولهذا كانت بئس المصير الذي يؤول إليه حالهم .

ومما سبق تتبين أبرز موضوعات آيات أسلوب الاستفهام في سورة الحج .

(١) انظر : الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي / (ص ٨٠) .

(٢) سورة الحج ، الآية (٧٢) .

(٣) انظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم / (٥/ ١٢٠) .

المطلب الثالث: أسلوبا الترغيب والترهيب.

أولاً: تعريف الترغيب والترهيب :

أ- تعريف الترغيب :

- الترغيب في اللغة :
رَغِبَ يَرْغِبُ رَغْبَةً : إذا حرص على الشيء ، وطمع فيه.
وَرَغْبَةً : أعطاه ما رَغِبَ. ^(١)
وَالرَّغْبَةُ : الأمر المرغوب فيه ، والعطاء الكثير.
ورغب إليه رغباً : ابتهل، وهو الضراعة والمسألة. ^(٢)
- الترغيب في الاصطلاح:

« كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة ، وقبول الحق ، والثبات عليه ». ^(٣)

ب- تعريف الترهيب :

- الترهيب في اللغة :
رَهَبَ يَرْهَبُ رَهْبَةً وَرُهْبَاناً وَرَهَباً : أي خاف.
وَتَرَهَّبَ غيره : إذا تَوَعَّدَهُ.
وَالرَّهْبَةُ : الخوف والفرع. ^(٤)
 - الترهيب في الاصطلاح:
- « كل ما يخيف ويُحذِّر المدعو من عدم الاستجابة ، أو رفض الحق ، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله ». ^(٥)

(١) انظر : لسان العرب / (١/٤٢٢).

(٢) انظر : القاموس المحيط / (ص ٩٠).

(٣) أصول الدعوة / (ص ٤٣٧).

(٤) انظر : لسان العرب / (١/٤٣٦).

(٥) أصول الدعوة / (ص ٤٣٧).

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

ثانياً: أهمية أسلوب الترهيب والترغيب :

الترغيب والترهيب من الأساليب ذات الأهمية البالغة في دعوة الناس إلى الله - تعالى - ، ذلك أن غرس الرجاء في النفوس ، والترغيب فيما عند الله - سبحانه - من الخير الذي لا ينتهي له في الدنيا والآخرة أمر مطلوب ، حتى يبادر العبد إلى القيام بكل ما من شأنه أن يجعله أهلاً لنفحات الله - سبحانه - ورحمته وكرمه ، كما أن غرس الخوف من غضب الله وعقابه العاجل والآجل في النفوس مطلوب كذلك ؛ لكي يحمل النفوس على اتقائه بتجنب ما يسخط الله - عز وجل - ، والقيام بالطاعة التي ينال العبد بها مرضاته .

والإنسان إنما يسعى في هذه الحياة ويكدح من أجل إدراك النفع ، ولرفع الضر عن نفسه ، سواء كان في الدنيا أو الآخرة ، فإذا غرس في النفوس الإيمان بأن الإنسان لا يدركه نفع ولا ضر إلا بما يكتبه الله له ، اتجهت القلوب إلى الله ترجو ما عنده من الخير بطاعته ، كما ترجوه - سبحانه - أن يدفع عنها كل ضر في الدنيا والآخرة .^(١)

وأسلوبا الترغيب والترهيب من أبرز أساليب المنهج العاطفي ، فهما يغوصان في النفس الإنسانية ، ويخاطبان فيها العاطفة والوجدان ، ويهيجان فيها غريزة الطمع والخوف ، مما يُسهِّل انقياد القلب وخضوع الجوارح لموضوع الدعوة ، و يجعلهما من أبرز الأساليب الدعوية المؤثرة ، وأكثرها استخداماً ، و نفوس المدعوين تختلف ، والإنسان لا يدفعه إلى فعل الخير إلا شوق يحفزه إلى مرضاة الله وجنته ، أو خوف يحجزه عن اقتراف ما حرم الله خوفاً من عقابه - سبحانه وتعالى - ، والداعية يستعمل من هذين الأسلوبين ما يراه مناسباً .

ولهذا كثر استخدام هذان الأسلوبان في القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، وتنوعت موضوعاتهما ودرجاتهما ، وهذا يعطي الداعي إلى الله فرصة لاختيار الدرجة المناسبة والنوع الأنسب لكل حال وموقف ، ليشمل حاجات الدعوة .^(٢)

(١) انظر: معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم / (١/٥٤٣) ، للدكتور: عبدالوهاب بن لطف الديلمي .

(٢) انظر : الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة / (ص ٧٣) ، للدكتورة : رقية بنت نصر الله بن محمد نياز .

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

ثالثاً : مميزات أسلوب الترغيب والترهيب في القرآن الكريم:

- يمتاز أسلوب الترغيب والترهيب في القرآن الكريم بمميزات خاصة ؛ لكونهما جاءا من رب العالمين ، الخبير بنفوس البشر ، وأهم هذه المميزات :
- ١- اعتمادهما على الإقناع والبرهان ، فمثلاً أغلب الآيات التي فيها ترغيب أو ترهيب بأمر من أمور الآخرة فيها إشارة إلى الإيمان بالله واليوم الآخر ، وإقناع وضرب للبراهين الدالة على ذلك.
 - ٢- أن أسلوب الترغيب والترهيب في القرآن الكريم يصاحبهما تصور فني رائع لنعيم الجنة أو لعذاب جهنم ، بأسلوب واضح يفهمه جميع الناس.
 - ٣- يعتمد الترغيب والترهيب في القرآن الكريم على إثارة الانفعالات ، وتربية العواطف كعاطفة الطمع بتوجيهها إلى الطمع بما عند الله من الخير ، وعاطفة الخوف بتوجيهها نحو الخوف من الله وحده.
 - ٤- يقوم أسلوب الترغيب والترهيب في القرآن الكريم على التوازن بين الانفعالات والعواطف الإنسانية ، فلا يطغى جانب على آخر.^(١)

رابعاً : موضوعات آيات أسلوب الترغيب والترهيب في سورة الحج :

- أ- موضوعات آيات أسلوب الترغيب في سورة الحج:
- ورد أسلوب الترغيب في سورة الحج في عدة مواضع ، ما بين الترغيب في جنس الطاعات عموماً ، والترغيب في أنواع معينة منها ، وذلك كما يلي:
- ١- الترغيب في جنس الطاعات :
- رَغِبَ المولى - جلَّ شأنه- في آيات عديدة في الإيمان بالله - سبحانه وتعالى- ، والعمل الصالح ، فهما عدة المؤمن وعتاده يوم لا ينفع مال ولا بنون ، وقد رتب على ذلك أجراً عظيماً ، تأتي الجنة بما فيها من النعيم الدائم في المقام الأول.
- يقول الله - تعالى - : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ

(١) انظر : أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع/ (ص ٢٨٧) وما بعدها ، تأليف الدكتور: عبدالرحمن النحلاوي.

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾

وقال - سبحانه -: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ ﴿٢﴾

وقال - تعالى -: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ ﴿٣﴾

كما وعد الله المؤمنين بالله بالدفاع عنهم ونصرتهم ترغيباً لهم في الإيمان بالله ، فقال - سبحانه -: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ ﴿٤﴾ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٥﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدِمَتْ صَوَامِعُ وَبِيعَ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٦﴾

ووعدهم بالمغفرة والرزق الكريم ، قال - تعالى -: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٧﴾

كما رَغِبَ - سبحانه وتعالى - عباده في عبادته ، وفعل الخير عامة ، وبيّن أن ذلك سبب للفلاح في الدنيا والآخرة ، فقال - جلّ شأنه -: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٨﴾

وفي هذه الآية جمع الله - سبحانه - بين أسلوب النداء ، وأسلوب الأمر ، وأسلوب الترغيب في الدعوة إلى عبادة الله وفعل الخير ، والتأكيد على أهمية ذلك.

(١) سورة الحج ، الآية (١٤).

(٢) سورة الحج ، الآية (٢٣).

(٣) سورة الحج ، الآية (٥٦).

(٤) سورة الحج ، الآيات (٣٨ - ٤٠).

(٥) سورة الحج ، الآية (٥٠).

(٦) سورة الحج ، الآية (٧٧).

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

٢- الترغيب في أنواع الطاعات:

من أنواع الطاعات التي ورد الترغيب فيها في سورة الحج ، ما يلي:

أ- الترغيب بتعظيم حرمان الله ، وذلك بالوعد بالخير :

قال - تعالى - : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظِمْ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ... ﴾ (١)

ب- الترغيب بالإحبات إلى الله وأداء علاماته، (٢) بأن لهم البشري من الله :

قال - تعالى - : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ
الَّتَنَعَّمُوا فِيهَا لَهُمْ كَمَا إِنَّهُ وَحْدَ قَلْبِهِ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ (٣) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (٤)

ج- الترغيب في الإحسان ، وذلك بأن لهم البشري من الله :

قال - سبحانه - : ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ
كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٥)

د- الترغيب في الهجرة في سبيل الله ، بالوعد بالرزق الحسن وإدخال المهاجرين
مدخلاً يرضونه.

قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا
لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (٦) لِيَدْخُلَنَّهُمْ مَدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ
وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ (٧)

وهذه بشارة كبرى لمن هاجر في سبيل الله ، وخرج من داره ووطنه وأولاده وماله
ابستغاء وجه الله ، ونصرة لدين الله ، فهذا قد وجب أجره على الله ، سواء مات على
فراشه ، أو قتل مجاهداً في سبيل الله ، ليرزقهم الله رزقاً حسناً في البرزخ ، وفي يوم

(١) سورة الحج ، الآية (٣٠). وسبق الحديث عن تعظيم حرمان الله في (ص ١٣٤-١٣٨) من هذه الرسالة.

(٢) سبق تفصيل المراد من الإحبات وأداء علاماته في (ص ١٣٩-١٥١) من هذه الرسالة.

(٣) سورة الحج ، الآيتان (٣٤، ٣٥).

(٤) سورة الحج ، الآية (٣٧). وسبق الحديث عن الإحسان في (ص ١٢٥-١٢٩) من هذه الرسالة.

(٥) سورة الحج ، الآيتان (٥٨، ٥٩).

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

القيامه بدخول الجنة الجامعة للروح والريحان ، والحسن والإحسان ، وفي الدنيا بأن يتكفل الله - سبحانه وتعالى - برزقه ، فلا يتوهم أنه إذا أخرج من داره وأمواله سيفتقر ويحتاج ، فإن رازقه هو خير الرازقين ، وسيدخل الله المهاجرين مدخلاً يرضونه بما يفتحه الله عليهم من البلدان ، وبدخولهم الجنة فيكون قد جمع بين الرزقين ؛ رزق الدنيا ورزق الآخرة.^(١)

ب- موضوعات آيات أسلوب التهيب في سورة الحج:

ورد أسلوب التهيب في سورة الحج في مواضع عديدة ، ما بين التهيب من جنس المعاصي والذنوب ، والتهيب من أنواع معينة من المعاصي والذنوب ، وذلك كما يلي:

١- التهيب من جنس المعاصي والذنوب :

رَهَّبَ المولى - سبحانه وتعالى - من الكفر وعدم الإيمان بالله ، بذكر النار وأهوالها وحال أهلها ، قال - تعالى - : ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۖ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ۚ وَلَهُمْ مَقْلَعٌ مِّنْ حَدِيدٍ ۖ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۖ ۞ ﴾^(٢)

وهذا وصف دقيق تقشعر له الأبدان لحال أهل النار ، حيث إنها تصور المصير الذي يؤول إليه الكفار ، وهو مشهد عنيف صاخب ، حافل بالحركة المتكررة ، مطول بالتخييل الذي يبعثه النسق ، فلا يكاد ينتهي الخيال من تتبعه لتجدده ، فهذه ثياب من نار تقطع وتفصل ، وهذا حميم يصب من فوق الرؤوس ، يُصهر به ما في البطون والجلود ، وهذه مقامع من حديد ، وهذا هو العذاب يشتد ويتجاوز الطاقة ، فيهب الذين كفروا من الوهج والحميم ، والضرب الأليم ، يهمون بالخروج من هذا الغم ، وهاهم أولاء يُردون بعنف ﴿ ... وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ... ﴾ ، ويظل الخيال يكرر هذه الصورة الرهيبة من بدايتها إلى نهايتها ، حتى يصل إلى حل الخروج ، ثم الرد العنيف ،

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المئان / (ص ٥٤٣).

(٢) سورة الحج ، الآيات (١٩ - ٢٢).

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

ليعاد التصور من جديد.^(١)

وقال - سبحانه - : ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْبِيئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝﴾^(٢)

وقال - تعالى - : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فِئْتًا لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝﴾^(٣)

وقال - سبحانه - : ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۝﴾^(٤)

كما رَهَّبَ - سبحانه - من عدم تقواه بذكر أهوال الساعة حيث يقول : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوقًا رَبُّكُمْ إِنَّا زَلْزَلْنَا السَّاعَةَ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۝﴾^(٥)

وتأمل حال الناس في عرصات يوم القيامة ، في حال ذهول شديد ، وخوف وفزع ، تذهل المرضع عن رضيعها ، وتُسقط الأم وليدها ، ويموج الناس كالسكارى ، وهم ليسوا بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد ، صورة رهبة لذلك اليوم تدفع عقلاء الناس لأن يحتاطوا لأنفسهم ، ويلزموا تقوى الله ، ففيها خلاصهم ونجاتهم وأمنهم يوم الفزع الأكبر.

كما رَهَّبَ - سبحانه وتعالى - من تكذيب الدعوة بذكر مآل الأمم السابقة لما كذبت رسلها ، يقول الله - تعالى - : ﴿وَإِنْ يَكْذِبُواكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ۝ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۝ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝﴾^(٦) فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على

(١) انظر : مشاهد القيامة في القرآن / (ص ٢٥٧ ، ٢٥٨) ، تأليف : سيد قطب.

(٢) سورة الحج ، الآية (٧٢).

(٣) سورة الحج ، الآية (٥٧).

(٤) سورة الحج ، الآية (٥١).

(٥) سورة الحج ، الآيتان (٢٠١).

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

عُرُوشَهَا وَبِئْرٍ مَّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴿٤٢﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ
ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾
وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ
﴿٤٤﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٤٥﴾ ﴿١﴾

٢- الترهيب من أنواع المعاصي والذنوب :

من أنواع المعاصي والذنوب التي ورد الترهيب منها في سورة الحج، ما يلي:

أ- الترهيب من الجدال المذموم ، بالوعيد بالضلال والخزي في الدنيا ، وعذاب
السعير يوم القيامة :

قال - سبحانه - : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ
مَّرِيدٍ ﴿٢١﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢٢﴾ ﴾ ﴿٢﴾
وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا
كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيرُهُ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ﴾ ﴿٣﴾

ب- الترهيب من الهمم بالسيئة في البلد الحرام ، بالوعيد بالعذاب الأليم :

قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَنكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ
مِن عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ ﴿٤﴾

وبذلك يتضح أسلوبا الترغيب والترهيب في سورة الحج ، و أبرز الموضوعات
التي جاءت بها الآيات المشتملة عليهما ، والتي ينبغي للداعي إلى الله مراعاتها ،
ودعوة الناس إليها .

(١) سورة الحج ، الآيات (٤٢ - ٤٨).

(٢) سورة الحج ، الآيتان (٤، ٣).

(٣) سورة الحج ، الآيتان (٨ ، ٩). سبق الحديث عن الجدال المذموم في (ص ١٥٦-١٥٩) من هذه الرسالة.

(٤) سورة الحج ، الآية (٢٥). وهذا من تعظيم حرمان الله ، انظر: (ص ١٣٥) من هذه الرسالة.

المطلب الرابع: أسلوب ضرب المثل.

أولاً: تعريف المثل:

أ- تعريف المثل في اللغة:

مثل : كلمة تسوية ، يقال : هذا مثله ، مثله ، كما يقال : شبهه وشبهه.

فالمثل : الشبه.

والمثل : الشيء الذي يضرب لشيء مثلاً ، فيجعل مثله.^(١)

وقيل : جملة من القول مقتطعة من كلام ، أو مرسله بذاتها ، تنقل ممن وردت فيه

إلى مشابهه بدون تغيير.

والجمع : أمثال.^(٢)

ب- تعريف المثل في الاصطلاح:

عرفه الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - فقال: «تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب

المعقول من المحسوس ، أو أحد المحسوسين من الآخر ، واعتبار أحدهما بالآخر».^(٣)

وقد اختير لفظ الضرب مع المثل لأنه يأتي عند إرادة التأثير وتهيج الانفعال ، كأن

ضارب المثل يقرع به أذن السامع قرعاً ينفذ أثره إلى قلبه ، وينتهي إلى أعماق نفسه.^(٤)

ثانياً: أهمية أسلوب ضرب المثل:

تتجلى أهمية أسلوب ضرب المثل بنظرة جامعة في الجوانب التالية:

١- الجانب اللغوي أو اللفظي:

وفيه تتجلى بلاغة المتكلم ، بإيجاز اللفظ وحسن التشبيه والتمثيل ، وجودة

(١) انظر: لسان العرب / (١١/٦١٠، ٦١١).

(٢) انظر: المعجم الوسيط / (ص ٨٥٤).

(٣) أعلام الموقعين عن رب العالمين / (١/١٥٠) ، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ، المعروف

بابن قيم الجوزية ، تحقيق: محمد بن محي الدين عبد الحميد.

(٤) انظر: تفسير القرآن الحكيم (الشهير بتفسير المنار) / (١/٢٣٦) ، تأليف: محمد رشيد رضا.

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

الكفاية ، ووضوح المنطق ، وتمكن المتكلم من شعب الحديث.

٢ - الجانب المعنوي:

وتبرز فيه قدرة المتكلم على تقريب المراد وتفهم المعنى ، وإيصاله إلى ذهن السامع ، وإحضاره في نفسه بصورة المثال الذي مُثِّل به ، ليكون أقرب إلى تعقله وفهمه ، وضبطه واستحضاره.

٣ - الجانب النفسي أو التربوي:

ويراد به ما يتركه المثل السائر أو التشبيه التمثيلي في نفس السامع من أثر نفسي أو تربوي عميق ، فإن كان السامع بعيداً عن الحق اقترب ، وإن كان غافلاً معرضاً تنبه واتعظ ، وإن كان جاحداً مكابراً انقمع وانزجر.^(١)

ثالثاً : من أغراض أسلوب ضرب المثل:

لأسلوب ضرب المثل أغراض عدة ، منها ما يلي:

١ - تقريب صورة الممثل له إلى ذهن المخاطب عن طريق المثل ، فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية ليستطيعوا فهمها ، فإن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن إلا إذا صيغت في صورة حسية.

٢ - الإقناع بفكرة من الأفكار ، وهذا الإقناع قد يصل إلى مستوى إقامة الحجة البرهانية عن طريق ضرب المثل.

٣ - الترغيب بالتزين والتحسين ، بكشف جوانب الحسن ، أو التنفير بكشف جوانب القبح ، وهذا تساهم الأمثال في تربية النفس على السلوك الخير ، وتهذيب نزعاتها الشريرة.

٤ - إثارة محور الطمع أو الرغبة ، أو محور الخوف والحذر لدى المخاطب .

(١) انظر: ضرب الأمثال في القرآن (أهدافه التربوية وآثاره) / (ص ٣٧، ٣٨) ، تأليف : عبد المجيد البيانوني ، وللاستزادة انظر: الأمثال في القرآن الكريم / (ص ٨٦) وما بعدها ، للدكتور: محمد بن جابر الفياض.

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

٥ - المدح أو الذم ، والتعظيم أو التحقير، من خلال بيان جوانب ذلك بضرب المثل .

٦ - شحذ ذهن المخاطب وتحريك طاقاته الفكرية ، وتربية العقل على التفكير الصحيح ، والقياس المنطقي السليم .

٧ - تقديم أفكار غزيرة جداً ودقيقة ، يحتاج بيانها إلى كلام كثير في عبارة موجزة معبرة .

٨ - إثارة تغطية المقصود من العبارة بالمثل ، تأدباً في اللفظ واستحياءً من التصريح به. (١)

رابعاً: موضوعات آيات أسلوب ضرب المثل في سورة الحج:

ورد أسلوب ضرب المثل في سورة الحج في عدة مواضع، جاءت موضوعاتها كالاتي:

١ - الأمر بتقوى الله - تعالى -:

قال - سبحانه - : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ .

يأمر الله - سبحانه وتعالى - عباده بلزوم تقواه ، بأسلوب النداء وأسلوب التهيب من يوم القيامة ، وأيضاً بأسلوب ضرب المثل ، فقد ضرب الله مثلاً لحالة الذهول التي تصيب الناس عند قيام الساعة لشدة عذاب الله بحالة ذهول السكارى المغمورين الذين طار صوابهم وذهب وعيهم.

(١) انظر: أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع/ (ص ٦٠، ٥٩) ، تأليف: د. عبدالرحمن بن حسن بن حنكة الميداني ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع/ (ص ٢٤٩ - ٢٥٤) ، مباحث في علوم القرآن/ (٢٩٧ - ٢٩٩) ، تأليف: مناع القطان.

(٢) سورة الحج ، الآيتان (٢، ١).

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

ولوفرة عناصر التماثل نُزِلَ الممثلُ به منزلة الممثل له. ^(١)

وغرض أسلوب ضرب المثل هنا إثارة محور الخوف والرهبة في نفس المخاطب .

٢- إثبات عجز ما يعبد من دون الله عن الخلق:

قال - تعالى - : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ۚ﴾ ^(٢).

في هذه الآية يكشف الله - تعالى - عجز الشركاء الذين يزعم المشركون أنهم شركاء الله ، عن أن يخلقوا حيواناً مهماً كان حقيراً ، وعجزهم - أيضاً - عما دون ذلك بكثير ، ومن ذلك الذباب الذي يرونه حيواناً حقيراً ، ولا يقيمون له وزناً ، لن يستطيعوا أن يخلقوا مثله منفردين ولا مجتمعين ، وفي هذا تحدٍ شامل لكل الشركاء ، ومن ورائهم ممن يعبدونهم من دون الله .

ومن أمثلة عجزهم عما هو دون عملية الخلق ، عجزهم عن التحكم والتصرف بالأشياء الدقيقة الصغيرة جداً ، التي يستطيع الذباب أن يحسَّ بها ، ويقبض عليها ، ويسلبهم إياها ، ولا يستطيعون هم أن يحسوا بها ، ولا أن يقبضوا عليها ، ولا أن يستنقذوها من الذباب لدقتها وصغرها .

وهكذا فقد تحداهم الله - تعالى - بالخلق ، وضرب لهم مثلاً على ذلك عملية خلق الذباب ، وتحداهم بما هو دون عملية الخلق ، وضرب لهم مثلاً على ذلك عجزهم عن استنقاذ ما يسلبهم الذباب من شيء. ^(٣)

يقول الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - : « وهذا المثل من أبلغ ما أنزله الله - سبحانه - في بطلان الشرك ، وتجهيل أهله ، وتقبيح عقولهم ، والشهادة على أن

(١) انظر : أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع / (ص ١٩٢).

(٢) سورة الحج ، الآية (٧٣).

(٣) انظر : أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع / (ص ١٩٢، ١٩٣).

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

الشیطان قد تلاعب بهم أعظم من تلاعب الصبيان بالكرة ، حيث أعطوا الإلهية التي من بعض لوازمها القدرة على جميع المقدورات ، والإحاطة بجميع المعلومات ، والغنى عن جميع المخلوقات ، وأن يُعتمد إلى الرب في جميع الحاجات ، وتفريج الكربات ، وإغاثة اللهفات ، وإجابة الدعوات ، فأعطوها صوراً وتماثيل يمتنع عليها القدرة على أقل مخلوقات الآلهة الحق ، وأذلها ، وأصغرها ، وأحقرها ، ولو اجتمعوا لذلك وتعاونوا عليه .^(١)

وهذا المثل يُحدث في النفس حركة التفات بارعة ، يلتفت بها المرء من الكلام الجديد إلى صورة المثل المأنوس ، فيلمح ما بينهما من التشابه أو التطابق ، فلا يلبث أن يتلقى الأمر الجديد بمزيد من القبول والارتياح ، والفهم والتصور ، ويجري ذلك كله في أقل من لمح البصر ، وهذه الحركة النفسية البارعة لها أثر كبير في تجديد وتنبيه وتنشيط النفس الإنسانية.^(٢)

ويُراد بضرب المثل هنا إقناع المدعو بفكرة أساسية ، وشحذ ذهنه للتفكير الصحيح ، والقياس المنطقي السليم ، لذلك صُدِّرَ هذا المثل بالنداء للفت انتباه المخاطب .
وقوله - تعالى - : ﴿... ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ...﴾ مثل مرسل ؛ عبارة عن جملة أرسلت إرسالاً من غير تصريح بالتشبيه ، وفيه تقديم لأفكار غزيرة جداً ودقيقة ، يحتاج بيانها إلى كلام كثير ، في عبارة موجزة ، وذلك بتأكيد عجز وضعف الآلهة المزعومة وعُبادها.^(٣)

٣- إثبات عقيدة البعث والنشور:

قال - تعالى - : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ثَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَتُوقَىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يَردُّ إِلَىٰ

(١) أعلام الموقعين عن رب العالمين / (١/١٨١).

(٢) انظر : تذكرة الدعاة / (ص ٦٤) ، للأستاذ : البهي الخولي .

(٣) انظر : مباحث في علوم القرآن / (ص ٢٩٦).

الدعوة إلى الله في سورة الحج — (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

أَرَدَلِ الْعُمْرُ لِكَيْلًا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴿١﴾
إن أسلوب ضرب المثل المُصَدَّر بأسلوب النداء في هذه الآية يقرر حقيقة البعث والنشور ويقدم صورة مقنعة على إمكان حدوثه.

فقد ضرب الله مثلاً لقضية الحياة بعد الموت بحياة النبات في دوراته المتكررة ، التي تنتهي بالحصاد فتعود به الأرض ميتة لا حياة فيها ، ولا خضرة ولا نضرة ، ثم تبدأ الدورة من جديد ، فيسوق الله السحب الثقيلة بالماء ، فتُنزل الأمطار على الأرض الميتة ، فتتحرك بقضاء الله وقدره عوامل الحياة الكامنة ، في البذور المتناثرة المدفونة في الأرض ، فتمتص البذور ماءها وغذاءها من الطين ، ثم تنبت من جديد ، فتتشقق الأرض وتخرج الزروع المختلفة ، وتنبت الجِئَان على أمثال أسلافها مما تركت من بذورها.

فدورة الحياة التي تتكرر باستمرار في النبات ، تكفي مثلاً مقنعاً يقرب لأذهان الذين يتعجبون مما لا يشاهدون له نظائر في الواقع فكرة إمكان عودة الحياة للذين يموتون من الأحياء ، وتفنن أجسادهم ، وتبلى عظامهم ، إن الأمر لا يحتاج أكثر من توجيه إرادة الخالق وقدرته للتنفيذ. ﴿٢﴾

٤ - بيان عبادة الشاك في دينه لله - تعالى - :

قال - تعالى - : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ ﴿٣﴾

(١) سورة الحج ، الآيات (٥ - ٧) .

(٢) انظر : أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع / (ص ١٤٩) .

(٣) سورة الحج ، الآية (١١) .

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع/ وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

في الآية الكريمة استعارة تمثيلية فالذي يعبد الله على حرف قلق في دينه على غير ثبات وطمأنينة كالذي هو على حرف الجبل ، فإنه يضطرب اضطراباً ويضعف قيامه ، فقيل للشاك في دينه أنه يعبد الله على حرف ، أي متزلزلاً لأنه على غير يقين من وعده ووعيده ، بخلاف المؤمن فهو يعبد الله على يقين وبصيرة فلم يكن على حرف.^(١)
قال الشيخ ابن عاشور^(٢) - رحمه الله - : «وقوله - تعالى - : ﴿...يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ...﴾ تمثيل لحال المتردد في عمله ، يريد تجربة عاقبته ؛ بحال من يمشي على حرف جبل أو حرف واد ، فهو متهيئ لأن يزل عنه إلى أسفله ، فينقلب أي ينكب».^(٣)
وهذا المثل يقرّب المعنى للذهن ، ويساعد السامع على تصور عبادة الشاك في دينه لله - تعالى - .

ومما سبق تتضح أبرز موضوعات آيات أسلوب ضرب المثل في سورة الحج.

(١) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن/ (٢٠/٩).

(٢) تقدمت ترجمته في (ص ٢٤) من هذه الرسالة.

(٣) التحرير والتنوير/ (٢١٢/١٦).

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها وميادينها في سورة الحج)

المبحث الثالث : ميادين الدعوة إلى الله في سورة الحج .

توطئة:

تتعدد ميادين الدعوة إلى الله وتختلف باختلاف الأماكن التي تمارس فيها الدعوة ، وينبغي للداعي إلى الله أن يراعي الموضوعات ، والأساليب ، والوسائل المناسبة لكل ميدان كي تؤتي جهوده الثمار المرجوة منها .

وفي سورة الحج وردت أبرز الميادين الدعوية التي ينبغي للداعي إلى الله أن يجتهد فيها في الدعوة إليه .

فالميدان الأول هو ميدان المسجد ، وهو ميدان رئيس يلتقي فيه الداعي إلى الله بأعداد كبيرة من المدعوين خمس مرات يومياً ، ويستطيع أن يدعو فيه إلى الله بأنواع متعددة من الوسائل والأساليب .

أما الميدان الثاني فهو ميدان الحج الذي يجتمع فيه المسلمون من شتى بقاع الأرض ، يقبلون فيه على الله ، ويتجردون من مظاهر الدنيا الزائلة ، لهذا فهو ميدان خصب للدعوة إلى الله ، إذ تتوفر فيه من الخصائص ما لا توجد في غيره .

والميدان الثالث من ميادين الدعوة إلى الله في سورة الحج هو ميدان الجهاد في سبيل الله ، فكما أن الجهاد من وسائل تبليغ الدعوة إلى الله بالعمل ، فإنه -أيضاً- ميدان تمارس فيه الدعوة إلى الله بدعوة المسلمين من الجند للالتزام بشرع الله ، وتطبيق الإسلام في جميع شؤونهم وأحوالهم ، وبدعوة الكافرين للدخول في هذا الدين العظيم ، إذ إنه سبب نجاحهم في الدنيا والآخرة .

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

المطلب الأول: ميدان المسجد.

أولاً: تعريف المسجد :

أ- تعريف المسجد في اللغة:

سَجَدَ يسجد سجوداً : وضع جبهته بالأرض.

والمسجد والمسجد : الذي يُسجد فيه. ^(١)

وسَجَدَ سجوداً : خضع وتطامن.

والمساجد من بدن الإنسان : الأعضاء التي يسجد عليها.

والمسجد : مصلى الجماعة ، والجمع : مساجد. ^(٢)

ب- تعريف المسجد في الاصطلاح:

مكان مهياً للصلوات الخمس دون انقطاع.

وقيل: كل موضع من الأرض ، لقوله -ﷺ- : (...وجعلت لي الأرض مسجداً...). ^(٣)

وهذا من خصائص هذه الأمة ، لأن من كان قبلنا كانوا لا يصلون إلا في موضع

يتيقنون طهارته ، ونحن خصصنا بجواز الصلاة في جميع الأرض إلا ما تيقنا نجاسته.

ولما كان السجود أشرف أفعال الصلاة ؛ لقرب العبد من ربه اشتق اسم المكان منه،

فقيل : مسجد ، ولم يقولوا : مكرع.

ثم إن العرف خصص المسجد بالمكان المهياً للصلوات الخمس ، حتى يخرج المصلى

المجتمع فيه للأعياد والجنائز ونحوهما ، فلا يعطى حكمه. ^(٤)

(١) انظر : لسان العرب / (٣/٢٠٤).

(٢) انظر : المعجم الوسيط / (ص ٤١٦).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الصلاة ، باب قول النبي -ﷺ- : (...وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً) ،

ح (٤٣٨) ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب المساجد ومواضع الصلاة ،

ح (٣) ، انظر : موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ٣٧ ، ٧٥٩).

(٤) انظر : إعلام الساجد بأحكام المساجد / (ص ١٣ ، ١٤) ، للإمام بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي الشافعي ،

قدّم له واعتنى به : أيمن بن صالح شعبان.

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

ثانياً: أهمية ميدان المسجد في الدعوة إلى الله :

تتضح أهمية ميدان المسجد في الدعوة إلى الله من خلال ما يلي:

١- أن للمسجد مكانة كبرى في الإسلام ، فهو بيت الله ، وأحب البقاع إليه ، وهذا يعطيه مكانة وشرفاً لا يضاهيه فيها أي مكان آخر ، قال -تعالى-: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ١٠﴾ (١).

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله -ﷺ- : (أحبُّ البلاد إلى الله -تعالى- مساجدها ، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها). (٢)

لهذا فقد حثَّ الشارع الحكيم على ارتياد المساجد ، ورتب على ذلك الأجر العظيم ، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: (من غدا إلى المسجد أو راح ، أعد الله له في الجنة نزلاً ، كلما غدا أو راح). (٣)

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله -ﷺ- : (من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ، ليقضي فريضة من فرائض الله ، كانت خطواته إحداها تحط خطيئة ، والأخرى ترفع درجة). (٤)

وقد أمر الله -سبحانه- عباده بأخذ الزينة عند الذهاب إلى المساجد ، فقال -تعالى-: ﴿يَبْنَئِيْ ءَادَمُ خُذُوْا زِيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ...﴾ (٥).

(١) سورة الحج ، الآية (٢٦).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح ، وفضل المساجد ، ح (٢٨٨). انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ٧٨٢).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب المشي إلى الصلاة تمحي به الخطايا وترفع به الدرجات ، ح (٢٨٥) ، وأخرجه الإمام البخاري في كتاب الآذان ، باب فضل من غدا إلى المسجد ومن راح ، ح (٦٦٢). انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ٧٨٢ ، ٥٣).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب المشي إلى الصلاة تمحي به الخطايا وترفع به الدرجات ، ح (٢٨٢). انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ٧٨٢).

(٥) سورة الأعراف ، الآية (٣١).

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

كما حثت الشريعة الإسلامية على بناء المساجد ، ورغبت في الاهتمام بها ، قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامِنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا لِلَّهِ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (١) .
وعن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قال : قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (من بنى مسجداً لله بنى الله له بيتاً في الجنة مثله) . (٢)

وإن من عمارتها الدعوة إلى الله فيها ، فالمسجد أكثر الميادين الدعوية قدسية وشرفاً في نفوس المدعوين ، مما له أثر كبير في التأثير فيهم .

٢- الدعوة إلى الله في ميدان المسجد يترتب عليها الأجر العظيم ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (... وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ...) . (٣)

٣- أن أول عمل قام به النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد هجرته إلى المدينة بناء مسجد قباء ، وقبل أن يبني له بيتاً - عليه الصلاة والسلام - ، وذلك لما للمسجد من أثر كبير في نشر الدعوة إلى الله . (٤)

ثالثاً : الدعوة إلى الله في ميدان المسجد :

يعدُّ المسجد من أبرز ميادين الدعوة إلى الله ؛ وذلك لما له من مكانة كبرى في قلوب المسلمين ؛ ولاجتماع المسلمين فيه خمس مرات في اليوم والليلة لأداء الصلوات

(١) سورة التوبة ، الآية (١٨) .

(٢) أخرجه الإمام مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل بناء المساجد والحث عليها ، ح (٢٥) ، وأخرجه الإمام البخاري في كتاب الصلاة ، باب من بنى مسجداً ، ح (٤٥٠) . انظر : موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ٧٦٠ ، ٣٨) .

(٣) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ، ح (٣٨) . انظر : موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ١١٤٧) .

(٤) انظر : زاد المعاد في هدي خير العباد / (١/ ٦٥) ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (دراسة تحليلية) / (ص ٢٨٦) ، د. مهدي رزق الله أحمد .

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

الخمس ، وهذا يُسهل على الداعي إلى الله الالتقاء بعدد كبير من المدعويين الذين يحملون في أنفسهم خيراً كثيراً ، بدليل حضورهم إلى المسجد خمس مرات في اليوم واليلة لأداء الصلاة، مما يوفر على الداعي جهداً كبيراً في دعوتهم .

ويمكن للداعي إلى الله أن يدعو في المسجد من خلال ما يأتي:

١ - أداء العبادات:

المسجد هو أكثر الأماكن التي يعبد فيها الله - سبحانه - ولهذا قال - تعالى - : ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْذَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝﴾^(١).

أي ولولا أن الله يدفع بقوم عن قوم ، ويكف شرور أناس عن غيرهم بما يُقدِّره من الأسباب لفستت الأرض ، ولأهلك القوي الضعيف ، ولهدمت الصوامع وهي لرهبان النصارى ، والبيع وهي كنائس عموم النصارى ، وصلوات اليهود وهي كنائسهم ، ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيراً ، وهذا ترقٍ من الأقل إلى الأكثر إلى أن انتهى إلى المساجد وهي أكثر عماراً وأكثر عبادةً ، وهم ذوو القصد الصحيح^(٢).

وقد أمر الله - سبحانه وتعالى - خليله إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - بتطهير بيته الحرام لعباده المتعبدين ، قال - تعالى - : ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۝﴾^(٣).

وهذا الخطاب من الله - سبحانه - للنبي - ﷺ - أي : واذكر يا محمد - ﷺ - حين جعلنا لإبراهيم - عليه الصلاة والسلام - مكان البيت مرجعاً يرجع إليه للعمارة والعبادة

(١) سورة الحج ، الآية (٤٠).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم / (٣/٢١٤).

(٣) سورة الحج ، الآية (٢٦).

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

قائلين له : أن لا تشرك بي شيئاً ، وطهر بيتي من الأصنام والأقدار لمن يطوف به ، وللمقيمين بمكة ، وللمصلين فيه .^(١)

والمسجد الذي يكثر فيه العبادة الركع السجود نراه يؤثر كثيراً في عدد كبير من المدعوين في الاستجابة للدعوة والانضمام إليها .

فعبادة الله - سبحانه وتعالى - في المسجد دعوة واضحة إلى سبيله ، وإظهاراً لدينه ، وتطبيق عملي للدعوة إلى الله ، فكثير من السنن المهجورة تجدد العمل بها وفشا أمرها بأدائها في المسجد ، والداعي إلى الله حين يعتكف في المسجد يدعو إلى الاعتكاف بعمله ، إلى جوار تعبد الله - تعالى - .

٢- الدروس العلمية:

المساجد ميدان خصب للدعوة إلى الله عن طريق حلقات العلم العامة بذكر الله التي تقام فيه ، وتعتمد على كتاب الله - سبحانه وتعالى - وعلى سنة نبيه - ﷺ - .
فالدروس العلمية تحارب الجهل ، وتنشر العلم ، وتوجه المسلم إلى خيري الدنيا والآخرة ، وبها يتعلم المسلم عبادة ربه على منهج صحيح .
ومن مميزاتها :

- أ- أنها تمكن الداعي إلى الله من إيصال العلم للناس .
- ب- أنها تجعل المدعو أكثر احتكاكاً بالداعي ، وهذا يجعل الألفة بينهم كبيرة ، وبذلك يتعرف الداعي إلى الله على أفكار وآراء المدعو ، مما يساعده على معرفة أفضل السبل لدعوته .
- ج- أنها تعدّ جيلاً جديداً من الدعاة إلى الله من ذوي العلم والدراية والوعي الدقيق .
- د- أنها تقوم على الدليل المؤصل ، مما يجعل الداعي إلى الله ذا منهج معتدل ، وفكر سليم من التحريف .^(٢)

(١) انظر: تفسير التفسير (المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل) (٩٨/٣) .

(٢) انظر : فن نشر الدعوة مكاناً وزماناً / (ص ١١٩) ، للدكتور: محمد زين الهادي العرماني .

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

وقد كان الداعي الأول -عليه الصلاة والسلام- يعلم الناس في مسجده ، ويرغب في العلم ويحث عليه .

فعن أبي واقد الليثي^(١) أن رسول الله -ﷺ- بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر ، فأقبل اثنان إلى رسول الله -ﷺ- وذهب واحد ، قال : فوقفا على رسول الله -ﷺ- فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خلفهم ، وأما الثالث فأدبر ذاهباً ، فلما فرغ رسول الله -ﷺ- ، قال : (ألا أخبركم عن نفر الثلاثة : أما أحدهم فأوى إلى الله -تعالى- فأواه الله إليه ، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه ، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه).^(٢)

٣- الفتيا :

يحتاج المسلم في حياته العملية إلى من يرشده فيما يعترضه من مواقف يقف إزاءها حائراً لا يعرف لها حلاً ، وجهد الداعي إلى الله في تعليم وتبليغ الدعوة إلى الله عن طريق المحاضرات و الدروس العلمية لا تكفي وحدها لنشر العلم والفقهاء لدى المدعوين ؛ فحاجات الناس مختلفة ، وعلمهم واستيعابهم متفاوت ، وتفصيلات الحياة دقيقة ومتجددة ومتنوعة ؛ لهذا فالحاجة إلى الداعية العالم حاجة شديدة ، فإن لم يتصدر للفتيا من هو أهل لها سيتصدر لها من لا يفقه في الدين شيئاً.

وينبغي للداعي إلى الله أن يحذر من الفتيا بغير علم ، فإن الفتوى تبليغ عن الله ، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال : (من أفتي بغير علم كان إثمه على من

(١) أبو واقد الليثي ، مُختلف في اسمه ، قيل: الحارث بن مالك ، وقيل: ابن عوف ، وقيل: عوف بن الحارث ، روى عن النبي -ﷺ- وعن أبي بكر ، وعمر -رضي الله عنهما- ، قيل : أنه شهد بدرًا ، قدم الإسلام ، نقل البخاري أنه مات في خلافة معاوية -رضي الله عنه- . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة / (٧/٣٧١، ٣٧٠) ، تهذيب التهذيب / (٤/٦٠٤).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في كتاب العلم ، باب من قصد حيث ينتهي به المجلس ، ومن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها ، ح(٦٦) ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب السلام ، باب من أتى مجلساً فوجد فرجة فجلس فيها ، وإلا وراءهم ، ح(٢٦). انظر : موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ٨ ، ١٠٦٥).

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

أفتناه^(١).

والمسجد هو الميدان الأول الذي يبحث فيه المسلم عن يفتيه ، لهذا فالدعوة إلى الله من خلال الفتيا في المسجد باب واسع ينفذ إلى أصناف شتى من المدعوين ، ويساعد الداعي إلى الله على فهم واقع الناس وحاجاتهم ، كما يقربه إلى المدعو بتفريغ همه بإفتائه، لهذا كانت الفتيا من أفضل السبل التي توجد مجالاً خصباً للدعوة إلى الله ؛ فإن النفوس جُبِلَتْ على حب من أحسن إليها ، وحينما يجيب الداعي إلى الله على استفتاء المدعو فإن ذلك يجعله يتقبل ما يعرضه عليه الداعية من توجيهات وإرشادات دعوية.

وقد كان رسول الله - ﷺ - يفتي في المسجد ، ويفد إليه الناس من كل حذب وصوب ، يتوجهون إليه بالاستفتاءات فيقابلها بالأجوبة الجامعة المانعة .

ومن ذلك ما رواه عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رجلاً قام في المسجد فقال : يا رسول الله ، من أين تأمرنا أن نُهل ؟ فقال رسول الله - ﷺ - : (يُهل أهل المدينة من ذي الحليفة ، ويُهل أهل الشام من الجحفة ، ويُهل أهل نجد من قرن)^(٢).

فكان المسجد إلى جوار كونه داراً للعبادة داراً للفتيا كذلك .

٤ - الوعظ :

الوعظ يطلق على القول الحق الذي يلين القلوب ويؤثر في النفوس ويكبح جماح النفوس المتمردة ويزيد النفوس المهذبة إيماناً وهداية ، فمن المعلوم أن الأمراض والعلل تعرض للأجسام فتذهب بجمالها ، وكثيراً ما تؤدي بحياتها إذا لم تسعف بالعلاج الناجع قبل استفحالها واشتداد خطرهما ، والقلوب كالأجسام يعرض لها من الأمراض والعلل ما

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه في كتاب العلم ، باب التوقي في الفتيا ، ح (٣٦٥٧) ، وأخرجه الإمام ابن ماجة في باب اجتناب الرأي والقياس ، ح (٥٣) ، وقال العلامة المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني عن الحديث : « حسن » . انظر : سنن أبي داود / (ص ٥٥٣) ، سنن ابن ماجة / (ص ٢٣).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في كتاب العلم ، باب ذكر العلم والفتيا في المسجد ، ح (١٣٣) ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الحج ، باب مواقيت الحج ، ح (١٥) . انظر : موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ١٤ ، ٨٦٩).

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

يطفئ نورها ، وقد يفقدها حياتها ، وذلك بورودها موارد الغي والضلال ، وإهمالها في اللذات والشهوات والستهوان بالأوامر والنواهي ، وعدم المبالاة بأنواع الفسوق والفجور ، وسيئات البدع ونبد الآداب الدينية والأخلاق المحمدية ، وارتكاب كل ما لا يرضاه الشرع والعقل من الشرور والقبائح.

فمن هذه الأفعال تكون أمراض القلوب وعللها ، ولا دواء لها إلا بالمواظع والإرشادات والنصائح من الكتاب والسنة ، فبها تصح النفوس.

والمسجد هو الميدان الأول للوعظ ، والواعظ الماهر ، يستطيع بما وهبه الله - عز وجل - من نور الحكمة ، وقاطع الحجة ، وساطع البرهان ، وقوة البيان ، وغزارة العلم ، أن يصحح القلوب من أمراضها ، وينبه العقول من غفلتها ويطهر النفوس من أدران النقائص والردائل ، وينير أمامها السبل الموصلة إلى الرشد حتى ترجع عن غيها ، وتتحرى بالفضائل والكمال.^(١)

إلا أنه ينبغي مراعاة الضوابط المقيدة للوعظ ، بحسن اختيار الزمان والمكان الملائمين للحديث ، واختيار الموضوع المناسب ، وعدم الإطالة إلا أن يرى الداعية تشوقاً للكلام من المدعوين ، وألا يكثر منها في كل وقت ، فإن هذه الأمور تؤثر في تقبل المدعو لما يقال له .

ومما يدل على هذا أن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - كان يذكر الناس كل خميس ، فقال له رجل : « يا أبا عبد الرحمن ، لوددت أنك ذكرتنا كل يوم » ، قال : (أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملككم ، وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يتخولنا^(٢) بمخافة السامة علينا).^(٣)

(١) انظر : هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة / (ص ٧١) ، وما بعدها ، تأليف الشيخ : علي بن محفوظ .

(٢) يتخولنا : أي يتعهدنا . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر / (ص ٢٩٠) .

(٣) أخرجه الإمام البخاري في كتاب العلم ، باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة ، ح (٧٠) ، وأخرجه

الإمام مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب الاقتصاد في الموعظة ، ح (٨٣) . انظر : موسوعة

الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ٨ ، ١١٦٩) .

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

٥ - الخطابة :

وهي: «كلام منشور مسجوع ومرسل، أو مزدوج بينهما، غايته التأثير والإقناع»^(١). ولها فضلٌ عظيم ، وشأنٌ جسيم ، وشرفها بشرف غاياتها ، وأفضل غاياتها إرشاد الناس إلى الحقائق وحملهم على ما ينفعهم في العاجل والآجل .

كما أن لها فوائد جمة ، فهي التي تُعرف صاحبها كيف يمتلك القلوب ، ويستميل النفوس ، ويحرك العواطف ، ويهيج الخواطر نحو ما يريد ، كما أنها تثير الحماسة في النفوس الفاترة ، وتهدي النفوس الثائرة ، وهي التي ترفع الحق وتخفض الباطل ، وتقيم العدل وترد الظلم^(٢).

والخطابة من الأمور المهمة التي تتحقق بها الدعوة إلى الله ، ويتضح ذلك من خلال ما يلي:

- ١- أن الخطابة للداعية كالمصباح ينير له الطريق ويكشف له الدرب ويهدي الضال، وكالآلة في يد الصانع الماهر تشكل له ما يشاء وتصنع له ما يريد .
- ٢- أن الخطابة سلاح يدافع به الداعية عن دعوته ، يرد به كيد الكائدين وجحود الجاحدين ، وعنت الضالين ، يأتي بها الداعية الفصيح ، صاحب الحجة البينة ، فيرفع الحق الأبلج والحجة المضيفة ضد كل منافقٍ عليم اللسان ، ومنحرفٍ صاحب بيان .
- ٣- أن الخطابة وسيلة لصياغة المبادئ ، وإظهار جلالها ورفعة شأنها ، كما أنها سبب سيادة الحق .
- ٤- أنها صلب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تأتي لصيانة جسد الأمة من الهدم والتحلل ، كما أنها لازمة لطرد الأهواء ، وعلاج الأمراض الدخيلة^(٣). هذا فيما يتعلق بالدعوة إلى الله في ميدان المسجد.

(١) معالم في منهج الدعوة/ (ص ٣٣٧) ، لفضيلة الشيخ الدكتور: صالح بن عبد الله بن حميد.

(٢) انظر: فن الخطابة وإعداد الخطيب/ (ص ١٥ ، ١٦) ، للشيخ : علي بن محفوظ.

(٣) انظر: الخطابة وإعداد الخطيب/ (ص ٣٠ ، ٣١) ، للدكتور : توفيق الواعي.

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

المطلب الثاني: ميدان الحج.

أولاً : أهمية ميدان الحج في الدعوة إلى الله :

تتضح أهمية ميدان الحج في الدعوة إلى الله من خلال ما يلي:

١- أن الحج هو الاجتماع السنوي للمسلمين من كل أنحاء العالم ، يجتمعون في مكان معلوم وفي أيام معلومة ليستنوا بسنة الداعي الأول محمد - ﷺ - في أداء مناسكهم.

٢- أن الحج مؤتمر عالمي لدعاة الإسلام ، والأفعال التي يقومون بها في الحج كلها علامات على مراحل من حياة سيدنا إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - في سبيل الدعوة ، وفي تصور هذه الوقائع ينمو شعور بالدعوة وروح التبليغ ، كما كان إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - داعياً إلى الله.

٣- أن الحج بروحه الأصلية يقتضي إحياءه للدعوة ، يعرض الناس من مختلف البلاد أحوال الدعوة في بلدانهم في هذه المناسبة العالمية ، ويطلع الناس على تجارب المناطق الأخرى ويستفيدوا منها ؛ لهذا فمن المهم أن تركز خطب الحج على بيان أهمية الدعوة ، وتشرح إمكاناتها الجديدة ، ليتم نشرها على المستوى العالمي.

٤- في الحج تتحقق الوحدة العالمية بين مسلمي العالم ، والوحدة تتطلب هدفاً مشتركاً يركز الناس أنظارهم حوله ، ويحفظهم من التشتت والاختلاف ، والدعوة إلى الله هي الهدف الأعلى للأمة المسلمة ، والتمسك به يجعل الحج ميداناً للدعوة الإسلامية.^(١)

ثانياً : الدعوة إلى الله في ميدان الحج :

تتحقق الدعوة إلى الله في ميدان الحج من خلال ما يلي:

(١) انظر: حقيقة الحج/ (ص ٣٧) وما بعدها، تأليف: وحيد الدين خان ، ترجمة: ظفر الإسلام خان.

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

١ - الخطابة والوعظ والإرشاد^(١):

من الدعوة إلى الله في ميدان الحج الخطابة في الناس بموضوع يناسب حالهم في أيام الحج ، وبعد عودتهم إلى ديارهم.

فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - خطب الناس في يوم عرفة ، فقال : (إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث ، كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل ، وربا الجاهلية موضوع ، وأول ربا أضع ربانا ، ربا عباس بن عبد المطلب ، فإنه موضوع كله ، فاتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به ، كتاب الله ، وأنتم تُسألون عني ، فما أنتم قائلون؟) ، قالوا: « نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت » فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: (اللهم اشهد ، اللهم اشهد) ثلاث مرات.^(٢)

كما خطب رسول الله - ﷺ - الناس في يوم النحر.

فعن أبي بكرة^(٣) - رضي الله عنه - قال : « خطبنا النبي - ﷺ - يوم النحر ، قال : (أتدرون أي يوم هذا؟) ، قلنا : « الله ورسوله أعلم » ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : (أليس يوم النحر؟) ، قلنا : « بلى » ، قال : (أي شهر هذا؟) ، قلنا : « الله ورسوله أعلم » ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، فقال : (أليس ذو الحجة) ، قلنا : « بلى » ، قال : (أي بلد هذا؟) ، قلنا : « الله ورسوله أعلم » ، فسكت حتى ظننا

(١) وهذا - أيضاً - مما تتحقق به الدعوة إلى الله في ميدان المسجد ، انظر: (ص ٢٦٣-٢٦٥) من هذه الرسالة .

(٢) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الحج ، باب حجة النبي - ﷺ - ، ح (١٤٧) . انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ٨٨٠) .

(٣) تقدمت ترجمته في (ص ١٥٢) من هذه الرسالة .

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : (أليست بالبلدة الحرام؟) ، قلنا : « بلى » ، قال : (فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، إلى يوم تلقون ربكم ، ألا هل بلغت؟) ، قالوا : « نعم » ، قال : (اللهم اشهد ، فليبلغ الشاهد الغائب ، فرب مُبْلَغٍ أوعى من سامع فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)^(١).

كما ينبغي للداعي إلى الله أن يتحول الناس بالموعظة في أيام الحج ، فيذكّرهم بفضل هذا الركن العظيم من أركان الإسلام ، وأن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ، ويدعوهم إلى تقوى الله ، والابتعاد عن اللغو والجدال ، والرفث والفسوق ، وإلى تجنب الذنوب والمعاصي كبيرها وصغيرها ، فإنما هي أيام قليلة ، ينبغي للحاج أن يحرص على ملازمة ذكر الله فيها ، قال - تعالى - : ﴿ لَيْسَ شَهِدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ ٢٥٦ ٢٥٧ ﴾^(٢) .
و يذكّرهم بأن الله توعّد من هم بالسيئة في الحرم بالعذاب الأليم ، قال - تعالى - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٥٨ ٢٥٩ ﴾^(٣) .
كما أن من الدعوة إلى الله في ميدان الحج إرشاد حجاج بيت الله إلى ما يجب أن يفعلوه من مناسك الحج بالتعليم والنصح والتطبيق ، وخاصة مع أولئك الذين لا يعرفون أركان الحج بتمامها ، أو يخطئون في تطبيقها .

٢ - الدروس العلمية^(٤) :

الحج ميدان خصب للدعوة إلى الله عن طريق الدروس العلمية التي تقام فيه ، وتعتمد

(١) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الحج ، باب الخطبة أيام منى ، ح (١٧٤١) ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب القسامة والمحاريب ، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ، ح (٣٠) . انظر : موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ١٣٦ ، ٩٧٤) .

(٢) سورة الحج ، الآية (٢٨) .

(٣) سورة الحج ، الآية (٢٥) .

(٤) وهذا - أيضاً - مما تتحقق به الدعوة إلى الله في ميدان المسجد ، انظر : (ص ٢٦١ ، ٢٦٢) من هذه الرسالة .

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

على كتاب الله - سبحانه وتعالى - وعلى سنة نبيه - ﷺ - .

وتقدم على هيئة سلسلة علمية تتناول جوانب العقيدة ، وأحكام الشريعة كأحكام الطهارة والصلاة ، وموضوعات الأخلاق ، وأيضاً تشتمل على دروس في الدعوة إلى الله ، وغير ذلك.

٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

في الحج يتوافد الحجاج من شتى بقاع الأرض ، وبسبب اختلاف أحوال المدعوين وعاداتهم تظهر بعض المنكرات والبدع التي تنم عن جهل بالدين.

فينبغي للداعي إلى الله أن يُقر المعروف ويأمر به ، وينهي عن المنكر ويسعى لإزالته ، ومن ذلك ما يظهر من بعض الحجاج من التوسل بغير الله في بعض المواطن ، ومن التعلق بأستار الكعبة والتبرك بها وغيرها ، وسماع آلات اللهو والمعازف والكذب والغيبة والنميمة ونحو ذلك.

كما يُنكر المنكرات التي تتعلق بشعائر الحج ، ويسعى إلى إرشاد الناس إلى سنة المصطفى - ﷺ - في حجه .

وقد أنكر النبي - ﷺ - على الناس إسراعهم في الإفاضة من عرفة ، وأمرهم بالسكينة، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - : أنه دفع مع النبي - ﷺ - يوم عرفة ، فسمع النبي - ﷺ - وراءه زجراً شديداً وضرباً للإبل ، فأشار بسوطه إليهم ، وقال: (أيها الناس عليكم بالسكينة ، فإن البر ليس بالإيضاع)^(١).

٤ - الفتيا^(٢):

تشدد حاجة الناس إلى الفتيا في ميدان الحج ، فكثيراً ما يقع من الحجاج ما يُشكل عليهم عند أداء مناسكهم من إخلال ببعض أركان الحج ، أو واجباته ، أو سننه ، وقد

(١) أضعوا : أسرعوا . أخرجه الإمام البخاري في كتاب الحج ، باب أمر النبي - ﷺ - بالسكينة عند الإفاضة

وإشارته إليهم بالسوط ، ح (١٦٧١) . انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ١٣١) .

(٢) الفتيا مما تتحقق به الدعوة إلى الله في ميدان المسجد . انظر: (ص ٢٦٢ ، ٢٦٣) من هذه الرسالة .

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

تلتبس عليهم بعض أعمال الحج بتقديم وتأخير ونحو ذلك ، ولذلك يحتاجون إلى من يفتيهم في مسائلهم .

فعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن رسول الله - ﷺ - وقف في حجة الوداع فجعلوا يسألونه ، فقال رجل : « لم أشعر فحلقت قبل أن أذبح » ، قال : (اذبح ولا حرج) ، فجاء آخر ، فقال : « لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي » ، قال : (ارم ولا حرج) . فما سئل النبي - ﷺ - يومئذ عن شيء قدم ولا أخر إلا قال : (افعل ولا حرج) .^(١) فينبغي للفقهاء الداعين إلى الله أن ييسط نفسه للناس ويتصدر للفتيا إن كان من أهلها ، كي لا يُضِلَّ المسلمين أناس جهال ، وعليه أن يراعي أحوال السائلين وواقعهم ، ويوضح لهم ما يُشكل عليهم بأسلوب قريب لأفهامهم .

٥ - تقديم الإرشادات الوقائية والعلاجية للحجاج :

في الطب مجال عظيم للدعوة إلى الله ، ولدعوة الطبيب الداعي إلى الله تأثير كبير في المدعوين ، وإن من الدعوة إلى الله في ميدان الحج الاهتمام بصحة الحاج وقاية وعلاجاً ، والطبيب الداعي إلى الله وجوده ضروري في ميدان الحج ؛ لتقديم الإرشادات الوقائية والعلاجية للحجاج مع إرشادهم في الوقت نفسه إلى ما يتم به حجهم عند حصول ما يعوقه من مرض أو أذى يتعلق بمناسك الحج .

فعن كعب بن عجرة^(٢) - رضي الله عنه - وقد كان مُحْرِمًا أنه قال : « حُمِلت إلى النبي - ﷺ - والقمل يتناثر على وجهي ، فقال : (ما كنت أرى أن الجهد قد بلغ بك هذا ، أما تجد

(١) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الحج ، باب الفتيا على الدابة عند الجمرة ، ح (١٧٣٦) ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الحج ، باب جواز تقديم الذبح على الرمي ، والحلق على الذبح وعلى الرمي ، وتقديم الطواف عليها كلها ، ح (٣٢٧) . انظر : موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ١٣٦ ، ٨٩٤) .

(٢) كعب بن عجرة بن أمية بن عدي ، أبو إسحاق ، وقيل : أبو عبد الله ، روى عن النبي - ﷺ - وعن عمر - رضي الله عنه - ، وشهد عمرة الحديبية ، توفي في المدينة سنة إحدى وخمسين ، وقيل : اثنين ، وقيل : ثلاث ، وله خمس ، وقيل : سبع وسبعون سنة . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة / (٥/ ٤٤٨ ، ٤٤٩) .

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

شاة؟) قلت : « لا » ، قال : (صم ثلاثة أيام ، أو أطعم ستة مساكين ، لكل مسكين نصف صاع من طعام، واحلق رأسك) ، فنزلت في خاصة ، وهي لكم عامة ^(١).
يريد قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ...﴾ ^(٢).

٦- مساعدة الحاج والإحسان إليهم:

إن القيام بشئون الحاج وخدمتهم وقضاء حوائجهم مما تتحقق به الدعوة إلى الله ، والناس مجبولون على حب من أحسن إليهم ، وتشتد حاجة الناس في ميدان الحج إلى من يرشدهم ويساعدهم في الوصول إلى المشاعر المقدسة ، أو أماكن إقامتهم ، أو إلى المستشفيات ... ونحو ذلك.

وبمراعاة هذا الجانب يستطيع الداعي أن يدعو المدعوين إلى الله ، وقد همّوا لقبول ما يقوله ، وبذلك تحقق دعوته الثمار المرجوة منها - بإذن الله - ، كما أن مراعاة ما سبق من الدعوة إلى الله في ميدان الحج مما يساعد كثيراً في نشر الدعوة إلى الله .

(١) أخرجه الإمام البخاري في كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿...فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ...﴾ ، [سورة البقرة ، (١٩٦)] ، ح (٤٥١٧) ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الحج ، باب جواز حلق الرأس للمحرم إذا كان به أذى ، ووجوب الفدية لحلقه ، وبيان قدرها ، ح (٨٥). انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) / (ص ٣٧٠ ، ٨٧٤).

(٢) سورة البقرة ، الآية (١٩٦).

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

المطلب الثالث : ميدان الجهاد .

أولاً : أهمية ميدان الجهاد في الدعوة إلى الله :

تتضح أهمية ميدان الجهاد في الدعوة إلى الله من خلال ما يلي :

١ - في ميدان الجهاد تتحقق الغاية التي تهدف إليها الدعوة إلى الله ، وهي إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، وهو ذاته الهدف الذي شرع الله لأجله الجهاد في سبيل الله .

٢ - يلتقي الداعي إلى الله في ميدان الجهاد بأصناف من المدعوين ؛ مسلمين وكفار وأمراء وجنود ، وكل صنف بحاجة ماسة للدعوة إلى الله ، فجند المسلمين يحتاجون فقه الدين بعبادته ، وشرائعه ، وآدابه ، وأحكامه ، وعلى الأخص أحكام الجهاد ، وما يتعلق به كصلاة الخوف وتقسيم الغنائم ، ونحو ذلك .

أما الكفار فحاجتهم أشد للدعوة إلى الله ، إذ بدوهم ييقون في ظلمات الجهل والضلال ، والدعوة إلى الدخول في الإسلام فيها نجاحهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة ، قال الله - تعالى - : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ^(١) .

٣ - القيام بالدعوة في ميدان الجهاد من أسباب النصر والتمكين ، والدعوة إلى الصبر عند القتال ، والثبات في النزول ، وعدم التولي يوم الزحف ، والتأكيد على تقوية الصلة بالله ، وصدق اللجوء إليه ، والتوكل عليه ، كله من الدعوة إلى الله ؛ الذي يؤدي إلى النصر على الأعداء .

ثانياً : الدعوة إلى الله في ميدان الجهاد :

تتحقق الدعوة إلى الله في ميدان الجهاد من خلال أمرين :

الأول : دعوة المسلمين في ميدان الجهاد :

ينبغي للداعي إلى الله أن يحرص على دعوة المجاهدين من المسلمين ، فهم دعاة إلى الله

(١) سورة آل عمران ، الآية (٨٥) .

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأسايبها ومبادئها في سورة الحج)

بأفعالهم وأقوالهم ، وصلاحتهم وتقواهم يؤثر في تحقيق الغاية التي شرع لأجلها الجهاد في سبيل الله.

فيدعو أمراء الجيش وقواده ، ويحرص على إرشاد ونصح عامة الجند ، فيوصيهم بتقوى الله ، وحفظ الدين ، والالتزام بشرع الله ، والسمع والطاعة لولاة أمرهم ، ونحو ذلك ، وقد روى سليمان بن بريدة عن أبيه^(١) - عليه السلام - أن رسول الله - ﷺ - إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله - عز وجل - ومن معه من المسلمين خيراً^(٢).

كما أوصى خليفته أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يزيد بن أبي سفيان^(٣) - رضي الله عنه - لما ولاه على جيش أرسله إلى الشام ، فقال : « يا يزيد ، إني أوصيك بتقوى الله وطاعته ، والإيثار له ، والخوف منه ، وإذا لقيت العدو فأظفركم الله بهم فلا تغلل ، ولا تمثل ، ولا تغدر ، ولا تجبن ، ولا تقتلوا وليداً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ، ولا تحرقوا نخلاً ، ولا تعرفوه^(٤) ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تعفروا بهيمة إلا لما كلة ، وستمرون بقوم في الصوامع يزعمون أنهم حبسوا أنفسهم لله ، فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له ، وستجدون آخرين قد فحص^(٥) الشيطان عن أوساط رؤوسهم ، حتى كأن أوساط رؤوسهم أفاحيص القطا ، فاضربوا ما فحصوا من رؤوسهم بالسيوف حتى ينيبوا إلى

(١) تقدمت ترجمتهما في (ص ٢١٧) من هذه الرسالة.

(٢) سبق تخريج هذا الحديث في (ص ٢١٧) من هذه الرسالة.

(٣) يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب القرشي الأموي ، من مسلمة الفتح ، أمير الشام ، وأخو الخليفة معاوية ، كان من فضلاء الصحابة ، استعمله النبي - ﷺ - على صدقات بني فراس ، وكان أفضل أولاد أبي سفيان ، يقال له يزيد الخير ، توفي سنة ثمان عشرة ، وقيل : تسع عشرة . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة / ٥١٦/٦ ، ٥١٧.

(٤) لا تعرفوه : أي لا تجزوا عرفه . والعرف : كل عالٍ مرتفع . انظر : لسان العرب / (١٤١/٩).

(٥) أي : أن الشيطان قد استوطن رؤوسهم فجعلها له مفاحص كما تستوطن القطا مفاحصها أي : مساكنها . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر / (ص ٦٩٣).

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

الإسلام ، أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، ولينصرون الله من ينصره ورسله بالغيب». (١)

وكتب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لسعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - يأمره ومن معه من الأجناد بتقوى الله ، والحرص على تنقية الجيش من الذنوب والمعاصي ؛ لأثرها وشؤمها على المسلم ، فقال : « أما بعد : فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة في الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم الله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ؛ لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتُنا كعدتهم ، فإذا استوتينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ، وإلا تُنصرَ عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، واعلموا أن عليكم في مسيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله ، ... » (٢)

كما تتجلى دعوة المسلمين في ميدان الجهاد - أيضاً - في التحريض على القتال ، والحث على الصبر عند النزال ، واستفراغ الوسع في الجهاد.

قال - تعالى - : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ... ﴾ (٣)

وبالترغيب في الجنة ، والتذكير بعظم أجر المجاهد ، ومكانته عند الله ، وأن الله هو مولاه وناصره إن توكل عليه واعتصم به ، قال - تعالى - : ﴿ ...وَأَعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ (٤)

وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ

(١) تاريخ فتوح الشام / (ص ١٢) ، تأليف : محمد بن عبد الله الأزدي ، تحقيق : عبد المنعم عبد الله عامر .

(٢) العقد الفريد / (١١٧/١) ، لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق : د. مفيد محمد قميحة .

(٣) سورة الحج ، الآية (٧٨) .

(٤) سورة الحج ، الآية (٧٨) .

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَغْيٍ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهْجَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾^(١)

وقد كان رسول الله - ﷺ - في معركة بدر يحرض المؤمنين على القتال ، ويرغبهم في الجنة حيث النعيم المقيم ، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أنه لما دنا المشركون ، قال - عليه الصلاة والسلام - : (قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض) ، فقال عمير بن الحمام الأنصاري^(٢) - رضي الله عنه - : « يا رسول الله ؟ جنة عرضها السموات والأرض ؟ » ، قال : (نعم) ، قال : « بخ بخ »^(٣) . فقال رسول الله - ﷺ - : (ما يحملك على قولك بخ بخ) ، قال : « لا ، والله ! يا رسول الله ! إلا رجاء أن أكون من أهلها » ، قال : (فإنك من أهلها) ، فأخرج تمرات من قرنه^(٤) فجعل يأكل منهن ، ثم قال : « لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه ، إنها لحياة طويلة » ، فرمى بما كان معه من التمر ، ثم قاتلهم حتى قتل^(٥) . وفي معركة اليرموك لما تراءى الجمعان وتبارز الفريقان وعظ الناس أبو عبيدة - رضي الله عنه - ، ودعاهم إلى الثبات والصبر ، كما خرج معاذ بن جبل - رضي الله عنه - إلى المسلمين فجعل يذكرهم ويدعوهم ، كما وعظهم عمرو بن العاص - رضي الله عنه - ، وأبو هريرة - رضي الله عنه - وأبو سفيان - رضي الله عنه - .

(١) سورة الحج ، الآيات (٣٨ - ٤٠) .

(٢) عمير بن الحمام بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي ، شهد بدرًا وقاتل حتى قتله خالد بن الأعلم ، فكان أول قتيل قُتل في سبيل الله في الحرب . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٥٩٣ ، ٥٩٤) .

(٣) بخ : كلمة تقال عند المدح والرضى بالشيء ، وتكرر للمبالغة في تعظيمه . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر (ص ٦٤) .

(٤) القرن : الجعنة من جلد تشق ويجعل فيها الشباب . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر (ص ٧٤٩) .

(٥) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإمارة ، باب ثبوت الجنة للشهيد ، ح (١٤٥) . انظر : موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) (ص ١٠١٨) .

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

فإذا قُضِيَ الأمر وانتهى القتال بنصر المسلمين فعلى الداعي إلى الله أن يتحدث عن نعمة الله على عباده بنصرهم على عدوهم ، وتمكينهم في الأرض ، وبضرورة القيام بواجبات التمكين ، حيث يقول - سبحانه - : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (١) كما يدعو المسلمين إلى شكر الله - سبحانه - على نعمه الظاهرة والباطنة ، وحمده والثناء عليه بما هو أهل له .

فإن كانت الأخرى ، وهُزم المسلمون ، فعلى الداعي إلى الله أن يعالج هذا الأمر بحكمة وروية ، فيكشف للمسلمين جوانب القصور والخلل ، ويدعو إلى تدارك الأمر بصدق اللجوء إلى الله ؛ فإن النصر من عند الله ، وأن ما أصابهم من خذلان إنما هو بسبب ذنوبهم ، وأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، كما يحرص على بث روح الأمل والتفاؤل في نفوسهم بأن الله متم نوره ولو كره الكافرون .

الثاني : دعوة الكفار :

الجهاد في سبيل الله يهدف إلى دعوة الأمم الكافرة إلى الدخول في الإسلام ، بتوضيح الغاية التي خرج المجاهدون من ديارهم وأوطانهم لأجلها ، وبيان عظم هذا الدين ، وجزاء من آمن به ، وعاقبة من كفر به ، فدخولهم في الإسلام يكف دماءهم ، ويحفظ نساءهم وذرياتهم ، وبه تتحقق السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة . وقد حَرَصَ المسلمون الأوائل على إرسال الرسل إلى رؤساء وقواد الجيوش الكافرة يدعونهم إلى دين الإسلام قبل أن يقاتلوهم .

ففي معركة القادسية تعاقب الدعاة إلى الله على رستم قائد الفرس لدعوته إلى الدخول في الإسلام فجاءه ربعي بن عامر (٢) - عليه السلام - فكلمه رستم ، فقال : « ما جاء

(١) سورة الحج ، الآية (٤١) .

(٢) ربعي بن عامر بن خالد بن عمرو ، صحابي من أشرف العرب ، كان عمر - عليه السلام - أمداً به المثني بن حارثة ، له ذكر في غزوة نهاوند ، ولأه الأحنف لما فتح خراسان على طخارستان . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة / (٣٧٨/٢) .

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

بكم؟» ، فقال: « الله ابتعثنا ، والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله - عز وجل- ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعواهم إليه ، فمن قبله قبلنا ذلك منه ، ورجعنا عنه ، وتركناه وأرضه يليها دوننا ، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله - عز وجل-» .

قال : «وما موعود الله؟» ، قال: « الجنة لمن مات على قتال من أبى ، والظفر لمن بقي» . قال رستم : « قد سمعت مقاتلكم ، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر ، حتى ننظر فيه ، وتنظروا؟» ، قال: « نعم، كما أحب إليكم أيوم أو يومان؟» ، قال له: « لا ، بل حتى نكتب أهل رأينا ورؤساء قومنا » ، وأراد مقاربتة ومدافعتة ، فقال: « إن مما بين لنا رسول الله - ﷺ - ، وعمل به أئمتنا أن لا نمكّن الأعداء من آذاننا ، ولا نؤجلهم عند الالتقاء أكثر من ثلاث ، فنحن مترددون عنك ثلاثاً ، فانظر في أمرك ، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل : اختر الاسلام وندعك وأرضك ، أو الجزية فنقبل ونكف عنك ، فإن كنت عن نصرتنا غنياً تركناك منه ، وإن كنت إليه محتاجاً منعناك ، أو المنابذة في اليوم الرابع ، ولسنا نبدؤك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا ، أنا كفيل لك بذلك على جميع من ترى» ، قال : « أسيدهم أنت؟» ، قال : « لا ، ولكن المسلمين فيما بينهم كالجسد بعضهم من بعض ، يجير أدناهم على أعلاهم» .^(١)

فلما كان من الغد بعث الفرس أن ابعثوا إلينا ذلك الرجل - يريدون ربيعي - ، فبعث إليهم سعد بن أبي وقاص - ﷺ - - حذيفة بن محصن - ﷺ - ،^(٢) ولما سأله رستم عن سبب عدم مجيء ربيعي وقد طلبوه ، فذكر أن أميرهم يحب أن يعدل بينهم في الشدة والرخاء ، وأن هذه نوبته ، وفي اليوم الثالث طلبوا رجلاً من المسلمين يكلمونه ، فبعث إليهم المغيرة بن شعبة^(٣) - ﷺ - ، فقال كما قال صاحبه .

(١) غزوات ابن حبيش / (٢/ ٥٢٩ ، ٥٣٠) ، للإمام عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن يوسف بن حبيش ، تحقيق الدكتور : سهيل زكار .

(٢) لم أجد له ترجمة .

(٣) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي ، أسلم قبل عمرة الحديبية ، وشهدها وبيعة الرضوان ، وشهد اليمامة وفتوح الشام والعراق ، حدث عن النبي - ﷺ - ، كان من دهاة العرب ، وكان يقال له مغيرة الرأي ، توفي سنة خمسين . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة / (٦/ ١٥٦ - ١٥٨) .

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

كما أرسل سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - جمعاً من الدعاة إلى رستم لدعوته ، رجاء إسلامه ، فسمعوا منه وسمع منهم ، إلا أنهم خرجوا من عنده عشيّاً وقد انتهى الأمر إلى القتال ، فقاتلهم المسلمون وانتصروا ، وقتل رستم.^(١)

فعندما يرفض الكفار الدخول في الإسلام ، أو دفع الجزية ، يلزم المسلمون حينئذ قتالهم ، إعلاءً لكلمة الله - تعالى - ، وضماناً لنشر الدعوة إلى الله ، بحيث لا يقف في طريقها عقبات تحول دون تحقيق الهدف الذي خرج المسلمون من ديارهم لأجله .
لهذا نجد المسلمين يحرصون على دعوة من كفر بالله حتى عندما يحدث القتال ، وتلتحم الصفوف ، رجاء إنقاذهم من ظلمات الجهل والضلال.

ففي معركة اليرموك خرج جرجة^(٢) من بين الروم واستدعى خالد بن الوليد - رضي الله عنه - فجاء إليه حتى اختلفت أعناق فرسيهما ، فقال جرجة : « يا خالد ، أخبرني فأصدقني ولا تكذبني ، فإن الحر لا يكذب ، ولا تخادعني ، فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله ، هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكمه فلا تسله على أحد إلا هزمته؟ » ، قال : « لا ! » ، قال : « فبم سميت سيف الله؟ » ، قال : « إن الله بعث فينا نبيه فدعانا ، فنفرنا منه ، ونأينا عنه جميعاً ، ثم أن بعضنا صدقه وتابعه ، وبعضنا كذبه وباعده ، فكنت فيمن كذبه وباعده ، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبايعناه ، فقال لي : (أنت سيف من سيوف الله ، سله الله على المشركين) ،^(٣) ودعا لي بالنصر ، فسميت سيف الله بذلك فأنا من أشد المسلمين على المشركين » ، فقال جرجة : « يا

(١) انظر: غزوات ابن حبيش / (٢/ ٥٣٠) وما بعدها.

(٢) جَرْجَة محرّكة بالفتح: اسم مقدّم عسكر الروم يوم اليرموك ، أسلم يومها. انظر: القاموس المحيط / (ص ١٨٣).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بنحو هذا اللفظ في كتاب فضائل أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ، باب مناقب

خالد بن الوليد - رضي الله عنه - ، ح (٣٧٥٧) ، عن أنس - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نعى زيداً ، وجعفرأ ، وابن رواحة

للناس ، قبل أن يأتيهم خبرهم ، فقال : (أخذ الراية زيداً فأصيب ، ثم أخذ جعفر فأصيب ، ثم أخذ ابن رواحة

فأصيب - وعيناه تذرّفان - حتى أخذها سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم) . انظر: موسوعة الحديث

الشريف (الكتب الستة) / (ص ٣٠٦) .

الدعوة إلى الله في سورة الحج - (الفصل الرابع / وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في سورة الحج)

خالد إلى ما تدعون؟» ، قال : « إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، والإقرار بما جاء به من عند الله - عز وجل - . » قال : « فمن لم يجيبكم؟ » ، قال : « فالجزية ومنعهم » ، قال : « فإن لم يعطها » ، قال : « نؤذنه بالحرب ، ثم نقاتله » ، قال : « فما منزلة من يجيبكم ويدخل في هذا الأمر اليوم؟ » ، قال : « منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا ، شريفنا ووضعنا ، وأولنا وآخرنا » ، فقال جرجة : « فلمن دخل فيكم اليوم من الأجر مثل مالكم من الأجر والذخر؟ » ، قال : « نعم ، وأفضل » ، قال : « وكيف يساويكم وقد سبقتموه؟ » ، فقال خالد : « إنا قبلنا هذا الأمر عنوة ، وبايعنا نبينا وهو حي بين أظهرنا ، تأتية أخبار السماء ويخبرنا بالكتاب ويرينا الآيات ، وحق لمن رأى ما رأينا ، وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع ، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا ، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج ، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا » ، فقال جرجة : « بالله لقد صدقتني ولم تخادعني » ، قال : « تالله لقد صدقتك ، وإن الله ولي ما سألت عنه » ، فعند ذلك قلب جرجة الترس ، ومال مع خالد ، وقال : « علمني الإسلام » ، فمال به خالد إلى فسطاطه فشن عليه قربة من ماء ، ثم صلى به ركعتين^(١).

كما أن الدعوة لا تتوقف عند انتهاء القتال بل تستمر دعوة من كفر بالله في ميدان الجهاد ، وذلك بدعوة أهالي البلاد المفتوحة للدخول في الإسلام ، والحرص على نشر الدين وتعليمه وتطبيقه بينهم.

وهذا يتضح كيفية الدعوة إلى الله في ميدان الجهاد ، كما تتضح أبرز ميادين الدعوة إلى الله في سورة الحج.

(١) البداية والنهاية / (١٢/٧) ، لأبي الفداء الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، وانظر : تاريخ الرسل والملوك / (٣٩٨/٣) ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الكامل في التاريخ / (٢٥٧/٢) ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد ابن محمد أبي عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني - المعروف بابن الأثير - ، تحقيق الدكتور : عمر بن عبد السلام تدمري .

الدعوة إلى الله في سورة الحج ————— (الخاتمة)

الخاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله -تبارك وتعالى- حمداً يليق بعظمته ، وعظيم منه وكرمه ، أحمدته وأشكره
أن فتح لي باباً عظيماً من العلم ، ويسر لي بإحسانه دراسة آيات من كتابه الكريم ،
وأصلي وأسلم على من بُعث رحمة للعالمين ، نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه الهداة
المهتدين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

فإن هذا البحث تركز على دراسة سورة الحج ، وتأملها ، واستنباط الفوائد الدعوية
منها ، وقد خرجت الباحثة منه بعدد من النتائج والتوصيات ، وذلك كما يلي :

أولاً : أهم النتائج :

١- أن القرآن الكريم جاء معجزاً شاملاً لأدق ما تحتاجه البشرية ، وكلما أطل
المرء التأمل في آياته وقف على جوانب جديدة ، وخرج باستنباطات وفوائد
عظيمة.

٢- أن الدعوة إلى الله لا بد أن تركز في منهجها على القرآن الكريم وسنة نبيه
ﷺ - ، فكلهما دعوة لله ، وأي دعوة لا تعتمد على كتاب الله ، وسنة نبيه
ﷺ - فهي جهد ضائع ، وطريق لا يوصل إلى الله.

٣- أن سورة الحج من السور التي ضمت مفردات رئيسة في الدعوة إلى الله ، وقد
طرحت رؤية عظيمة في معالجة العديد من القضايا الدعوية ، ومن ذلك :

أ- جاء موضوع الدعوة إلى الله في سورة الحج متوازناً بين موضوعات العقيدة
الإسلامية بالدعوة إلى توحيد الله وعدم الإشراك به ، والإيمان باليوم الآخر ،
وبين موضوعات الشريعة الإسلامية في الدعوة إلى إقامة الصلاة ، وإيتاء
الزكاة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وحج بيت الله ، والجهاد في
سبيله ، وبين موضوعات الأخلاق ، من الأمر بالأخلاق الفاضلة ، والتنفير من
الأخلاق الدنيئة.

ب- أن مهمة الداعي إلى الله هي ذاتها مهمة الرسل -عليهم الصلاة والسلام-؛ لهذا من المهم اتباع منهج الرسل في الدعوة إلى الله ، من أجل تحقيق الثمار المرجوة -بإذن الله-.

ج- أن الإعداد الدقيق للداعي إلى الله ، ومتانة صلته بالله ، واتصافه بالصفات الفاضلة يؤثر تأثيراً كبيراً في نجاح الدعوة.

د- من أصناف المدعوين إلى الله: المؤمنون ، واليهود ، والصائبون ، والنصارى ، والمجوس ، والمشركون ، ومعرفة معتقداتهم وواقعهم يُعد من فقه الداعي إلى الله لواقعه.

هـ- تختلف أحوال المدعوين إلى الله بحسب أحوال قلوبهم ، فصلاح القلب ومرضه وفساده يؤثر كثيراً في قبول المدعو للدعوة إلى الله أو رفضها.

و- إن وسيلة تبليغ الدعوة إلى الله بالقول هي الوسيلة الرئيسة للرسل -عليهم الصلاة والسلام- ، كما أنها من الوسائل التي لا تحتاج إلى تكلف واضح ، أو استعداد خاص ، وتبليغ الدعوة إلى الله بالعمل يُعد من الوسائل المهمة التي تحقق العديد من الأهداف ، وتكون بفعل المعروف وإزالة المنكر ، وبالجهاد في سبيل الله ، وما إلى ذلك.

ز- إن من أبرز الأساليب الدعوية التي تضمنتها سورة الحج أسلوب النداء ، وأسلوب الاستفهام ، وأسلوب الترغيب والترهيب ، وأسلوب ضرب المثل ، وقد جاءت الآيات القرآنية تتضمن أسلوبيين أو ثلاثة منها في آية واحدة.

ح- من الميادين الرئيسة في الدعوة إلى الله ميدان المسجد ، وميدان الحج ، وهما من الميادين الدعوية الخصبة ، وكذلك ميدان الجهاد ، والذي يُعد وسيلة لتبليغ الدعوة إلى الله بالعمل إلى جانب كونه ميداناً من ميادين الدعوة.

ثانياً: التوصيات :

١- أوصي نفسي وطلبة العلم بتقوى الله ومراقبته في السر والعلن ، وبالحرص على

تزكية العلم بالعمل به ، ونشره ، ودعوة الناس إلى الله .

٢- ينبغي للدعاة إلى الله أن يجتهدوا في أخذ منهج الدعوة إلى الله من كتاب الله وسنة نبيه - ﷺ - ، فهما الأصل الشرعي لهذه المهمة الجليلة ، وقد اشتملا على تفصيلات دقيقة لموضوعات عدة من مواضيع الدعوة ، كما جاءت معالجتهما للقضايا الدعوية صالحة لكل زمان ومكان .

٣- أن تقام برامج تدريبية للدعاة إلى الله لتدريبهم على الاستنباط الدعوي من القرآن الكريم والسنة النبوية ، فإن هذا يعطي الداعي إلى الله منهجاً ثابتاً في الدعوة إلى الله .

٤- تدريس مادي الدعوة إلى الله في القرآن الكريم ، والدعوة إلى الله في السنة النبوية في المرحلة الجامعية لطلبة قسم الدعوة والاحتساب ، وألا يقتصر ذلك على مرحلة الماجستير ، إذ فيهما غنية عظيمة عن الكثير من المواد الدعوية الأخرى .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الفهارس

وتشتمل على :

- ١- فهرس الآيات القرآنية.
- ٢- فهرس الأحاديث النبوية.
- ٣- فهرس الآثار.
- ٤- فهرس الأعلام.
- ٥- فهرس المواقع والبلدان.
- ٦- فهرس الفرق والطوائف.
- ٧- فهرس المصادر والمراجع.
- ٨- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ ...﴾	٦٢	١٧٥
﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ رَبُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ...﴾	١١٦	١٨٤
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى ...﴾	١٥٩	١٧٣
﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُم وَلَا تَعْتَدُوا ...﴾	١٩٠	٩٠
﴿...وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾	١٩٥	١٢٧
﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ ...﴾	١٩٦	٢٧١
﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ...﴾	٢٠١	٥٦
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ ...﴾	٢١٦	٩٠
﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ ...﴾	٢٦١	١٥٠
﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا ...﴾	٢٦٢	١٥٠
﴿الشَّيْطَانُ يُعِدُّكُمْ آلْفَقْرَ...﴾	٢٦٨	١٤٩
﴿...لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا...﴾	٢٨٦	١٦٢

سورة آل عمران

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...﴾	١٩	٣١

﴿ وَتُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ وَالَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ بَيْتِ إِسْرَءِيلَ أَنُوبَىٰ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ... ﴾	٤٨	١٨١
﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا حِلَّ لَكُمْ... ﴾	٥٠	١٨١
﴿ وَمَن يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ... ﴾	٨٥	٢٧٢
﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا... ﴾	٩٧	٧٩
﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ... ﴾	١٠٢	١٣١-٢
﴿ وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ... ﴾	١٠٤	٧٢
﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رَبُّهُنَّ كَثِيرٌ... ﴾	١٤٦	٢١٤
﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ... ﴾	١٥٩	٢١٢
﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ... ﴾	١٨١	١٧٢
﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ... ﴾	١٩٥	٢١٤

سورة النساء

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ... ﴾	١	٢
﴿... إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾	١٠٣	٦٢
﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ... ﴾	١٦٥	٨

سورة المائدة

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا... ﴾	١٢	٦٨
﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوا... ﴾	١٨	١٧٢
﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ... ﴾	٧٢	١٨٣
﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ... ﴾	٧٨	٧٢
﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ... ﴾	٧٩	٧٢

سورة الأنعام

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَتَكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْغَمَامَ... ﴾	١١١	٨٨

سورة الأعراف

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ... ﴾	٦	٥٥
﴿ فَلَنَقْصُصَ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ... ﴾	٧	٥٥
﴿ يَلْبِسُنِي عَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ... ﴾	٣١	٢٥٨
﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا... ﴾	٩٦	١٣١
﴿ ... إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ... ﴾	١٥٦	١٦٧

سورة الأنفال

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً... ﴾	٢٥	٧٧

الدعوة إلى الله في سورة الحج (الفهارس)

٢١٨ - ٩٢	٣٩	﴿ وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كُلُّهُمُ لِلَّهِ ... ﴾
٩٢	٤٠	﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعَمَ الْمَوَلَّى وَنِعَمَ النَّصِيرُ ﴾

سورة التوبة

رقم الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ إِنَّمَا يَتَعَمَّدُ مُسَلِّحًا اللَّهُ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ... ﴾	١٨	٢٥٩
﴿ قَتِّلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ... ﴾	٢٩	٢١٨
﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ... ﴾	٣٠	١٧٢
﴿ ... وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا ... ﴾	٣٤	١٤٩
﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ ... ﴾	٣٥	١٤٩
﴿ إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا ... ﴾	٣٩	٩٢
﴿ * إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا ... ﴾	٦٠	٦٨
﴿ ... وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ... ﴾	١٠٣	٦١

سورة بونس

رقم الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَحِيتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ... ﴾	١٠	٤

سورة هود

رقم الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ قَالُوا يَتْلُو فَاذْهَبْ لَنَا فَكَفَرَتْ ... ﴾	٣٢	١٥٩

الدعوة إلى الله في سورة الحج (الفهارس)

١٥٩	٣٣	﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾
-----	----	---

سورة يوسف

رقم الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ.. ﴾	١٠٨	٣

سورة إبراهيم

رقم الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿... كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ... ﴾	١	٨
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ... ﴾	٤	٢١٠ - ٢١٢
﴿... وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾	٣٥	١٩١

سورة الحجر

رقم الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾	٩	٧

سورة النحل

رقم الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ... ﴾	١١٦	٢١١
﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْخَسَنَةِ... ﴾	١٢٥	١٥٦ - ١٥٩ - ٢١١

سورة الإسراء

رقم الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ.. ﴾	٥٧	٣٥

سورة الكهف

رقم الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿...وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ...﴾	٥٦	١٥٦

سورة مريم

رقم الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ...﴾	٥٤	٦٢
﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ...﴾	٥٥	٦٢

سورة طه

رقم الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْسَ لَكَ بِهِ شَيْءٌ وَلَا يَمُرُّ عَلَيْهِ يُنَادِيكُم بِمُحْشًى﴾	٤٤	٢١٢

سورة الأنبياء

رقم الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ...﴾	٤٧	٥٤
﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ يَا مَرْيَمُ...﴾	٧٣	٦٢
﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقِّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾	٩٧	٨٨

سورة الحج

رقم الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ...﴾	١	٢٧ - ١٣٢ - ٢٢١ - ٢٤٧ - ٢٥١
﴿يَوْمَ تَرْوَاهُم كَقُرُونٍ يَدْخُلُ كُلُّ رُكْبَةٍ مِّنْهُمَا...﴾	٢	٢٧ - ٢٢١ - ٢٤٧ - ٢٥١
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾	٣	١٠٩ - ١٥٧ - ٢٤٨

٢٤٨ - ١٥٧ - ١٠٩	٤	﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَتَاهُ بِضِلَّةٍ... ﴾
٢٥٣ - ٢٢٣ - ٥٢	٥	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ... ﴾
٢٥٤ - ٢٢٣	٦	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى... ﴾
٢٥٤ - ٢٢٤ - ٥١	٧	﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا... ﴾
٢٤٨ - ١٥٨ - ١١٠	٨	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى... ﴾
٢٤٨ - ١٥٨ - ١١٠	٩	﴿ ثَانِي عِطْفٍ لِّبُضْلٍ عَن سَبِيلٍ... ﴾
٥٣	١٠	﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾
٢٥٤ - ١٩٩	١١	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ... ﴾
١٩٢ - ٤٧	١٢	﴿ يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نُنْفَعُهُ... ﴾
٤٧	١٣	﴿ يَدْعُوا لِمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِّن نَّفْعِهِ... ﴾
٢٤٣ - ١٦٤	١٤	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ... ﴾
٢٣٦ - ٢٢٨ - ١٢٠	١٥	﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ... ﴾
٢٠٧ - ١٢١ - ١٠٩	١٦	﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴾
١٧٥ - ١٦١ - ٥٣	١٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا... ﴾
٢٢٩ - ٢٢٨ - ١٣٨ - ٢٩	١٨	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ... ﴾
٢٤٦ - ١٩٣ - ٥٥ - ٢٣	١٩	﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي... ﴾
٢٤٦ - ١٩٣ - ٥٥ - ٢٣	٢٠	﴿ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴾
٢٤٦ - ١٩٣ - ٥٥ - ٢٣	٢١	﴿ وَلَهُمْ مَقْنِعٌ مِّنْ حَدِيدٍ ﴾

﴿كَلِمَاتُ أَرَادُوا أَنْ يَخْرِجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا...﴾	٢٢	٢٣ - ٥٥ - ١٩٣ - ٢٤٦
﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ...﴾	٢٣	٥٥ - ١٦٤ - ٢٤٤
﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ...﴾	٢٤	١٦٥
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...﴾	٢٥	١٣٦ - ٢٤٨ - ٢٦٨
﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا...﴾	٢٦	١٦٣ - ٢٥٨ - ٢٦٠
﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا...﴾	٢٧	٥٧ - ٨٠ - ٨٣
﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ...﴾	٢٨	٨٢ - ٩٧ - ٢٦٨
﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا...﴾	٢٩	٨٢
﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَةَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ...﴾	٣٠	٢٨ - ٤٦ - ١٣٥ - ١٣٨ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٦٥ - ٢٤٥
﴿حُقِّقَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ...﴾	٣١	٤٩ - ١٦٣ - ١٩٥
﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ...﴾	٣٢	١٣٢ - ١٦٥
﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ جُعِلَتْهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾	٣٣	٨٢
﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ...﴾	٣٤	٤٥ - ٦٢ - ٩٧ - ١١٧ - ١٤٠ - ١٤٢ - ١٤٧ - ٢٤٥ - ٢٠٥
﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى...﴾	٣٥	٦٢ - ١٤٠ - ١٤٢ - ١٤٥ - ١٤٧ - ١٥١ - ٢٤٥ - ٢٠٥
﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ...﴾	٣٦	٩٦
﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ الْقَتْلُ مِنْكُمْ...﴾	٣٧	١٢٧ - ٢٤٥
﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ...﴾	٣٨	١٠٤ - ١١٩ - ١٦٦ - ٢٤٤ - ٢٧٤

الدعوة إلى الله في سورة الحج (الفهارس)

٢٧٥ - ٢٤٤ - ١٦٦ - ٨٩ - ٨٦ - ٥٨ - ٥٧	٣٩	﴿ أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا... ﴾
٢٧٥ - ٢٦٠ - ٢٤٤ - ١٦٦ - ١٢٠ - ٦١ - ٥٨	٤٠	﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ... ﴾
٥٧ - ٥٨ - ٦٤ - ٦٧ - ٧٣ - ١١٤ - ١٢٠ - ٢٧٦ - ٢١٥	٤١	﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ... ﴾
٢٤٧ - ٢٣٨ - ١٩٤ - ١١١	٤٢	﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَنُوحٌ ﴾
٢٤٧ - ٢٣٨ - ١٩٤ - ١١١	٤٣	﴿ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴾
٢٤٧ - ٢٣٨ - ٢٢٨ - ١٩٤ - ١١١	٤٤	﴿ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى... ﴾
٢٤٧ - ٢٣٨ - ١٩٤	٤٥	﴿ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ... ﴾
٢٤٨ - ٢٣٩ - ٢٣٨ - ٢٢٨ - ٢٠٣ - ١٩٥	٤٦	﴿ أَقْلَمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ بِتَقُولُونَ بِهَا... ﴾
٢٤٨ - ٢٣٩ - ١٩٤ - ٥٣	٤٧	﴿ وَبَسَّطْنَا لَكَ الْفَلَاحَ وَالْجَلَدَ وَالْجَلَدَ... ﴾
٢٤٨ - ٢٣٩ - ١٩٤	٤٨	﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ... ﴾
٢٢٥ - ٢١٠ - ١١٤ - ١٠٩	٤٩	﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾
٢٤٤ - ١٦٤	٥٠	﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾
٢٤٧ - ٥٥	٥١	﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِجْءًا بَيْنَنَا وَمُتَجَرِّينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾
١٩٦ - ٢٣	٥٢	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ... ﴾
٢٠٢ - ١٩٩ - ١٩٦ - ١٩٥ - ٢٣	٥٣	﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ... ﴾
٢٠٦ - ٢٠٥ - ١٩٦ - ١٦٥ - ١٠٧ - ٢٣ - ٢٠٧	٥٤	﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ... ﴾

٢٠٣ - ٢٣	٥٥	﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ... ﴾
٢٤٤ - ١٦٤	٥٦	﴿ أَلَمْ تَكُنْ بِتَوْمِيدِ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا... ﴾
٢٤٧ - ١٠٧	٥٧	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾
٢٤٥ - ١٦٥	٥٨	﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ
٢٤٥ - ١٥٦	٥٩	﴿ لَيَدْخِلْنَهُمْ مُّدَخَّلًا بِرِضْوَانِهِ... ﴾
١٠١	٦٠	﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ... ﴾
١١٨	٦١	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ... ﴾
٤٦	٦٢	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ... ﴾
٢٣٠ - ١١٧	٦٣	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً... ﴾
١١٧	٦٤	﴿ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ... ﴾
٢٣٣ - ٢٣٢ - ١١٧	٦٥	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَاءَ فِي الْأَرْضِ... ﴾
٩٨	٦٦	﴿ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ... ﴾
١١٤ - ١١١ - ١١٠	٦٧	﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ... ﴾
٢١١ - ١٥٨ - ١١٠	٦٨	﴿ وَإِنْ جَدَلْتُمْ وَقُلَّ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾
٥٣	٦٩	﴿ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ... ﴾
٢٣٥ - ١١٨	٧٠	﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي... ﴾
١٩٥ - ٤٨	٧١	﴿ وَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطٰنًا... ﴾
٢٤٠ - ٢١٠ - ٢٠٣ - ١٩٤	٧٢	﴿ وَإِذَا تَنَاسَلَتْ عَلَيْهِمْ ءَايٰتُنَا... ﴾

الدعوة إلى الله في سورة الحج (الفهارس)

٢٥٢ - ٢٢٣ - ٤٧ - ٣٦	٧٣	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ... ﴾
١١٧	٧٤	﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ... ﴾
١٠٨	٧٥	﴿ اللَّهُ يَضْطَرِّي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِمَّنِ النَّاسِ... ﴾
١٠٨	٧٦	﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ... ﴾
٢٥ - ٢٩ - ٥٧ - ١١١ - ١١٤ - ١٦٣ - ٢٢٢ - ٢٤٤	٧٧	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آذَانًا وَآسَجِدُوا... ﴾
١١٥ - ١١١ - ٨٦ - ٦٧ - ٦٢ - ٥٧ - ٢٥ - ٢١٤ - ٢١٦ - ٢٢٢ - ٢٧٤	٧٨	﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ... ﴾

سورة المؤمنون

رقم الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾	٦٠	١٤١
﴿ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾	٦١	١٤١
﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾	١١٥	٥٤

سورة النمل

رقم الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ صُنِعَ اللَّهُ الْإِنْسَانُ أَتَقْنَ كُلَّ... ﴾	٨٨	١٢٧

سورة القصص

رقم الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ ...فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾	٥٠	٨٩

الدعوة إلى الله في سورة الحج (الفهارس)

سورة العنكبوت

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿...إِنِ الصَّلَاةُ تَنهَىٰ عَنِ...﴾	٤٥	١٤٧

سورة لقمان

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ...﴾	١٢	٩٦

سورة الأحزاب

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾	٧٠	٢
﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ...﴾	٧١	٢
﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَنَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا...﴾	٧٢	١٠٥

سورة فاطر

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿فَمِ أَوَلَمْ نَكُتِبْ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...﴾	٣٢	١٦٤

سورة فصلت

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿...تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾	٤٢	١٢١

سورة الشورى

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿...وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾	٤٣	١٠٢

سورة الأحقاف

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزِّ ﴾	٣٥	١٤٦

سورة الفتح

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ ﴾	٢٦	١٣١

سورة النجم

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ أَفَرَأَيْتُمْ أَلَلَّتْ وَانْعَزَّتْ ﴾	١٩	١٩٦
﴿ وَمَنْزُةٌ الْفَالِثَةُ الْآخَرَى ﴾	٢٠	١٩٦

سورة الصف

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿١﴾ ﴾	٢	٢١١
﴿ كَبُرَ مَقْشًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾	٣	٢١١
﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَكُمْ عَلَىٰ بَجْرَةٍ ... ﴾	١٠	٩٠
﴿ تَوَافُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... ﴾	١١	٩٠
﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ ... ﴾	١٢	٩٠
﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا تَصْرُمْنَ لِلَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ... ﴾	١٣	٩١
﴿ ... قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ ... ﴾	١٤	١٨٠

سورة الطلاق

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿...وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾	٢	٢١٣ - ٢٢١
﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ...﴾	٣	٢١٣

سورة الملك

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿...مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ...﴾	٣	١٢٧
﴿ثُمَّ أَرْجِعَ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ...﴾	٤	١٢٧

سورة نوح

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا...﴾	٢٣	١٩٢

سورة القيامة

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾	٥	١٥٧
﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَمَةِ﴾	٦	١٥٧

سورة البينة

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ...﴾	٥	٦٨

سورة المسد

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾	١	٢٢٦

فهرس الأحاديث النبوية

م	طرق الحديث	رقم الصفحة
١	أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم.	١٥٨
٢	أتدرون أي يوم هذا؟، قلنا : الله ورسوله أعلم...	٢٦٧
٣	أحب البلاد إلى الله -تعالى- مساجدها،...	٢٥٨
٤	الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ...	٣٢
٥	ألا أخبركم عن النفر الثلاثة: أما أحدهم ...	٢٦٢
٦	ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟...	١٥٣
٧	أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن ...	٢٦٤
٨	أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله...	٢١٦ - ٦٧
٩	إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب ، ...	٢٣٥
١٠	إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ...	٢
١١	إن الله كتب الإحسان على كل شيء...	١٢٨
١٢	إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل ...	٢١٢
١٣	إن الله -عز وجل- كتب الحسنات والسيئات ...	٥٤
١٤	إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ...	٦٤
١٥	أن تؤمن بالله ، وملائكته، وكتبه ،...	٥١
١٦	أن تجعل لله نداً وهو خلقك.	٤٣
١٧	أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.	١٢٥
١٨	إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، ...	٢٦٧

١٩	أن رسول الله ﷺ - أقرأه خمس عشرة ...	٣٠
٢٠	أنت سيف من سيوف الله...	٢٧٨
٢١	أنتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان ...	٩١
٢٢	إنك ستأتي قوماً أهل كتاب...	٦٤ - ٤٠
٢٣	آية المنافق ثلاث ...	١٠٣
٢٤	أيها الناس : قد فرض عليكم الحج فحجوا ...	٧٩
٢٥	أيها الناس عليكم بالسكينة ، فإن البر ليس ...	٢٦٩
٢٦	اذبح ولا حرج ، فجاء آخر ، فقال : لم أشعر ...	٢٧٠
٢٧	اغزوا باسم الله ، وفي سبيل الله ، ...	٢١٧
٢٨	بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ...	٦٧ - ٦٢
٢٩	تحشرون حفاة عراة غرلاً.	٥٢
٣٠	ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه...	٦٣
٣١	عُدلت شهادة الزور بالشرك بالله...	٢٨
٣٢	العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما...	٨١
٣٣	قال الله : كذَّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، ...	١٨٤
٣٤	قم يا بلال فأرحنا بالصلاة.	١٤٨
٣٥	قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض...	٢٧٥
٣٦	لا يا بنت الصديق ، ولكنهم الذين...	١٤١
٣٧	ما خيّر النبي ﷺ - بين أمرين ...	١٣٦
٣٨	ما كنت أرى أن الجهد قد بلغ بك هذا ، ...	٢٧٠
٣٩	ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له ...	٧٢

٤٠	ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان ...	١٤٩
٤١	مالك يا عمرو؟ ، قلت : أردت أن أشرط...	٨٠
٤٢	من أفقى بغير علم كان إثمه على من أفناه.	٢٦٢
٤٣	من بنى مسجداً لله بنى الله له بيتاً في الجنة مثله...	٢٥٩
٤٤	من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله،...	٢٥٨
٤٥	من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع ...	٨١
٤٦	من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، ...	٢١٥
٤٧	من غدا إلى المسجد أو راح،...	٢٥٨
٤٨	من قال حين يسمع النداء : اللهم رب ...	٣٥
٤٩	نعم ، ومن لم يسجد لهما فلا يقرأهما.	٢٩
٥٠	نعم.	١٣٨
٥١	هل تدرون أي يوم ذلك ؟...	٢٧
٥٢	والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ...	٧٧
٥٣	وجعلت لي الأرض مسجداً...	٢٥٧
٥٤	وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، ...	٢٥٩
٥٥	يا صباحاه ، فاجتمعت إليه قريش...	٢٢٥
٥٦	يقول الله - عز وجل - يوم القيامة: يا آدم...	٢٦
٥٧	يُهل أهل المدينة من ذي الحليفة ...	٢٦٣

فهرس الآثار

م.	طرف الأثر	قائله	رقم الصفحة
١	الأديان ستة، فخمسة للشيطان ، ...	قتادة	١٦١
٢	إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه	عبدالله بن عباس	١٩٧
٣	أسماء رجال صالحين من قوم نوح ...	عبدالله بن عباس	١٩٢
٤	ألا إنها ليست على الوالي وحده...	عمر بن عبدالعزيز	٥٩
٥	أما بعد : فإني آمرك ومن معك من...	عمر بن الخطاب	٢٧٤
٦	إن الله بعث فينا نبيه فدعانا ،...	خالد بن الوليد	٢٧٨
٧	إهراق دم الهدي.	بجاهد	٩٧
٨	التقوى عمل بطاعة الله ...	طلق بن حبيب	١٣٠
٩	كان أبو ذر - <small>رضي الله عنه</small> - يقسم قسماً أهماً...	أبو ذر الغفاري	١٩٣
١٠	الله ابتعثنا، والله جاء بنا لنخرج من ...	ربيع بن عامر	٢٧٧
١١	لو أن رجلاً همّ فيه بإلحاد ...	عبدالله بن مسعود	١٣٦
١٢	منافع في الدنيا ، ومنافع في الآخرة،...	عبدالله بن عباس	٨٢
١٣	هو شرط شرطه الله - عز وجل - ...	الضحاك	٥٩
١٤	والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة ...	أبوبكر الصديق	٦٧
١٥	يا يزيد، إني أوصيك بتقوى الله ...	أبوبكر الصديق	٢٧٣

فهرس الأعلام

العلم	رقم الصفحة
١- إبراهيم - عليه السلام -	٢٢-٢٦-٤٩-٦٢-١٧٠-١٧٤-١٩١-٢٦٠-٢٦٦
٢- إبراهيم بن محمد الزجاج	١١٠
٣- أبو بكر الصديق - عليه السلام -	٥٨-٦٧-٢٧٣
٤- أبو بكرة - عليه السلام - (نقيع بن الحارث)	١٥٢-٢٦٧
٥- أبو سعيد الخدري - عليه السلام -	٢٦-٢١٥
٦- أبو سفيان - عليه السلام -	٢٧٥
٧- أبو لهب	٢٢٦
٨- أبو هريرة - عليه السلام -	٦٧-٧٩-٨١-٩١-١٠٣-١٤٩-٢١٦-٢٥٨-٢٦٢
٩- أبو واقد الليثي - عليه السلام -	٢٧٥
١٠- أبو ذر الغفاري - عليه السلام -	٢٦٢
١١- أحمد بن تيمية	١٩٣
١٢- أحمد بن علي (أبو بكر الحصاص)	٢٥-٤٣-٧٥-٨٥-٨٧-١٤١-١٧٣-٢١٨
١٣- أحمد بن علي بن حجر	٥٨-٨٠-١٥٣
١٤- آدم - عليه السلام -	٣٥-٨٦
١٥- إسحاق - عليه السلام -	١٧٠-١٧٩-١٨٣
١٦- إسماعيل بن عمر بن كثير	٦٢
١٧- أنس بن مالك - عليه السلام -	٤٧-٥٢-٥٩-٧٩-١٣٥-١٩٧-٢٠٦
١٨- بريدة بن الحصيب - عليه السلام -	٢٧٥
١٩- بلال بن رباح - عليه السلام -	٢١٧-٢٧٣
٢٠- جابر بن عبد الله - عليه السلام -	١٤٨
٢١- جبريل - عليه السلام -	٣٥-٦٤-١٣٨-٢٦٧
٢٢- جرجة	٣٢-٥١-١٢٥
٢٣- حذيفة بن اليمان - عليه السلام -	٢٧٨-٢٧٩
	٧٧

٢٧٧	٢٤ - حذيفة بن محصن -
٢١٦	٢٥ - حسن البنا
٢٣٧	٢٦ - الحسين بن مسعود البغوي
١٩٣	٢٧ - حمزة بن عبدالمطلب -
٢٧٩-٢٧٨	٢٨ - خالد بن الوليد -
١٥٤-٢٨	٢٩ - خريم بن فاتك -
٢٧٦	٣٠ - ربعي بن عامر -
٢٧٨-٢٧٧-٢٧٦	٣١ - رستم
٢٧٨-٢٧٧-٢٧٤	٣٢ - سعد بن أبي وقاص -
٢٧٣-٢١٧	٣٣ - سليمان بن بريدة
١٣٧	٣٤ - سيد قطب
١٢٨	٣٥ - شداد بن أوس -
١٩٤	٣٦ - شيبة بن ربيعة
٥٩-٢٣	٣٧ - الضحاك بن مزاحم
١٣٠	٣٨ - طلق بن حبيب
١٥٨-١٤١-١٣٦-٥٢	٣٩ - عائشة - رضي الله عنها -
٢٣٥	٤٠ - عبادة بن الصامت -
١٥٨-٢٣	٤١ - عبدالحق بن عطية
٢٠٢-١٣٦-١٢٧-٩٨	٤٢ - عبدالرحمن السعدي
١٥٢	٤٣ - عبدالرحمن بن أبي بكر
١٩٠	٤٤ - عبدالرحمن بن علي (ابن الجوزي)
٣١	٤٥ - عبدالعزيز بن عبدالله بن باز
١٥	٤٦ - عبدالله بن الزبير -
٢٦٩-٢٢٥-١٨٤-٨٢-٦٤-٤٠-٢٢-١٥	٤٧ - عبدالله بن عباس -
٢٦٣-٦٧-٦٢-١٥	٤٨ - عبدالله بن عمر -
٢٧٠-٢١٢-١٥	٤٩ - عبدالله بن عمرو -

الدعوة إلى الله في سورة الحج (الفهارس)

٧٩	٥٠ - عبدالله بن قدامة
٢٦٤-١٣٦-٧٢	٥١ - عبدالله بن مسعود -
١٩٣	٥٢ - عبيدة بن الحارث -
١٩٣	٥٣ - عتبة بن ربيعة
٢٥٩-٥٩	٥٤ - عثمان بن عفان -
٢٢	٥٥ - عطاء بن أبي رباح
٢٩	٥٦ - عقبة بن عامر -
١٩٣-٥٩	٥٧ - علي بن أبي طالب -
٨٦-٧٣	٥٨ - علي بن أحمد بن حزم
٥٢	٥٩ - علي بن محمد الخازن
٩٨	٦٠ - علي بن محمد الماوردي
٢٧٤-١٢٥-٦٧-٥٩-٥١-٣٢	٦١ - عمر بن الخطاب -
٥٩	٦٢ - عمر بن عبدالعزيز
٢٧	٦٣ - عمران بن حصين -
٢٧٥-٨٠-٣٠	٦٤ - عمرو بن العاص -
٢٧٥	٦٥ - عمير بن الحُمَام -
١٩٧	٦٦ - عياض بن موسى اليحصبي
١٨٠	٦٧ - عيسى -
١٦١-٢٣	٦٨ - قتادة بن دعامة
٢٧٠	٦٩ - كعب بن عجرة -
١٠٠	٧٠ - المبارك بن محمد (ابن الأثير)
٩٧-٢٢	٧١ - مجاهد بن جبر
٢٥٥-١٢٠-١١٠-٥٩-٢٤	٧٢ - محمد الطاهر بن عاشور
١٠٤	٧٣ - محمد العمادي (أبو السعود)
١٠١-٧٥	٧٤ - محمد الغزالي (أبو حامد)
٢٣	٧٥ - محمد النقاش

الدعوة إلى الله في سورة الحج ————— (الفهارس)

- ٧٦- محمد بن أبي بكر (ابن قَيم الجوزية) ٨٠-٩٠-٩٦-١٠٨-١١٩-١٢١-١٣٩-١٧٤
١٨٩-١٩٨-٢٠٥-٢٥٢
- ٧٧- محمد بن أحمد الذهبي ١٠٣-١٣٠-١٥٤-١٥٧
- ٧٨- محمد بن أحمد القرطي ٢٤-٤٩-٥٩-١٠٤-١١١
- ٧٩- محمد بن جرير الطبري ١٠٩-٢٣٥
- ٨٠- محمد بن حَبَّان (أبو حاتم) ١٣٢
- ٨١- محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ١٧٥
- ٨٢- محمد بن عبد الله بن العربي ٩٠
- ٨٣- محمد بن عثيمين ١٢٥
- ٨٤- محمد بن علي (ابن دقيق العيد) ١٥٣
- ٨٥- محمد بن علي الشوكاني ٧٣-١١٢-١٤٠-١٩٨
- ٨٦- محمد بن يوسف (أبو حَبَّان) ٥٧-٨٦
- ٨٧- محمد ناصر الدين الألباني ١٦
- ٨٨- محمود بن عمر الزمخشري ٤٨
- ٨٩- معاذ بن جبل - عليه السلام ٢٧٥
- ٩٠- المغيرة بن شعبة - عليه السلام ٢٧٧
- ٩١- موسى - عليه السلام ١٦٧-١٦٨-١٧٠-١٧٢
- ٩٢- النعمان بن قوقل - عليه السلام ١٣٨
- ٩٣- نوح - عليه السلام ١٧٠
- ٩٤- هارون - عليه السلام ١٧٢
- ٩٥- الوليد بن عتبة ١٩٤
- ٩٦- يحيى بن زكريا - عليه السلام ١٧٨-١٧٩
- ٩٧- يزيد بن أبي سفيان - عليه السلام ٢٧٣
- ٩٨- يعقوب - عليه السلام ٦٢-١٦٧
- ٩٩- يوسف - عليه السلام ١٧٠

فهرس المواقع والبلدان

رقم الصفحة	الاسم
١٣٦	١- آيين
١٨٢	٢- أسبانيا
١٨٣	٣- ألمانيا
١٨٣	٤- أمريكا الشمالية
١٨٦-١٧٩	٥- إيران
١٨٣	٦- إنجلترا
١٨٢	٧- إيطاليا
١٨٢	٨- البرتغال
٢٢٥	٩- البطحاء
١٨٢	١٠- بلجيكا
١٨٣	١١- البلقان
١٧٧	١٢- ترعوز
١٧٨	١٣- الحبشة
١٧٨	١٤- حران
١٨٣	١٥- الدائمرك
١٨٣	١٦- روسيا
١٧٨	١٧- سلمسين
١٨٣	١٨- سويسرا
٢٧٣-٢٦٣	١٩- الشام
١٧٩	٢٠- العراق
١٨٢	٢١- فرنسا
١٨٠	٢٢- فلسطين
١٨٣	٢٣- القسطنطينية
٢٦٣-٢٥٩-٦٤-٢٣	٢٤- المدينة

١٧٠	٢٥ - مصر
٢٦١-١٩٦-١٠٤-٧	٢٦ - مكة
١٨٠	٢٧ - الناصرة
١٨٣	٢٨ - النرويج
١٨٣	٢٩ - هولندا
٦٤-٤٠	٣٠ - اليمن
١٨٣	٣١ - اليونان

فهرس الفرق والطوائف

رقم الصفحة	الاسم
١٧٧	١ - أصحاب الأشخاص
١٧٧	٢ - أصحاب الهياكل
١٨٧	٣ - الثنوية
١٧٧	٤ - الحلوية
١٨٨	٥ - الديصانية
١٨٧	٦ - الزردشتية
١٨٧	٧ - الزروانية
١٧٧	٨ - الصابئة الحرنائية
١٧٨	٩ - الصابئة الفلاسفة
١٧٨	١٠ - الصابئة المعتدلون
١٧٨	١١ - الصابئة المندائية
١٧٨	١٢ - الصابئة المنكرون
١٦٩	١٣ - الصدوقيون
١٦٨	١٤ - الفريسيون
١٦٨	١٥ - القراؤون
١٨٩	١٦ - الكينوية
١٨٦	١٧ - الكيومرثية
١٨٧	١٨ - المانوية
١٦٩	١٩ - المتعصبون
١٨٦	٢٠ - الجوس الأصليون
١٨٨	٢١ - المرقيونية
١٨٨	٢٢ - المزدكية
١٨٣	٢٣ - المعارضون (البروتستانت)
١٨٢	٢٤ - الملكانية (الكاثوليك)
١٨٣	٢٥ - اليعقوبية (الأرثوذكس)

فهرس المصادر و المراجع

(أ)

- ١- أيكار الأفكار في أصول الدين / للإمام أبي الحسن علي بن محمد الملقب بسيف الدين الآمدي ، تحقيق: أ.د. أحمد بن محمد المهدي ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ١٤٢٣ هـ، (د:ط).
- ٢- الإتيقان في علوم القرآن / الإمام جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٣ م .
- ٣- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام/للحافظ أبي الفتح تقي الدين محمد بن علي بن وهب القشيري ، الشهير بابن دقيق العيد ، تحقيق : أحمد بن محمد شاكر ، مكتبة السنة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ.
- ٤- أحكام القرآن / أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د : ط ، ت) .
- ٥- أحكام القرآن / أبو بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي ، تحقيق : علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٧٧ هـ.
- ٦- إحياء علوم الدين/ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، تصحيح وتقديم : عبدالمعطي أمين قلعجي ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠ م .
- ٧- الأخلاق الإسلامية وأسسها / أ.د. عبدالرحمن بن حسن بن حنكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الخامسة ، ١٤٢٠ هـ .
- ٨- أدب الدنيا والدين / أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ، تحقيق : ياسين محمد السواس ، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ هـ .
- ٩- الأديان المعاصرة / راشد عبدالله الفرحان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ هـ ، (د : د ، م) .
- ١٠- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد / لمعالي الشيخ الدكتور: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ، دار ابن خزيمة ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤١٧ هـ .
- ١١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم / أبو السعود محمد بن محمد العمادي ، دار المصحف، القاهرة ، (د : ط ، ت) .
- ١٢- أسس الدعوة وآداب الدعاة / محمد السيد الوكيل ، دار المجتمع ، جدة ، دار الوفاء ، المنصورة ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٢ هـ .

الدعوة إلى الله في سورة الحج (الفهارس)

- ١٣ - أسس في الدعوة ووسائل نشرها / محمد عبد القادر أبو فارس ، دار الفرقان، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ .
- ١٤ - الأسفار المقدسة قبل الإسلام / د. صابر طعيمة ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأول ، ١٤٠٦هـ .
- ١٥ - الإسلام يتحدى / وحيد الدين خان ، تعريب : ظفر الإسلام خان ، مراجعة وتحقيق : د. عبد الصبور شاهين ، دار البحوث العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٠هـ ، (د.م).
- ١٦ - الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية) / أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، (د : ت) .
- ١٧ - الأسلوب (دراسة لغوية إحصائية) / د. سعد مصلوح ، دار الفكر العربي ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ .
- ١٨ - الأسلوب / د. محمد بن كامل بن أحمد بن جمعة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٣ م .
- ١٩ - أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم (غرضه ، إعرابه) / عبد الكريم بن محمود يوسف ، مكتبة الغزالي ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ .
- ٢٠ - الإصابة في تمييز الصحابة / للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق : عادل أحمد عبدالموجود ، علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٣هـ .
- ٢١ - أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع / عبدالرحمن النحلاوي ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ .
- ٢٢ - الأصول الثلاثة وأدلتها / شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، علّق عليه وصحّح أصوله : محمد ابن منير الدمشقي ، دار القاسم ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ .
- ٢٣ - أصول الدعوة / د. عبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨هـ .
- ٢٤ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن / محمد الأمين بن محمد المختار الحكني الشنقيطي ، عالم الكتب ، بيروت ، (د: ط، ت) .
- ٢٥ - الأعلام / خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة التاسعة ، ١٩٩٠ م .
- ٢٦ - إعلام الساجد بأحكام المساجد / الإمام بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي الشافعي ، قدّم له ، واعتنى به : أيمن بن صالح شعبان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ .
- ٢٧ - أعلام الموقعين عن رب العالمين / شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٧هـ .

- ٢٨- إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان/ للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قَيِّم الجوزية، المكتبة الثقافية، بيروت، (د: ط، ت).
- ٢٩- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم/ شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: د. ناصر بن عبدالكريم العقل، دار المسلم، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٥هـ.
- ٣٠- أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع/ أ.د. عبدالرحمن بن حسن بن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.
- ٣١- الأمثال في القرآن الكريم/ د. محمد بن جابر الفياض، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.
- ٣٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (أصوله وضوابطه وآدابه)/ د. خالد بن عثمان السبت، المنتدى الإسلامي، لندن، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ٣٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في حفظ الأمة / د. عبدالعزيز بن أحمد المسعود، دار الكلمة الطبية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، (د: م).
- ٣٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل / أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، (د: د، م).
- ٣٥- أيسر التفاسير لكلام علي الكبير / أبو بكر جابر الجزائري، راسم للدعاية والإعلان، جدة، الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ.

(ب)

- ٣٦- البحث العلمي/ أ.د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن الربيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ، (د: د، م).
- ٣٧- السبحر المحيط / الإمام محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- ٣٨- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع / الإمام علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
- ٣٩- البداية والنهاية/ لأبي الفداء الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ، (د: ط).
- ٤٠- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع / للعلامة محمد بن علي الشوكاني، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

- ٤١ - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز/ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق : محمد علي النجار، عبدالعليم الطحاوي ، دار الباز ، مكة المكرمة ، المكتبة العلمية ، بيروت ، (د: ط ، ت) .
- ٤٢ - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب/ للسيد محمود شكري الألوسي البغدادي ، عناية وضبط وتصحيح : محمد بهجة الأثري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، (د : ت) .

(ت)

- ٤٣ - تاج العروس من جواهر القاموس / محمد مرتضى الزبيدي ، المطبعة الخيرية ، الطبعة الأولى ، (د : م ، ت) .
- ٤٤ - تاريخ الرسل والملوك/ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٦٢م .
- ٤٥ - تاريخ الصابئة المندائين / محمد بن عمر حمادة، دار قتيبة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ .
- ٤٦ - تاريخ فتوح الشام/ محمد بن عبدالله الأزدي ، تحقيق : عبدالمنعم بن عبدالله عامر ، مؤسسة سجل العرب ، (د: ط، ت، م) .
- ٤٧ - التبيان في أقسام القرآن / شمس الدين أبي عبدالله محمد بن قسيم الجوزية، تقديم وتحقيق وتعليق : محمد شريف سكر ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ .
- ٤٨ - التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤م ، (د : ط) .
- ٤٩ - تذكرة الدعاة / البهي الخولي ، دار البشير للثقافة والعلوم ، طنطا ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩م .
- ٥٠ - الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة/ د. رقية بنت نصر الله بن محمد نياز، دار أشبيليا ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ .
- ٥١ - التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي/ للشيخ عبدالقادر عودة، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠١هـ، (د: ط) .
- ٥٢ - التعريفات / علي بن محمد الشريف الجرجاني، ضبط وفهرسة : محمد عبدالحكيم القاضي ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، الطبعة الأولى ، (د : ت) .
- ٥٣ - تفسير القرآن / أبو المظفر السمعاني، تحقيق: أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ .

- ٥٤- تفسير القرآن الحكيم (الشهير بتفسير المنار) / محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، (د : ت).
- ٥٥- تفسير القرآن العظيم / للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، راجعه ونقحه الشيخ : خالد ابن محمد محرم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، صيدا ، ١٤٢٢ هـ ، (د : ط) .
- ٥٦- تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله -ﷺ- والصحابة والتابعين/ للإمام الحافظ عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ، ابن أبي حاتم ، تحقيق : أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الثانية ، ١٤١٩ هـ .
- ٥٧- التفسير الكبير/ للإمام العلامة تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق : د. عبد الرحمن عميرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ .
- ٥٨- تفسير النسفي(المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل)/ لأبي اليركات عبدالله بن أحمد ابن محمود النسفي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، (د: ط، ت) .
- ٥٩- التفسير الواضح/ محمد محمود حجازي ، دار التفسير ، القاهرة ، الطبعة السابعة ، ١٤٠٠ هـ .
- ٦٠- تلبيس إبليس / للحافظ الإمام جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي البغدادي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، (د: ط، ت).
- ٦١- التلمود تاريخه وتعاليمه/ ظفر الإسلام خان، دار النفائس، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤١٠ هـ .
- ٦٢- قذيب التهذيب/للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر شهاب الدين العسقلاني الشافعي ، عناية: إبراهيم الزبيق ، عادل مرشد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١ هـ .
- ٦٣- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد/للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد ابن عبدالوهاب ، مكتبة الرياض الحديثة ، (د: ط، ت).
- ٦٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المثنان / للإمام العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي ، تحقيق : د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٢ هـ .

(ث)

- ٦٥- ثقافة الداعية / يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ هـ .

(ج)

- ٦٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن / أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق: د. عبدالله ابن عبدالمحسن التركي ، دار هجر ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ .

- ٦٧- جامع العلوم والحكم / للإمام الحافظ أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين البغدادي الدمشقي الشهير بابن رجب ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، إبراهيم باجس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة السابعة ، ١٤١٩هـ .
- ٦٨- الجامع لأحكام القرآن / أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ .
- ٦٩- الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته / د.عبدالله بن أحمد القادري ، دار المنارة، جدة ، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ .
- ٧٠- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح / لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، تحقيق وتعليق : د.علي بن حسن بن ناصر ، د. عبدالعزيز بن ابراهيم العسكر ، د. حمدان بن محمد الحمدان ، دار العاصمة، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ .
- ٧١- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي/ للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر، المعروف بابن قيم الجوزية ، تحقيق : أبي حذيفة عبيد الله بن عالية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة العاشرة ، ١٤٢١هـ .

(أ)

- ٧٢- الحج / د.عبدالله بن محمد الطيار ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٦هـ .
- ٧٣- الحج والحجاج أمواج وأنباج / د.زيد بن محمد الرماني ، دار طويق للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ .
- ٧٤- الحسبة تعريفها ومشروعيتها ووجوبها / د. فضل الهي ، مكتبة المعارف ، مؤسسة الجريسي ، الرياض ، الطبعة السادسة ، ١٤١٧هـ .
- ٧٥- الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية / للإمام العلامة تقي الدين أحمد عبدالحليم ابن تيمية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ .
- ٧٦- الحسنة والسيئة / شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، تحقيق وتقديم : د. محمد بن جميل غازي ، مكتبة المدني ، جدة ، (د : ط ، ت) .
- ٧٧- حقيقة الحج / وحيد الدين خان ، ترجمة: ظفر الإسلام خان ، دار الصحوة للنشر ، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ، (د : م) .

(أ)

- ٧٨- الخطابة وإعداد الخطيب/ د. توفيق الواعي ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ .
- ٧٩- خطبة الحاجة التي كان رسول الله -ﷺ- يعلمها أصحابه/ للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٩هـ .
- ٨٠- خلق الإنسان بين الطب والقرآن / د. محمد بن علي البار ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٦هـ .

(د)

- ٨١- دائرة المعارف الإسلامية/إعداد : مجموعة من المستشرقين ، ترجمة: أحمد الشنتاوي ، وآخرون ، دار المعرفة ، بيروت ، (د:ط،ت).
- ٨٢- الداعي إلى الإسلام/ كمال الدين أبي البركات عبدالرحمن بن محمد الأنباري النحوي ، تحقيق : سيد حسين باعجوان ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ .
- ٨٣- دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند / د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ .
- ٨٤- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة/للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد ، الشهير بابن حجر العسقلاني ، تصحيح : د. سالم الكرنكوي ، دار الجيل ، بيروت ، (د : ط ، ت).
- ٨٥- الدعوة إلى الله (الرسالة ، الوسيلة ، الهدف)/ د. توفيق الواعي ، دار اليقين ، المنصورة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٦هـ .
- ٨٦- الدعوة إلى الله خصائصها ومقوماتها ومناهجها/ د. أبو المجد السيد نوفل ، مكتبة الحضارة العربية ، الفجالة ، النصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٧هـ .
- ٨٧- الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة / لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز ، رئاسة إدارة البحوث والإفتاء ، الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨هـ .
- ٨٨- الدعوة الإسلامية (أصولها ووسائلها) / د. أحمد أحمد غلوش ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ .
- ٨٩- الدعوة الإسلامية دعوة عالمية / محمد الراوي ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ .
- ٩٠- الدعوة قواعد وأصول / جمعة بن أمين عبدالعزيز ، دار الدعوة ، الإسكندرية ، الطبعة

الدعوة إلى الله في سورة الحج ————— (الفهارس)

الخامسة ، ١٤٢١هـ .

- ٩١- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين / محمد علان الصديقي الشافعي الأشعري المكي، مكتبة الرياض الحديثة ، دار الفكر ، بيروت ، (د: ط، ت).

(ذ)

- ٩٢- الذريعة إلى مكارم الشريعة / أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: د. أبو اليزيد العجمي ، دار الصحوة ، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ .

(ز)

- ٩٣- الرد على المنطقيين/ شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية، معارف لاهور ، باكستان ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٧م.

- ٩٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع الثاني/ لأبي الفضل محمود الألوسي البغدادي، تحقيق: محمد بن أحمد الأمد، عمر بن عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ.

- ٩٥- الروض المربع شرح زاد المستقنع / الإمام منصور بن يونس بن إدريس البهوتي ، مطبعة السعادة ، ١٣٩٠هـ ، (د : م).

- ٩٦- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء / الإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق : محمد بن محي الدين عبد الحميد ، محمد بن عبدالرازق حمزة ، محمد بن حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د : ط ، ت) .

(ز)

- ٩٧- زاد المعاد في هدي خير العباد / أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ .

- ٩٨- الزكاة وتطبيقاتها المعاصرة / أ.د. عبدالله بن محمد الطيار ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٥هـ .

(س)

- ٩٩- سلسلة مدرسة الدعوة/ عبدالله ناصح علوان، دار السلام ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م.
- ١٠٠- سنن أبي داود / أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، حكم على أحاديثه وآثاره وعلّق عليه العلامة الحديث : محمد بن ناصر الدين الألباني ، اعتنى به : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، مكتبة المعارف ، الرياض، الطبعة الأولى ، (د : ت).

الدعوة إلى الله في سورة الحج ————— (الفهارس)

- ١٠١- سنن ابن ماجه / أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجه ، حكم على أحاديثه وآثاره وعلّق عليه العلامة المحدث : محمد بن ناصر الدين الألباني ، اعتنى به : أبو عبيدة مشهور ابن حسن آل سلمان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى ، (د : ت) .
- ١٠٢- سنن الترمذي (الجامع الصحيح) / الإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، حكم على أحاديثه وآثاره وعلّق عليه العلامة المحدث : محمد بن ناصر الدين الألباني ، اعتنى به : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى ، (د : ت) .
- ١٠٣- سنن النسائي / أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي الشهير بالنسائي ، وعليها أحكام المحدث الشيخ : محمد بن ناصر الدين الألباني ، اعتنى به : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى ، (د : ت) .
- ١٠٤- سير أعلام النبلاء / الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، أشرف على تحقيق الكتاب وخرّج أحاديثه : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الحادية عشرة ، ١٤١٩هـ .
- ١٠٥- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (دراسة تحليلية) / د. مهدي رزق الله أحمد ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ .

(شر)

- ١٠٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب / لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د : ط ، ت) .
- ١٠٧- الشرائع السابقة ومدى حجيتها في الشريعة الإسلامية / د. عبد الرحمن بن عبد الله الدرويش ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ ، (د : د ، م) .
- ١٠٨- شرح الزركشي على مختصر الخرق في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل / الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الله الزركشي الحنبلي ، تحقيق وتخرّيج فضيلة الشيخ : عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ .
- ١٠٩- الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك / العلامة أبي البركات أحمد بن محمد بن أحمد الدردير ، خرّج أحاديثه وفهرسه : د. مصطفى بن كمال وصفي ، دار المعارف ، القاهرة ، (د : ط ، ت) .
- ١١٠- شرح العقيدة الطحاوية / علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي ، تحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ .

- ١١١- شرح العقيدة الواسطية / فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، إعداد: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ١١٢- الشرح الممتع على زاد المستقنع / فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، اعتنى به : د. سليمان بن عبدالله بن حمود أبا الخيل ، د. خالد بن علي بن محمد المشيقيح ، مؤسسة آسام ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ .
- ١١٣- شرح ثلاثة الأصول / فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، إعداد : فهد بن ناصر السليمان ، دار الثريا للنشر، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ .
- ١١٤- شرح كشف الشبهات ويليهِ شرح الأصول الستة / فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، إعداد : فهد بن ناصر السليمان ، دار الثريا ، الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨هـ.
- ١١٥- شريعة الإسلام في الجهاد والعلاقات الدولية / أبو الأعلى المودودي ، ترجمة الدكتور: سمير ابن عبدالحاميد ابراهيم ، مراجعة الدكتور : عبدالحليم بن عويس بن ابراهيم يونس، دار الصحوة للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- ١١٦- الشفاء بتعريف حقوق المصطفى - ﷺ - / للقاضي عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي ، تحقيق: محمد أمين قرّة علي ، وآخرون ، مكتب الفارابي، دمشق ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق، (د:ط،ت).

(م)

- ١١٧- الصابئة المندائيون / سليم برنجي، ترجمة: جابر أحمد، دار الكنوز الأدبية، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م.
- ١١٨- الصابئون في حاضرهم وماضيهم / للسيد عبدالرزاق الحسني ، مطبعة العرفان، صيدا ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٠هـ.
- ١١٩- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) / إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ.
- ١٢٠- صفات الداعية الناجح / صالح بن محمد العليوي ، دار القاسم ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ .
- ١٢١- الصلاة / أ.د.عبدالله بن محمد الطيار ، طباعة ونشر الإدارة العامة للثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤١٨هـ ، (د : م ، ط) .

(ض)

- ١٢٢- ضرب الأمثال في القرآن (أهدافه التربوية وآثاره)/ عبد المجيد البيانوني، دار القلم ، دمشق ،
الدار الشامية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ .
- ١٢٣- الضوء المنير على التفسير/ جمعه: علي محمد محمد الصالح، من كتب الإمام شمس الدين أبي
عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية ، نشر: مؤسسة النور ،
مكتبة دار السلام ، (د : م ، ط ، ت) .

(ط)

- ١٢٤- طبقات المفسرين / للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق: علي
محمد عمر ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٦هـ .

(ع)

- ١٢٥- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين / للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الدمشقي
الشهير بابن قيم الجوزية ، تحقيق: محمد بن عبد الملك الزغبى ، دار المنار ، القاهرة ، الطبعة
الأولى ، (د : ت) .
- ١٢٦- العقد الفريد/ أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة ، دار الكتب
العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ .
- ١٢٧- عقيدة أهل السنة والجماعة / محمد بن إبراهيم الحمد، تقديم سماحة الشيخ : عبد العزيز ابن
عبدالله بن باز ، دار ابن خزيمة ، الرياض ، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ .
- ١٢٨- عقيدة أهل السنة والجماعة/ فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، مطابع القصيم ، الرياض ،
١٤٠٦هـ ، (د : ط) .
- ١٢٩- العقيدة الإسلامية / د. مصطفى بن سعيد الخن ، محيى الدين ديب مستو ، دار الكلم الطيب ،
دار ابن كثير ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ .
- ١٣٠- عقيدة المؤمن / أبو بكر جابر الجزائري ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، الطبعة الرابعة ،
١٤١٩هـ .
- ١٣١- عقيدة المسلم وما يتصل بها / عبد الحميد السائح ، مطابع وزارة الشؤون والمقدسات الإسلامية،
عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٨هـ .
- ١٣٢- العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية / د. سعد الدين السيد صالح ، مكتبة الصحابة ، جدة ،
مكتبة التابعين ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٦هـ .

الدعوة إلى الله في سورة الحج (الفهارس)

- ١٣٣- علماء نجد خلال ثمانية قرون/ للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح البسام ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩هـ.

(غ)

- ١٣٤- غزوات ابن حبيش/ الإمام عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن يوسف بن حبيش ، تحقيق الدكتور: سهيل زكار، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ.

(ف)

- ١٣٥- فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري / الإمام الحافظ : أحمد ابن علي بن حجر العسقلاني ، تقديم وتحقيق وتعليق : عبدالقادر شيبه الحمد ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ ، (د : د ، م) .

- ١٣٦- فتح البيان في مقاصد القرآن / أبو الطيب صديق بن حسن بن علي بن الحسين القنوجي البخاري ، مراجعة : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، إدارة إحياء التراث الإسلامي ، قطر ، ١٤١٠هـ.

- ١٣٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير/ محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تعليق : سعيد محمد اللحام، المكتبة التجارية ، مصطفى أحمد الباز ، مكة المكرمة ، (د : ط ، ت) .

- ١٣٨- الفروع / أبو عبدالله محمد بن مفلح ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٤ هـ .

- ١٣٩- فريضة الزكاة / عبدالرزاق نوفل ، مكتبة الوعي العربي ، الفجالة ، الطبعة الأولى ، (د : ت) .

- ١٤٠- الفصل في الملل والأهواء والنحل / للإمام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري ، تحقيق : د. محمد بن إبراهيم نصر ، د. عبدالرحمن عميره، مكتبات عكاظ ، جدة ، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ .

- ١٤١- فقه الإيمان على منهج السلف الصالح / د. وميض بن رمزي بن صديق العمري ، تقديم ومراجعة : أ.د. عمر بن سليمان بن عبدالله الأشقر ، دار النفائس ، الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ .

- ١٤٢- فقه الدعوة إلى الله وفقه النصيح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر / أ.د. عبدالرحمن بن حسن بن حبنكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ.

- ١٤٣- فقه الدعوة والإعلام / د. عمارة نجيب ، مكتبة سعيد رأفت ، جامعة عين شمس ، (د : م ، ط ، ت) .

- ١٤٤- فقه الزكاة / د. يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠١هـ.

الدعوة إلى الله في سورة الحج (الفهارس)

- ١٤٥- فقه الصلاة وأحكامها / الإمام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، تهذيب وضبط وتعليق : السيد الجميلي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ .
- ١٤٦- فن الخطابة وإعداد الخطيب / للشيخ علي بن محفوظ ، دار الاعتصام ، (د:م ط ، ت) .
- ١٤٧- فن نشر الدعوة مكاناً وزماناً / د. محمد زين الهادي العرماني ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ .
- ١٤٨- الفهرست / محمد بن اسحاق الوراق البغدادي المعروف بابن النديم ، دار المعرفة ، بيروت ، (د:ط،ت) .
- ١٤٩- الفوائد / شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، ١٤١٣ هـ ، (د: ط) .
- ١٥٠- في ظلال القرآن / سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ .

(ج)

- ١٥١- القاموس الفقهي / سعدي أبو حبيب ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢ هـ .
- ١٥٢- القاموس المحيط / محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٤١٩هـ .
- ١٥٣- القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر / للشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي ، مكتبة دار السلام ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ .

(ك)

- ١٥٤- الكامل في التاريخ / أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن أبي عبدالكريم بن عبد الواحد الشيباني ، المعروف - بابن الأثير - ، تحقيق الدكتور: عمر بن عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ .
- ١٥٥- الكبائر / الحافظ أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق : مشهور بن حسن ابن محمود بن سلمان ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ .
- ١٥٦- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار / للإمام الحافظ أبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العباسي ، ضبطه وصححه : محمد عبدالسلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ .
- ١٥٧- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل / أبو محمد القاسم جار الله محمود بن عمر الرمخشري الخوارزمي ، دار المعرفة ، بيروت ، (د : ط،ت) .

- ١٥٨- كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر / شمس الدين محمد بن علي بن العماد ، تحقيق : د. فؤاد بن عبد المنعم أحمد ، تقديم ومراجعة : د. محمد بن سليمان داود ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، (د: ط، ت) .

(J)

- ١٥٩- لباب التأويل في معاني التنزيل/علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن، دار المعرفة ، بيروت ، (د: ط، ت) .
- ١٦٠- لسان العرب / أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤ هـ .

(م)

- ١٦١- مباحث في علوم القرآن / متاع القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣ هـ .
- ١٦٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/ للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، تحقيق : عبد الله محمد الدرويش ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٤ هـ .
- ١٦٣- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية / جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وساعده ابنه : محمد، طباعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة النبوية ، إشراف: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، بالمملكة العربية السعودية ، ١٤١٦ هـ ، (د : ط) .
- ١٦٤- المحاور الخمسة للقرآن الكريم / محمد الغزالي ، دار الصحوة ، القاهرة ، دار الوفاء ، المنصورة، الطبعة الثانية ، ١٤١٠ هـ .
- ١٦٥- المحبر / لأبي جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي ، رواية: أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري ، تصحيح وعناية : د. إيلزة ليختن شتير ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، (د: ط، ت) .
- ١٦٦- المحلى بالآثار / أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ، تحقيق : د. عبد الغفار ابن سلمان البنداري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د : ط، ت) .
- ١٦٧- مختصر منهاج القاصدين / الإمام أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي ، تحقيق : زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثامنة ، (د:ت) .

- ١٦٨- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين / لأبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية ، تحقيق عبد العزيز بن ناصر الجليل ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ .
- ١٦٩- المدخل إلى علم الدعوة / د. محمد أبو الفتح البيانوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٠هـ .
- ١٧٠- المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم / د. محمد بن علي البار ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ .
- ١٧١- مرشد الدعاة / محمد نمر الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ .
- ١٧٢- المستدرك على الصحيحين / للحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الحاكم النيسابوري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ .
- ١٧٣- المسيحية / د. أحمد شليبي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثامنة ، ١٩٨٤م .
- ١٧٤- مشاهد القيامة في القرآن / سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الثانية عشرة ، ١٤١٣هـ .
- ١٧٥- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي / أحمد بن محمد المقرئ الفيومي ، نوبليس ، (د : م، ط، ت) .
- ١٧٦- معالم التنزيل / أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك ، مروان سوار ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ .
- ١٧٧- معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم / د. عبد الوهاب بن لطف الديلمي ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩هـ .
- ١٧٨- معالم القرآن في عوالم الأكوان / أحمد محي الدين العجوز ، مؤسسة دار الندوة الحديثة ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ، (د : ط) .
- ١٧٩- معالم في منهج الدعوة / د. صالح بن عبد الله بن حميد ، دار الأندلس الخضراء ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ .
- ١٨٠- معجم البلدان / للإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٥هـ .
- ١٨١- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها / د. أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٤٠٣هـ ، (د : ط) .
- ١٨٢- معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة ، عناية : مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ .

الدعوة إلى الله في سورة الحج (الفهارس)

- ١٨٣- المعجم الوسيط / ابراهيم مصطفى وآخرون ، المكتبة الإسلامية ، استنبول ، تركيا ، الطبعة الثانية، (د : ت).
- ١٨٤- معجم مقاييس اللغة / أبو حسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، دار الجليل ، بيروت ، (د : ط،ت).
- ١٨٥- المغني / أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة ، تحقيق : د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، د.عبدالفتاح محمد الحلو ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- ١٨٦- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة / للإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض، (د : ط،ت).
- ١٨٧- مفردات ألفاظ القرآن / للعلامة أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، دار التراث ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ.
- ١٨٨- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى / لأبي حامد محمد الغزالي ، عناية : بسام عبد الوهاب الحايي ، نشر: نور محمد - أصبح المطابع - آرامر باغ - كارخانه تجارت كتب - كراحي - (د : ط،ت).
- ١٨٩- الملل والنحل / للإمام أبي الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني ، تحقيق : محمد سيد كيلاي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، وأولاده ، مصر ، ١٣٩٦هـ، (د : ط).
- ١٩٠- من بلاغة القرآن (المعاني ، البيان ، البديع) / د. محمد بن شعبان علوان ، د. نعمان بن شعبان علوان ، الدار العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م.
- ١٩١- من فقه الدعوة / مصطفى مشهور ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، ١٤١٦هـ ، (د : ط).
- ١٩٢- مناهج البحث / غازي حسين عناية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، (د : ط،ت).
- ١٩٣- مناهج البحث العلمي / عبدالرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٧م.
- ١٩٤- مناهج البحث وكتابتها / يوسف مصطفى القاضي ، دار المريح ، الرياض ، ١٤٠٤هـ.
- ١٩٥- مناهل العرفان في علوم القرآن / محمد عبدالعظيم الزرقاني ، ترتيب وتخريج : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ .

الدعوة إلى الله في سورة الحج ————— (الفهارس)

- ١٩٦- منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان/ د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ، (د : د).
- ١٩٧- الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة/ ناصر بن عبدالله القفاري ، ناصر بن عبدالكريم العقل ، دار الصميعي ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ.
- ١٩٨- موسوعة الحديث الشريف / إشراف فضيلة الشيخ : صالح آل الشيخ ، دار السلام ، الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢١ هـ .
- ١٩٩- الموسوعة العربية الميسرة / إشراف : محمد شفيق غربال ، دار الشعب ، القاهرة ، (د:ط،ت).
- ٢٠٠- موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية / الباحث الرئيس ورئيس الفريق العلمي: أ.د. مرزوق بن صنيان بن تنباك، دار رواح للنشر والتوزيع ،(د: ط، ت) .
- ٢٠١- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة/ إشراف وتخطيط ومراجعة : د. مانع بن حماد الجهني ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤١٨هـ.
- ٢٠٢- الميزان في مقارنة الأديان/ محمد عزت الطهطاوي ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ.

(ن)

- ٢٠٣- النداء في اللغة والقرآن/ د. أحمد بن محمد فارس، دار الفكر اللبناني ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ
- ٢٠٤- نسب قريش / لأبي عبدالله المصعب بن عبدالله بن المصعب الزبيري ، عناية وتصحيح وتعليق: أ. ليفي بروفنسال ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، (د : ت).
- ٢٠٥- النهاية في غريب الحديث والأثر / الإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري- ابن الأثير-، إشراف وتقديم: علي بن حسين بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري ، دار ابن الجوزي، الدمام ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٣هـ.

(هـ)

- ٢٠٦- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى/ للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قسيم الجوزية، خرَّج أحاديثه وعلّق عليه: مصطفى أبو النصر الشليبي ، مكتبة السوادي ، جدة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٠هـ..
- ٢٠٧- هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة/ علي بن محفوظ ، دار الاعتصام ، الطبعة التاسعة ، ١٣٩٩هـ، (د : م).

(و)

- ٢٠٨- وجاء دور المجوس/ عبدالله بن محمد الغريب ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٨هـ ، (د : د ، م).
٢٠٩- وسائل الدعوة / د. عبد الرحيم بن محمد المغذوي ، دار اشبيليا ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ.

(ي)

- ٢١٠- اليهودية / د. أحمد شلي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية عشرة ، ١٩٩٧م.
٢١١- اليهودية والمسيحية / د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ.

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
١	المقدمة
٣	أولاً: التعريف بمصطلحات عنوان الدراسة
٧	ثانياً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره
١٠	ثالثاً : أهداف الدراسة
١٠	رابعاً : الدراسات السابقة
١٣	خامساً: تساؤلات الدراسة
١٤	سادساً: المناهج المستخدمة في هذا الدراسة
١٨	سابعاً : خطة الدراسة
١٩	الشكر والتقدير
٢١	التمهيد
٢٢	المبحث الأول : التعريف بسورة الحج
٢٢	أولاً: وجه تسميتها بسورة الحج
٢٢	ثانياً: نوعها وعدد آياتها
٢٥	ثالثاً: فضائل السورة
٢٥	رابعاً: موضوعات السورة
٢٦	خامساً : ما ورد من الأحاديث في بعض آيات السورة
٢٩	سادساً: عدد السجود الواردة في السورة
٣١	المبحث الثاني : التعريف بأركان الدعوة إلى الله
٣١	أولاً: تعريف الأركان
٣١	ثانياً: تعريف أركان الدعوة
٣٩	الفصل الأول: موضوع الدعوة إلى الله في سورة الحج
٤٠	المبحث الأول : الدعوة إلى الله في مجال العقيدة

٤٠	توطئة
٤١	المطلب الأول: الدعوة إلى توحيد الله، والنهي عن الشرك
٤١	أولاً: توحيد الله - سبحانه وتعالى -
٤٣	ثانياً: الإشراك بالله - سبحانه وتعالى -
٤٤	ثالثاً: الدعوة إلى توحيد الله، والنهي عن الشرك، في سورة الحج
٥١	المطلب الثاني: الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر
٥١	أولاً: المقصود بالإيمان باليوم الآخر
٥١	ثانياً: حكم الإيمان باليوم الآخر
٥١	ثالثاً: الإيمان باليوم الآخر في سورة الحج
٥٦	رابعاً: من ثمرات الإيمان باليوم الآخر
٥٧	المبحث الثاني: الدعوة إلى الله في مجال الشريعة
٥٧	توطئة
٥٨	المطلب الأول: الدعوة إلى القيام بواجبات المكين في الأرض
٦١	الواجب الأول: إقامة الصلاة
٦١	أولاً: تعريف الصلاة
٦٢	ثانياً: حكم إقامة الصلاة
٦٢	ثالثاً: الصلاة في الشرائع السماوية السابقة
٦٣	رابعاً: منزلة فريضة الصلاة في الإسلام
٦٥	خامساً: أثر إقامة الصلاة على العبد
٦٦	الواجب الثاني: إيتاء الزكاة
٦٦	أولاً: تعريف الزكاة
٦٦	ثانياً: حكم إيتاء الزكاة
٦٨	ثالثاً: الزكاة والفقير
٦٩	رابعاً: من آثار إيتاء الزكاة على الفرد والمجتمع
٧١	الواجب الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

٧١	أولاً: تعريف المعروف، والمنكر
٧٢	ثانياً: حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٧٤	ثالثاً: منزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٧٥	رابعاً: أركان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٧٦	خامساً: من فوائد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٧٩	المطلب الثاني: الدعوة إلى أداء فريضة الحج
٧٩	أولاً: حكم أداء فريضة الحج
٨٠	ثانياً: فضل فريضة الحج
٨١	ثالثاً: منزلة فريضة الحج
٨٢	رابعاً: من آثار أداء فريضة الحج
٨٥	المطلب الثالث: الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله
٨٥	أولاً: تعريف الجهاد
٨٦	ثانياً: حكم الجهاد
٨٧	ثالثاً: مراتب الجهاد
٩١	رابعاً: من آثار الجهاد
٩٣	المبحث الثالث: الدعوة إلى الله في مجال الأخلاق
٩٣	توطئة
٩٤	المطلب الأول: شكر الله - تعالى -
٩٤	أولاً: تعريف الشكر
٩٥	ثانياً: قواعد شكر الله - تعالى -
٩٥	ثالثاً: شكر الله - تعالى - من نعم الله على العبد
٩٦	رابعاً: شكر الله - تعالى - في سورة الحج
١٠٠	المطلب الثاني: العفو
١٠٠	أولاً: تعريف العفو
١٠٠	ثانياً: العفو من أسماء الله - تعالى -

١٠١	ثالثاً: العفو في سورة الحج
١٠٣	المطلب الثالث: التنفير من الحياتة
١٠٣	أولاً: تعريف الخيانة
١٠٣	ثانياً: حكم الخيانة
١٠٤	ثالثاً: التنفير من الخيانة في سورة الحج
١٠٦	الفصل الثاني: الداعي إلى الله في سورة الحج
١٠٧	المبحث الأول: مهمة الداعي إلى الله في سورة الحج
١٠٧	توطئة
١٠٨	المطلب الأول: الدعوة إلى الله مهمة الرسل - عليهم الصلاة والسلام -
١٠٨	أولاً: حاجة البشر إلى دعوة الرسل - عليهم الصلاة والسلام -
١٠٨	ثانياً: منهم الرسل - عليهم الصلاة والسلام - في الدعوة إلى الله
١١٣	المطلب الثاني: التوازن بين البلاغ والتطبيق في الدعوة إلى الله
١١٣	أولاً: أهمية التوازن بين البلاغ والتطبيق في الدعوة إلى الله
١١٤	ثانياً: التوازن بين البلاغ والتطبيق في الدعوة إلى الله في سورة الحج
١١٦	المبحث الثاني: إعداد الداعي إلى الله في سورة الحج
١١٦	توطئة
١١٧	المطلب الأول: صلة الداعية بالله - تعالى -
١١٧	أولاً: أهمية صلة الداعية بالله - تعالى -
١١٩	ثانياً: من ثمرات صلة الداعية بالله - تعالى -
١٢١	المطلب الثاني: فهم الداعية لآيات الله - تعالى -
١٢١	أولاً: أهمية فهم الداعية لآيات الله - تعالى -
١٢٢	ثانياً: من آثار سوء فهم الداعية لآيات الله - تعالى -
١٢٤	المبحث الثالث: صفات الداعي إلى الله في سورة الحج
١٢٤	توطئة

١٢٥	المطلب الأول: الإحسان
١٢٥	أولاً: تعريف الإحسان
١٢٦	ثانياً: أنواع الإحسان
١٢٧	ثالثاً: من صفات الداعي إلى الله في سورة الحج الإحسان
١٣٠	المطلب الثاني: التقوى
١٣٠	أولاً: تعريف التقوى
١٣١	ثانياً: مراتب التقوى
١٣١	ثالثاً: من صفات الداعي إلى الله في سورة الحج التقوى
١٣٤	المطلب الثالث: تعظيم حرمات الله - تعالى -
١٣٤	أولاً: تعريف تعظيم حرمات الله
١٣٥	ثانياً: أهمية تعظيم حرمات الله
١٣٧	ثالثاً: من صفات الداعي إلى الله في سورة الحج تعظيم حرمات الله
١٣٩	المطلب الرابع: الإخبات
١٣٩	أولاً: تعريف الإخبات
١٤٠	ثانياً: صفات المخبتين في سورة الحج
١٤٠	أ (الوجل)
١٤٠	أولاً: تعريف الوجل
١٤١	ثانياً: درجات الخوف من الله
١٤٢	ثالثاً: من ثمرات الخوف من الله
١٤٢	رابعاً: من صفات الداعي المخبت إلى الله في سورة الحج الخوف من الله
١٤٣	ب (الصبر)
١٤٣	أولاً: تعريف الصبر
١٤٤	ثانياً: أنواع الصبر
١٤٤	ثالثاً: حاجة الداعية إلى الصبر
١٤٥	رابعاً: من صفات الداعي المخبت إلى الله في سورة الحج الصبر على البلاء

١٤٦	ج (إقامة الصلاة
١٤٨	د) الإنفاق من رزق الله
١٤٨	أولاً: تعريف الإنفاق
١٤٨	ثانياً: فضل الإنفاق من رزق الله
١٥٠	ثالثاً: شروط الإنفاق من رزق الله
١٥٠	رابعاً: من صفات الداعي المخبت إلى الله في سورة الحج الإنفاق من رزق الله
١٥٢	المطلب الخامس: ترك قول الزور
١٥٢	أولاً تعريف الزور
١٥٢	ثانياً: حكم قول الزور
١٥٤	ثالثاً: من صفات الداعي إلى الله في سورة الحج ترك قول الزور
١٥٦	المطلب السادس: ترك الجدل المذموم
١٥٦	أولاً: تعريف الجدل
١٥٦	ثانياً: حكم الجدل
١٥٧	ثالثاً: ذم الجدل بالباطل
١٥٨	رابعاً: من صفات الداعي إلى الله في سورة الحج ترك الجدل المذموم
١٦٠	الفصل الثالث: الدعوى إلى الله في سورة الحج
١٦١	المبحث الأول: أصناف المدعوين إلى الله في سورة الحج
١٦١	توطئة
١٦٢	المطلب الأول: المؤمنون
١٦٢	أولاً: التعريف بالمؤمنين
١٦٢	ثانياً: عقيدة المؤمنين
١٦٣	ثالثاً: سمات المؤمنين
١٦٣	رابعاً: مراتب الإيمان بالله
١٦٤	خامساً: من آثار الإيمان بالله
١٦٧	المطلب الثاني: اليهود

١٦٧ أولاً: التعريف باليهود
١٦٧ ثانياً: دين اليهود
١٦٨ ثالثاً: فرق اليهود
١٦٩ رابعاً: مصادر اليهود الفكرية
١٧٢ خامساً: من قبائم اليهود
١٧٤ المطلب الثالث: الصابون
١٧٤ أولاً: التعريف بالصابئة
١٧٦ ثانياً: أصل دين الصابئة
١٧٦ ثالثاً: من معتقدات وشرائع الصابئة
١٧٧ رابعاً: فرق الصابئة
١٧٨ خامساً: الصابئة في الوقت الحاضر
١٨٠ المطلب الرابع: النصارى
١٨٠ أولاً: التعريف بالنصارى
١٨٠ ثانياً: دين النصارى
١٨١ ثالثاً: أصول عقيدة النصارى
١٨٢ رابعاً: أسباب ضلال النصارى
١٨٢ خامساً: فرق النصارى
١٨٣ سادساً: من قبائم ضلالات النصارى
١٨٦ المطلب الخامس: المجوس
١٨٦ أولاً: التعريف بالمجوس
١٨٦ ثانياً: فرق المجوس
١٨٩ ثالثاً: ذم معتقدات المجوس
١٩١ المطلب السادس: المشركون
١٩١ أولاً: التعريف بالمشركين
١٩١ ثانياً: الإشراك بالله من أعظم الفتن

١٩٢	ثالثاً: أصل الإشراك بالله
١٩٣	رابعاً: من آثار الإشراك بالله
١٩٦	المبحث الثاني: أحوال المدعوين إلى الله في سورة الحج
١٩٦	توطئة
١٩٩	المطلب الأول: حال أولى القلوب المريضة
١٩٩	أولاً: تعريف القلب المريض
١٩٩	ثانياً: من علامات مرض القلب
٢٠٠	ثالثاً: سبب مرض القلب
٢٠٠	رابعاً: علام مرض القلب
٢٠٢	المطلب الثاني: حال أولى القلوب القاسية
٢٠٢	أولاً: تعريف القلب القاسي
٢٠٢	ثانياً: علامة القلب القاسي
٢٠٣	ثالثاً: من آثار القلب القاسي على صاحبه
٢٠٥	المطلب الثالث: حال أولى القلوب المخيبة
٢٠٥	أولاً: تعريف القلب المخبت
٢٠٥	ثانياً: علامات القلب المخبت
٢٠٦	ثالثاً: أثر العلم النافع على القلب
٢٠٦	رابعاً: من آثار القلب المخبت على صاحبه
٢٠٨	الفصل الرابع: وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها ومبادئها في
	سورة الحج
٢٠٨	توطئة
٢١٠	المطلب الأول: وسيلة التبليغ بالقول
٢١٠	أولاً: تعريف القول
٢١٠	ثانياً: أهمية وسيلة التبليغ بالقول
٢١١	ثالثاً: ضوابط وسيلة القول

٢١٤	المطلب الثاني: وسيلة التبليغ بالعمل
٢١٤	أولاً: تعريف وسيلة التبليغ بالعمل
٢١٤	ثانياً: أهمية وسيلة التبليغ بالعمل
٢١٥	ثالثاً: أنواع وسيلة التبليغ بالعمل
٢١٩	المبحث الثاني: أساليب الدعوة إلى الله في سورة الحج
٢١٩	توطئة
٢٢٠	المطلب الأول: أسلوب النداء
٢٢٠	أولاً: تعريف النداء
٢٢٠	ثانياً: أهمية أسلوب النداء
٢٢١	ثالثاً: موضوعات آيات أسلوب النداء في سورة الحج
٢٢٧	المطلب الثاني: أسلوب الاستفهام
٢٢٧	أولاً: تعريف الاستفهام
٢٢٧	ثانياً: أهمية أسلوب الاستفهام
٢٢٨	ثالثاً: من أغراض أسلوب الاستفهام في سورة الحج
٢٢٩	رابعاً: موضوعات آيات أسلوب الاستفهام في سورة الحج
٢٤١	المطلب الثالث: أسلوب الترغيب والترهيب
٢٤١	أولاً: تعريف الترغيب والترهيب
٢٤٢	ثانياً: أهمية أسلوب الترغيب والترهيب
٢٤٣	ثالثاً: مميزات أسلوب الترغيب والترهيب في القرن الكريم
٢٤٣	رابعاً: موضوعات آيات أسلوب الترغيب والترهيب في سورة الحج
٢٤٩	المطلب الرابع: أسلوب ضرب المثل
٢٤٩	أولاً: تعريف المثل
٢٤٩	ثانياً: أهمية أسلوب ضرب المثل
٢٥٠	ثالثاً: من أغراض أسلوب ضرب المثل
٢٥١	رابعاً: موضوعات آيات أسلوب ضرب المثل في سورة الحج

٢٥٦	المبحث الثالث: ميادين الدعوة إلى الله في سورة الحج
٢٥٦	توطئة
٢٥٧	المطلب الأول: ميدان المسجد
٢٥٧	أولاً: تعريف المسجد
٢٥٨	ثانياً: أهمية ميدان المسجد للدعوة إلى الله
٢٥٩	ثالثاً: الدعوة إلى الله في ميدان المسجد
٢٦٦	المطلب الثاني: ميدان الحج
٢٦٦	أولاً: أهمية ميدان الحج للدعوة إلى الله
٢٦٦	ثانياً: الدعوة إلى الله في ميدان الحج
٢٧٢	المطلب الثالث: ميدان الجهاد
٢٧٢	أولاً: أهمية ميدان الجهاد للدعوة إلى الله
٢٧٢	ثانياً: الدعوة إلى الله في ميدان الجهاد
٢٨٠	الخاتمة
٢٨٤	الفهارس
٢٨٥	فهرس الآيات القرآنية
٢٩٩	فهرس الأحاديث النبوية
٣٠٢	فهرس الآثار
٣٠٣	فهرس الأعلام
٣٠٧	فهرس المواقع والبلدان
٣٠٩	فهرس الفرق والطوائف
٣١٠	فهرس المصادر والمراجع
٣٢٨	فهرس الموضوعات